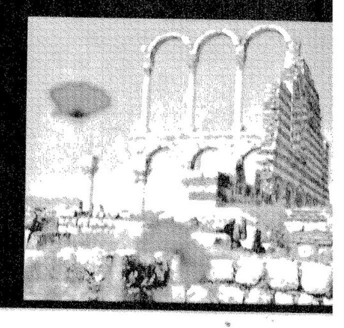
دراسات
في
تاريخ الساحل الشامي

لبنان

من الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية

(١٣ - ١٣٢ هـ. / ٦٣٤ - ٧٥٠ م.)



تأليف

أستاذ دكتور

عمر عبد السلام تدمري

جروس برس

طرابلس

لبنان

من الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية

(١٣ - ١٣٢ هـ ./ ٦٣٤ - ٧٥٠ م.)

دراسات
في
تاريخ الساحل الشامي

لبنان

من الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية

(١٣ - ١٣٢ هـ. / ٦٣٤ - ٧٥٠ م.)

تأليف

أستاذ دكتور
عمر عبد السلام تدمري

جروس برس
طرابلس

الطبعة الأولى
١٤١٠ هـ ــ ١٩٩٠ م

مدخل
لدراسة تاريخ « لبنان »

من الملاحظ لكلّ من يتصدّى لكتابة تاريخ « لبنان » في (العصر الوسيط)، وبالتحديد منذ الفتح الإسلامي حتى حركة الحروب الصّليبية، نُدْرة المعلومات المفصَّلة عن هذا الجزء الجغرافي والطبيعيّ من ساحل بلاد الشام، كما يلاحظ غموض بعض تلك المعلومات ــ إنْ وُجدَت ــ وتناقضها بين مصدر وآخر، وورود تلك المعلومات بشكلٍ مُبْتَسَرٍ أو مُجْتَزَأ، أو مرورها عَرَضاً، وبشكل موجز وغير مترابط. بحيث لا توفّر للباحث مادّة وافيةً لإغناء بحثه بالمعلومات التاريخية الموضوعيّة.

وإنّ ندرة المعلومات الخاصة بـ« لبنان » تفرض على المؤرّخ مَسَاراً ومنهجيّة محدَّدة في عمليّة التأريخ، كما تفرض عليه أن يبحث في مختلف المصادر المصنّفة، ليس في فنّ التاريخ فحسب، بل وفي المصنّفات الجغرافية التي تبحث في الأقاليم والبُلدان، وفي كُتُب الأدب، ودواوين الشعراء، وكُتُب الرحلات، وكُتُب الزُهد والتصوُّف، وكُتُب الطبقات، وتَرَاجم الرجال، والأنساب، والمعاجم، وحتى في كُتُب الحديث، والفقه، والخراج، والقراءآت.. وغير ذلك ممّا يفيد ويربط بينها ليؤلّف منها مادّة تاريخيّة لها مُعْطَيَاتها المتتابعة الأحداث حسب تسلسلها التاريخيّ، ولتأتي مترابطة الوقائع

والأخبار، ولينسُجَ منها الفكرة التاريخية، باتّجاهاتها السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والفكريّة والحضاريّة، التي تتوفّر له.

وإذا كانت هذه المُعاناة من البحث تواجه الباحث الذي يتصدّى لكتابة تاريخ بلاد الشام، بكل حدودها التاريخيّة.. فكيف تكون المُعاناة إذا كان البحث قاصراً على التأريخ لجزء صغير من هذه البلاد ؟

وفي الواقع، يمكن أن نعْزُو نُدْرةَ معلوماتنا التاريخيّة عن « لبنان » أو عن « المدن اللبنانيّة » ــ التي في الأساس يُبْنَى عليها تاريخ « لبنان » ــ في الفترة التي ندرسها إلى عدّة معوِّقات، أهمّها :

أوّلاً : إنّ « لبنان » بمُجْمَل مُدُنه وقُراه لم يُخرِج مؤرِّخاً يدوِّن الأخبار والوقائع التاريخيّة أو يصنِّف في هذا الفنّ عن تلك الحقبة من (العصر الوسيط)، رغم أنّه ظهر فيه بعض الأخباريّين الذين كانوا يُخبرون ويقصُّون بعض الوقائع من المغازي والفتوحات والسِّيَر التي عاصروها أو سمعوا بها من شيوخهم، أمثال:

* هشام بن اللَّيْث الصُّورِيّ،[1]، وهشام بن الغاز الجُرَشيّ الصَّيْداويّ[2] وسعيد بن عبد العزيز التَّنُوخيّ البَيْرُوتي،[3] وقد روى عنهم المؤرّخ البلاذُرِيّ (المُتَوَفّى حوالي سنة ٢٧٩ هـ)،[4] كما أفرد المؤرّخ الدمشقيّ « ابن

---

(١) أنظر عنه في كتابنا « موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي » ــ القسم الأول ــ الجزء الخامس ــ ص١٤٨ ــ رقم الترجمة ١٧٧٢ ــ طبعة المركز الإسلامي للإنماء والإعلام، بيروت ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤ م.

(٢) أنظر « موسوعة علماء المسلمين... » ــ ق١ ــ ج٥ ــ ص١٤٦ ــ ١٤٨ ــ رقم ١٧٧١

(٣) أنظر « الموسوعة » ــ ق١ ــ ج٢ ــ ص٢٨٠ ــ ٢٨٣ ــ رقم ٦٢٠

(٤) فتوح البلدان للبلاذُريّ ــ تحقيق د. صلاح الدين المنجِّد ــ طبعة النهضة المصرية ١٩٥٦ أنظر فيما يتعلّق بالأخبار عن : « هشام بن الليث الصّوريّ » ق١/١٤٠م وعن « هشام بن الغاز الجُرَشيّ الصَّيْداويّ » ق١/١٩٥م وعن « سعيد بن عبد العزيز التنوخي البيروتي » ق١/١٣٨ و١٣٩ و١٤٠ و١٥٠ و١٥٢ و١٥٦ و١٥٧ و١٥٨ و١٦٢ و١٦٤ و١٨٨

عساكر » كتاباً عن « أخبار سعيد بن عبد العزيز البيروتي وعواليه » في . جزء.[1]

* ومعاوية بن يحيى أبو مطيع الأَطْرَابُلسيّ،[2] روى من طريقه ابن عساكر على طريقة الإسناد المتَّبَعَة في عِلم الحديث[3].

* وسليمان بن أبي كريمة الصَّيداويّ،[4] واللَّيث بن تميم الفارسيّ الأَطْرابُلسيّ »،[5] والعبّاس بن الوليد بن مَزْيَد البَيْروتيّ،[6] وهم من مَشْيَخَة « ساحل دمشق » ينقل عنهم المؤرّخ ابن جرير الطبريّ.[7] وهو ينقل بالوساطة أيضاً عن « محمد بن عقبة الصيداوي »[8].

* وحسّان بن أبان البَعْلَبَكّيّ » الشاعر الراوية، وكان في زمن المتوكّل

---

(1) معجم الأدباء لياقوت الحموي ــ تحقيق عبد الخالق ــ مصوَّرة دار إحياء التراث العربي، بيروت (؟) ــ ج١٣/٧٩

(2) أنظر « موسوعة العلماء... » ــ ق١ ــ ج٥ ــ ص٧٧ ــ ٨٥ ــ رقم ١٦٩٢

(3) أنظر روايته عن فتح طرابلس في عهد الخليفة عثمان، في « تاريخ مدينة دمشق » لابن عساكر ــ (مخطوط الخزانة التيمورية رقم ١٠٤١ تاريخ تيمور) مجلد ٧٦/١٦

(4) أنظر « موسوعة العلماء... » ق١ ــ ج٢ ــ ص٣٠٥، ٣٠٦ ــ رقم ٦٥١، ومن أخباره أنّه نظر إلى عمودٍ من حجر عليه مكتوب كتاباً فلم يُحْسن قراءته، فتعلّم بعد ذلك قراءة اليونانية، فقرأه، فإذا عليه : بنى صيدا : صَيْدون بن سام بن نوح، وهي رابع مدينة بُنِيَتْ بعد الطّوفان. أنظر : « معجم الشيوخ » لابن جُمَيْع الصَّيداوي، بتحقيقنا ــ ص٣٠٧، ٣٠٨ رقم (٢٧٣) ــ طبعة مؤسسة الرسالة ودار الإيمان، بيروت وطرابلس ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(5) أنظر « موسوعة العلماء... » ــ ق١ ــ ج٤ ــ ص٤١ ــ ٤٣ ــ رقم ١٢٣٦

(6) أنظر « الموسوعة... » ق١ ــ ج٣ ــ ص٢٠ ــ ٣٣ ــ رقم ٧٣٥

(7) ورد في تاريخ الرسل والملوك للطبري، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ــ طبعة دار المعارف بمصر ج٤/٢٦٢ « اللّيث بن سعد الفارسيّ » وهو تحريف، والصحيح « اللّيث بن تميم »، وعن « العبّاس بن الوليد » أنظر « التاريخ » ج٣/٤٢١ و« المنتخب من ذيل المذّيل » له، ص٥٧٣ و٥٨٤ و٥٩٢ و٦٥٩ و٦٦٧

(8) تاريخ الطبري ٧٩/٨.

العبّاسيّ (٢٣٢ ـــ ٢٤٧ هـ/٨٤٧ ـــ ٨٦١ م)، وقد روى من طريقه أبو الفرج مُعَافى بن زكريّا الجريري في كتابه.[1]

* والإمام عبد الرحمن بنَ عمْرو الأوزاعيّ،[2] الفقيه المرابط، البَعْلَبَكّيّ المولد (٨٨ هـ) البَيْرُوتيّ الوفاة (١٥٧ هـ)، وقد نقل المؤرّخون بعض الأخبار التي رواها، أو عَايشَها، أو شارك بوقائعها وأحداثها بنفسه، وكان في بعضها مِحْوَراً أساسيّاً يُسْهِم في صنْعها بمواقفه وآرائه. ولِذا يصحّ أن نُطْلِق عليه لقب « شيخ الإخباريّين » في مدرسة بيروت، وكان من أوائل الذين صنّفوا الكتب في الفقه ومسائله، فاحترقت كُتُبُه في زلزال ضرب بيروت وساحل « لبنان » في سنة ١٥٧ هـ. فأتى إليه رجل بنُسَخ لتلك الكُتُب وقال له : أَصْلِحْها بيَدِك. فما عَرَض الأوزاعيُّ لشيءٍ منها حتى مات.[3] ووضع الوليد بن مسلم عنه كتاباً في « السِّيَر »،[4] وجَمَع ابن عساكر كتاباً عن أخباره وسمّاه « أخبار أبي عَمْرو الأوزاعيّ وفضائله ».[5]

وهناك بعض المصنّفين الذين وَصَلَتْنا أسماؤهم ممَّن يُنسبون إلى المدن « اللبنانيّة »، ولكنّهم لم يصنّفوا في فنّ التاريخ البَحْت. مثل :

* خيثمة بن سُليمان القُرَشيّ الأطرابُلُسيّ (٢٥٠ ـــ ٣٤٣ هـ)، وقد وضع

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ـــ لأبي الفرج مُعَافَى بن زكريّا النهرواني الجريري (٣٠٣ـــ٣٩٠هـ) ـــ تحقيق د. محمد مرسي الخولي ـــ طبعة عالم الكتب، بيروت ١٩٨١ ـــ ج١/٤٤٠، و« تاريخ مدينة دمشق » (المخطوط) ج٩/٢٢٠، وتهذيب التاريخ ٤/١٢٣، ١٢٤

(٢) أنظر « موسوعة العلماء... » ق١ ـــ ج٣ ـــ ص٦١ ـــ ١١١ رقم ٧٧٥

(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر ـــ طبعة حيدر أباد ـــ ج٦/٢٤٢

(٤) فهرسة ما رواه عن شيوخه لأبي بكر الإشبيلي ـــ طبعة سرقسطة ١٨٩٣ ـــ ص٢٣٦ وقد حفظ الإمام الشافعي كتاب السير للأوزاعي في كتاب الأم ٨/٣٣٣ ـــ ٣٦٩ طبعة دار المعرفة ببيروت وهو في الفقه.

(٥) معجم الأدباء لياقوت الحموي ـــ ج١٣/٧٩

عدّة مُصنَّفات، منها واحد بعنوان « الرقائق والحكايات »، وَصَلَنا منه الجزء العاشر فقط، ولا تزال أجزاؤه الأخرى مفقودة. [1] ومصنَّفات خيثمة ــ وإنْ حديثيّة المُحْتَوَى والموضوع ــ فإنّها تخدم من جهةٍ أخرى في تسجيل بعض اللّمحات الفكريّة المُعَاشة في مدينة طرابلس خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، وهذه اللّمحات تفيد بشكلٍ أو بآخر في التدوين التاريخي.

* والمحسِّن بن عليّ بن كَوْجَك أبو عبدالله الأديب نزيل مدينة صيدا، الذي روى بها في سنة ٣٩٤ هـ/١٠٠٤ م. حكايات وأمالٍ وأمثالاً وغير ذلك. [2]

* ومحمد بن أحمد بن محمد أبو الحسين المعروف بابن جُمَيْع الغسّاني الصَّيداويّ، كبير محدّثي صيدا ومُسْنِدها (٣٠٥/٤٠٢ هـ)، [3] وله :

ــ « مُعْجم الشيوخ » [4] الذين سمع منهم وأخذ عنهم في البلاد التي رحل إليها، ويظهر أنّ جولته في « لبنان » اقتصرت على مدن الساحل فقط، فأخذ على الشيوخ في بلده صيدا، وفي صور، الصَّرَفَنْد، بيروت، طرابلس، وعِرْقَة، ولم يدخل بَعْلَبَكّ، رغم أنّه طوّف في البلاد ما بين مصر وبلاد فارس مروراً بالحجاز والعراق وبلاد الشام وفلسطين.

ــ « معجم تلاميذه أو سماعاتهم » وهو مصنَّف لم نقف على اسمه

---

(١) قمت بتحقيق ٤ مخطوطات له هي : المنتخب من الفوائد (الجزء الأول)، وفضائل الصحابة (الجزء السادس)، وفضائل أبي بكر الصّدّيق (الجزء الثالث)، والرقائق والحكايات (الجزء العاشر) عن عدّة نُسَخٍ من المكتبة الظاهرية بدمشق، ومكتبة تشستربيتي بدبلن، وصدرت في كتابٍ بعنوان « من حديث خيثمة بن سليمان... » عن دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٠

(٢) إنباه الرُّواة على أنباء النُّحاة للقفطي ــ طبعة دار الكتب المصرية ــ ج٣/٣٧٣، ٢٧٤، تاريخ دمشق (مخطوطة التيمورية) ٥٦٢/٤٠، ٥٦٣، معجم الأدباء ٨٩/١٧

(٣) أنظر « موسوعة العلماء... » ــ ق ١ ــ ج ٤ ــ ص٨٨ ــ ١٠٠ ــ رقم ١٣٠٢.

(٤) قمت بتحقيق النسخة الفريدة منه بمكتبة لَيْدن، وصدر عن مؤسسة الرسالة ودار الإيمان، بيروت وطرابلس ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م

الصحيح، غير أنّه يتضمّن سماعات الخلْق الذين سمعوا من ابن جُمَيْع، ويظهر أنّه كان يتألف من عدّة أجزاء كانت موجودة عند حفيده أبي الحسين أحمد بن الحسن، رآها أبو محمد النخشبيّ. [1]

* ومحمد بن عليّ أبو عبدالله الصُّوريّ الحافظ (٣٧٧/٦ ـــ ٤٤١ هـ) [2] له كثير من المصنَّفات في مُصْطلح الحديث، وجَرْح وتعديل الرجال وطبقاتهم وأنسابهم، وتوثيق الأخبار والروايات. وقد استفاد من مصنَّفاته تلميذه المؤرّخ الحافظ المعروف بالخطيب البغداديّ. [3]

* والحسين بن محمد بن أحمد بن جُمَيْع الصَّيْداويّ المعروف بالسُّكَّن المتوفى سنة ٤٣٧ هـ. [4] كتب بخطّه أحاديث انتقاها من سماعاته عن أبيه وجدّه وجميع شيوخه، وَصَلَنا منها جزء واحد. [5]

* وأبو طاهر الصُّوريّ، [6] له مصنَّف جمع فيه أسماء شيوخه من الطرابلسيّين الذين لقِيَهم، وتَتَلْمَذ عليهم. وقد اطّلع عليه غيث بن عليّ الصُّوريّ ونقل عنه. [7] وهو من المصنّفات المفقودة.

* وأبو الفرج غيث بن عليّ بن عبد السلام الأرمنازيّ الصُّوريّ (٤٤٣ ـــ

---

(١) الأنساب للسمعاني ـــ تحقيق محمد عوّامة ـــ نشره محمد أمين دمج ـــ بيروت ـــ ج١١٧/٨

(٢) أنظر « موسوعة العلماء... » ـــ ق١ ـــ ج٤ ـــ ص٢٧٥ ـــ ٢٩٣ ـــ رقم ١٥٣٩

(٣) معجم الأدباء لياقوت الحموي ـــ ج٢٤٩/١

(٤) أنظر : « موسوعة علماء المسلمين... » ـــ ق ١ ـــ ج ٢ ـــ ص٧١٦ ـــ رقم ٤٤٩.

(٥) نشرناه مُلْحَقاً بمعجم الشيوخ لابن جُمَيْع الصيداوي المذكور قبل قليل

(٦) بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم الحلبي ـــ مصوّرة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة، رقم ٩٢٩ تاريخ ـــ ج١/١٦٠أ.

(٧) مدرسة الشام التاريخية من قبل ابن عساكر ومن بعده ـــ د. شاكر مصطفى ـــ ص٣٩٠ (بحث في ذكرى ابن عساكر بدمشق ١٩٧٩)

٥٠٩ هـ) [١] كان خطيباً ومحدّثاً في المسجد الجامع بصور، وضع للمدينة تاريخاً ولكنّه لم يتمّه، [٢] وقد وصلت نسخته المخطوطة إلى الحافظ ابن عساكر الدمشقيّ فنقل عنه في « تاريخ دمشق » [٣] ومن تلك النقول نعرف أنّ كتاب غيْث الصُّوريّ لم يكن كتاباً في التاريخ بالمعنى الصحيح، وإنّما كتاب تراجم وتعريفٍ بالشيوخ الذين لقِيَهم أو الذين نزلوا صور واجتمع بهم

---

(١) أنظر عنه « موسوعة علماء المسلمين... » ــ ق٢ ــ ج٣ ــ ص١٣٢ ــ رقم ٨٣٨ ويضاف عليها : عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي ٦٣/١٢ ومعجم الأدباء لياقوت ٢٥٨/١٣، وذيل تاريخ بغداد لابن النجار ٨٣/١٧، وهو من مواليد « صور »، وليس من مواليد « أرمناز » التي عند حلب : كما يقول الدكتور شاكر مصطفى، وهو نفسه الذي ورد ذكره في « معجم الأدباء » لياقوت ١٥/٤، وليس غيره كما يقول أيضاً الدكتور شاكر مصطفى (أنظر بحثه : مدرسة الشام التاريخية ــ ص٣٩٨ بالمتن والحاشية). ويضيف الدكتور الفاضل نفسه اسم أحد رجال الحديث إلى قائمة المؤرّخين في مدرسة الشام هو : (ابن محبوب أبو الحسن عليّ بن عبد الله بن محبوب الطرابلسي ــ توفي سنة ٥٢٢هـ. ذكر السِّلَفي في « معجم السفر » أنّه « صنَّف تُوَيْريخاً لطرابلس وقفتُ عليه، وقد كتب عنّي مؤلَّفُهُ كثيراً وحدّثني به... وانتخبت منه ما استغربته... ») البحث نفسه ص٣٩٩ نقلاً عن « معجم السفر » مصوَّرة دار الكتب المصرية، رقم ٣٩٣٢ تاريخ ص٢٩٩، والإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ أهل التوريخ للسخاوي الذي نشره الدكتور صالح أحمد العلي في كتاب « علم التأريخ عند المسلمين » لفرانز روزنتال ــ طبعة المثنّى بغداد ١٩٦٣ ــ ص٦٣٥ و« وأقول » : إنّ ابن محبوب هذا من أهل طرابلس الغرب وليس طرابلس الشام، كما يؤكّد ذلك ياقوت الحموي الذي ذكره في مادّة « طرابُلُس » الإفريقية (معجم البلدان ــ ج ٢٤/٤ ــ (طبعة صادر، بيروت ١٩٧٧ ــ المصوَّرة عن نسخة المستشرق وستنفيلد ــ طبعة لَيْبزك). وقد ذكر الدكتور صالح أحمد العليّ اسم « عنيسة بن عليّ » بدلاً من « غيْث بن عليّ » وهو تصحيف واضح. (أنظر : علم التأريخ ــ ص٦٣٥ ــ ملحوظة رقم (٢٦) بالحاشية)، وهو الذي ذكر أنّه غير غيث بن عليّ الصوّريّ الذي كان مدرّساً وزميلاً للخطيب البغدادي، ونقل عنه هذه الملحوظة الدكتور شاكر مصطفى دون تمحيص، فاقتضى منّا هذا التنويه.

(٢) معجم البلدان ١٥٨/١، تاريخ دمشق ٤٠٠/١ و٣٧٨/٣٤ ــ ٣٨٠، الأنساب ١٢٧

(٣) أنظر على سبيل المثال لا الحصر : تاريخ دمشق ٣٨٩/٧ و٢٥/١٠ و٢٧٦ و٣٥٠/٢٣ و١٠٢/٢٩ و٤٨٣/٣١ و٣١٤/٣٤ و٥٤٠/٣٥ و١٣/٣٩ و١٤ و١٦٤/٤١.

فيها من فقهاء ومحدّثين وأدباء وشعراء ... وهو يُفيد في تصوير الحياة العلمية في ساحل « لبنان » وفي مدينة صور على وجه الخصوص في القرن الخامس الهجري. كما أنّ له كتاباً آخر عن دمشق، ولا يبعد أن يكون على غرار « تاريخ صور ».

* والمحنّك أبو عبدالله محمد بن الحسن القاضي المرتَضَى (توفي سنة ٥٤٩ هـ)، وهو طرابُلسي الأصل، دخل في خدمة الخلافة الفاطمية وكتب « تاريخ خلفاء مصر »،[1] وهو كتاب مفقود حتى الآن، ويظهر من عنوانه أنّه خاصّ بتاريخ الخلفاء الفاطميين في مصر.

* * * *

ثانياً : إنَّ حركة التدوين التاريخيّ لم تظهر واضحةً إلّا في أواخر القرن الثاني الهجري، وبعد قيام الدولة العبّاسيّة، وقد استأثرت أخبار الخلافة والخلفاء في بغداد باهتمام المؤرّخين، فدوَّنوا يوميّات الخليفة، وأخبار عاصمة الخلافة، وأهملوا أخبار وحوادث المدن الأخرى إلّا بالنّزر اليسير، خصوصاً النائية منها. ولا شكّ أنّ بُعْد المسافات وصعوبة الاتّصالات مع العاصمة المركزية في ذلك الوقت أسهم في عدم وصول المعلومات والأخبار بشكلٍ سريعٍ، وبالتالي لم تأخذ طريقها في التدوين التاريخيّ، ولعلّ المؤرّخين المسلمين كانوا يتحرّجون في تدوين أخبار المدن البعيدة بدافعٍ من الحيْطة والحِرْص على تَوَخّي الصِّدْق في تلقّي المعلومات التي قد يشكّون في أمانة ناقلها إذا لم يتوافر على نقلها جماعةٌ من الثّقات، أو إذا لم تأتِ في مراسلاتٍ رسمية.

* * * *

(١) مدرسة الشام التاريخية... ــ د. شاكر مصطفى ــ ص٤٠١ و٤٠٢

ثالثاً : إنّ « لبنان » بحدوده الجغرافية المتعارف عليها الآن سياسيّاً، لم يكن خلال الفترة التي ندرسها هنا إلّا إقليماً طبيعيّاً من بلاد الشام، تابعاً للسلطة المركزية في دمشق تارةً (العهد الأمويّ) وللسلطة المركزية في بغداد تارة (العهد العبّاسي)، وللسلطة المركزية في الفُسطاط، والقطائع، ثم القاهرة — تارةً بعد أُخرى — (العهد الطولوني، العهد الإخشيدي، ثم العهد الفاطميّ)، ولهذا كانت عمليّة التأريخ لمُدُنه « تُصَنَّع » خارج « حدوده »، أي أنّه كان بلد « استيرادٍ » للمدوّنات التاريخية، وليس بلد « تصدير » وإنْ كان هذا العجز في « التبادل » قد أخذ يميل الى التحسُّن نوعاً ما بعد حركة الحروب الصليبيّة، بظهور عددٍ من المؤرّخين « اللبنانيّين »، أمثال : « قُطب الدين اليُونيني » من بلدة يُونين البقاعية (توفي سنة ٧٢٦ هـ)،[1] ، و« برهان الدين البقاعيّ إبراهيم بن عمر الرباط »،[2] و« صالح بن يحيى البحْتُريّ البَيْروتيْ »،[3] و« حمزة بن أحمد بن سباط العالَيْهيّ »، من بلدة « عالَيْه » بجبل لبنان،[4] وغيره ممّن جاء بعدهم.

* * * *

(١) وُلد سنة ٦٤٠ هـ. قرأ عليه الحافظ الذهبي في دمشق وبعلبك: وله: « ذيل على مِرْآة الزمان » لسِبْط ابن الجوْزي، نُشِر قسمٌ منه، وبقي القسم الآخر دون نشر (ذيل طبقات الحنابلة — لابن رجب الحنبلي ٣٧٩/٢، ٣٨٠، من ذيول العبر للحُسَيْني ١٤٥ و١٤٦، البداية والنهاية لابن كثير ١٢٦/١٤، الدرر الكامنة لابن حجر ١٥٣/٥، المنهل الصافي لابن تغري بردي — نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية، رقم ١١١٣ تاريخ — ج٣٧٧/٣)

(٢) وُلد سنة ٨٠٩هـ. وتُوُفي سنة ٨٨٥هـ. وهو من أهل قرية « خِرْبة رُوحا » بالبقاع. له ما يربو على خمسين مصنَّفاً، أهمّها في التاريخ « عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران »، وهو لا يزال مخطوطاً (نظْم العقْيان للسيوطي ٢٤ و٢٥، التاج المكّلل للقنوجي — ص٣٥٨، هديّة العارفين ٢١/١، ٢٢، الضوء اللامع للسخاوي ٤٩/٥).

(٣) من مؤرّخي القرن التاسع الهجري، له « تاريخ بيروت » وقد طُبع مرّتين

(٤) له كتاب في التاريخ لا يزال مخطوطاً في جزءين، نُسخته في مكتبة الفاتيكان، ومنها نسخة مصوَّرة بالجامعة الأمريكية في بيروت، ونسخة في باريس، نعمل على تحقيقه قريباً إن شاء الله.

رابعاً : إنّ المدلول الجغرافيّ لكلمة « لبنان » لم يكن واضحاً ومحدَّداً عند المؤرّخين والجغرافيين العرب والمسلمين.[1] وكانت الرقعة الجغرافيّة تَضيق وتتّسِع حسْب مفهوم كلٍّ منهم. وهذا مَدْعاةٌ للمُعَاناة في البحث لارتباط الإطار الجغرافيّ بالفِعْل التاريخيّ. وكثيراً ما يرد في المصادر العربية لفْظ : « ساحل الشام » و« ساحل دمشق ». ففي اللّفْظَ الأوّل يشكّل « لبنان » الجزءَ الجنوبيّ من ساحل الشام، وإذا كانت الأخبار تتعلّق بـ« ساحل الشام » فإنّها قد تشمل « لبنان » أو جزءاً منه، أو أنّها لا تتناوله مُطْلَقاً.

أمّا إذا كانت الأخبار تتعلَّق بـ« ساحل دمشق »، فهي تتناول « لبنان » أو جزءاً منه بشكلٍ مؤكَّدٍ. فتعبير « ساحل دمشق » في كتابات المؤرّخين يتناول جُمْلةَ المدن والقرى والثغور الواقعة بين « عِرْقة » في الشمال، و« عَذْلون » في الجنوب، وما يوازيهما من البلاد في الداخل. أمّا « الصَّرَفَنْد » وما يليها من الجنوب وما يوازيها، فمن أعمال « ساحل الأردنّ ».

وبمعنى آخر وأوضح، فإنّ كُلًّا من : عِرْقة، وطرابُلُس، وأَنَفة، والبَتْرُون، وجُبَيْل، وجُونِيَة، وبيروت، وصيدا، وعَذْلون (على الساحل)، وبَعْلَبَكّ، ويُونين، وكَرْك نوح، وعين الجرّ (عنجر)، والبقاع (في الداخل)، وجبل لبنان، وفيه الحَدَث، والمُنَيْطرة، وغيرها مثل إقليم الغرب (في الوسط) من جُنْد دمشق.

وإنّ كُلًّا من : الصَّرَفَنْد، وصور (على الساحل)، وتِبْنين، والنَّبَطِيَّة، وجزّين، وأرنون، وشقيف أرنون، وجبل عامل، ووادي التَّيْم (في الداخل) من جُنْد الأردنّ.

---

(١) أنظر حول هذا الموضوع: كتاب « آراء وأبحاث » للدكتور أسد رستم — بيروت ١٩٦٧.

قال أبو دهبل الجُمَحي : لما قلت أبياتي التي قلت فيها :

اعلم بأنّي لمن عاديت مُضْطَغِنٌ ضَبّاً وأنّي عليك اليوم محسود

قلت فيها نصف بيت :

وأنّ شكـرك عنـدي لا انقضـاء لـه

ثم أُرتج عليّ، فأقمت حولين لا أقع على تمامه، حتى سمعت رجلاً من الحاج في الموسم يذكر لبنان، فقلت : ما لبنان ؟ فقال : جبل بالشأم، فأتممت نصف البيت :

مـا دام بالهضـب مـن لبنـان جُلمـودُ [1]

* * * *

خامساً : إنّ عدّةً وافرة من المؤرّخين نزلوا « لبنان » وأخذوا عن شيوخه، ورغم ذلك فإنّ معلوماتهم التاريخيّة التي دوّنوها عنه لا تزيد على ذِكْر أسماء الشيوخ الذين أخذوا عنهم. فها هو « ابن جرير الطبريّ » المؤرّخ الكبير، ينزل بيروت، ويحفظ القرآن الكريم بالقراءآت على المقرئ العبّاس بن الوليد بن يزيد العُذْرِيّ البيروتي (١٦٩ ـــ ٢٧٠ هـ)[2] وحين صنّف تاريخه الضّخْم، أغفل بشكلٍ يدعو للإستغراب أيّ خبرٍ عن بيروت، بلد شيخه وأستاذه، فلم يتعرّض لها على الإطلاق، كما لم يذكر شيئاً عن فتح المسلمين للمدن اللبنانية، رغم أنّه تتبّع حركة الفتوحات الإسلامية في مختلف أقطارها واتّجاهاتها.

وهذا مِثالٌ واحد من أمثلةٍ كثيرةٍ يمكن أن نسوقها في هذا المجال. ومن جهة أُخرى فإنّ هناك مجموعةً مفقودة من المصنّفات الهامّة لتي نعتقد أنّها لو وُجِدَتْ، ستَمُدُّنا ببعض المعلومات التاريخية القيّمة عن « لبنان »، ومنها :

---

(١) الاغاني ١٣٠/٧.

(٢) تاريخ دمشق ٥٧٩/١٩، معجم الأدباء ٥٢/١٨، معرفة القرّاء الكبار للذهبي ٢١٣/١

ـــ للمسعوديّ (المتوفّى ٣٤٦ هـ) كتاب « أخبار الزمان ومَن أبادَه الحَدَثان »، و« عجائب البُلدان والغامر بالماء والعُمران »، وهو كتاب ضخْم لم يُطْبع منه إلّا جزء يسير، ولا يزال معظمه مفقوداً. و« الكتاب الأوسط »، وكتاب « فنون المعارف وما جرى في الدهور السَّوالف »، وكتاب « نظْم الجواهر في تدبير الممالك والعساكر » وكتاب « الاستذكار لِما جرى في سالف الأعصار »، وغيرها من الكتب.[١] والمسعوديّ هو أوّل مؤرّخ مسلم يتحدّث عن مواطن « المَوارِنة » في القرن الرابع الهجريّ في « التنبيه والإشراف ».[٢] وهو ينفرد بين جميع المؤرّخين المسلمين بالإشارة إلى غزوة « ليو الطرابُلُسيّ » أمير البحر الى مدينة سالونيكا اليونانية.[٣] ويعرِّف به أنّه صاحب طرابلس، حين زارها بعد سنة ٣٠٠ هـ.[٤] ولذا نعتقد أنّ هناك معلوماتٍ لا تقلّ أهميّة عن هذه، موجودة في واحد من كُتُبه المفقودة.

ـــ ولأبي الحسين إدريس بن إبراهيم الواعظ البغداديّ، كتاب « أُنْس الجليس ومَسَرَّة الأنيس » : يروي فيه عن « خَيْثَمَة بن سُليمان » كبير المحدّثين الطرابلسيّين، وعن « خُراسان بن عُبَيْدالله الأطرابُلُسِيّ »، وهو والد أمير طرابلس الذي مدحه « أبو الطّيّب المتنبّي » بين سنتي (٣٢٥ ـــ ٣٣٠ هـ)،[٥] وعن أبي القاسم عليّ بن محمد الصّوريّ.[٦] كما يروي عن

---

(١) أنظر قائمة بأسماء مصنّفات المسعودي في مقدّمة كتابه « أخبار الزمان ».

(٢) طبعة دار التراث ـــ بيروت ١٩٦٨ ـــ ص١٣١

(٣) أنظر تفاصيل غزوته في كتابنا « تاريخ طرابلس السياسي والحضاري » ـــ طبعة ثانية ـــ ص٢١٥ وما بعدها ـــ بيروت، طرابلس ١٩٨٥

(٤) مروج الذهب ـــ أنظر الفهارس العامّة لشارل بلاّ ـــ ج ٦١٢/٧ ـــ منشورات الجامعة اللبنانية، (٤٤) الموسوعة ـــ ق١ ـــ ج٤٥٣/١ ـــ رقم ٢٦٧، بيروت ١٩٧٩

(٥) ديوان المتنبّي، بتحقيق د. عبد الوهاب عزّام ٢١٦ و٢١٧.

(٦) أنظر « موسوعة علماء المسلمين... » ـــ ق١ ـــ ج٣ ـــ ص٣٦٠ ـــ رقم ١١٢١

غيرهم من الشيوخ. وقد ذكره « ابن عساكر »، وقال : إنّ الخطيب لم يذكره في « تاريخ بغداد ». [1]

ــ ولأبي الفتح الكراجكيّ محمد بن عليّ بن عثمان، رحلة، أشار إليها الحافظ ابن حجر، ذكر فيها مباراة الخطابة التي جرت بين الخطيب البغدادي المؤرّخ، والحسين بن بِشْر، قاضي طرابلس والناظر على دار العِلم بها. [2] والكراجكيّ من العلماء الفلاسفة ومن المصنّفين المُكْثِرين، وضع عدّة مصنّفات بناءً لطلب أعيان طرابلس[3]، وصيْدا،[4] وصور،[5] وتُوفي في هذه الأخيرة سنة ٤٤٩ هـ.[6] ولو وصلتْنا « الرحلة » لَوَقَفْنَا منها على معلوماتٍ غزيرة، ولا شكّ، عن مُدُن « لبنان » الساحلية في النّصف الأول من القرن الخامس الهجري.

---

(١) الموسوعة ــ ق ١ ــ ج ٤٥٣/١ ــ رقم ٢٦٧.

(٢) لسان الميزان ــ لابن حجر ٢٧٥/٢

(٣) ألّف فيها : « عدّة البصير في حجّ يوم الغدير » و« نهج البيان » لأبي الكتائب ابن عمّار، و« مختصر طبقات الوارث » وهي رسالة للمبتدئين في طرابلس، و« البستان » في الفقه، للقاضي أبي طالب ابن عمّار، و« تلقين أولاد المؤمنين » في كرّاستين، و« الاستطراف في ذكر ما ورد من الفقه في الإنصاف » ألّفه لأبي الفتح عبد الحاكم قاضي طرابلس، و« مسألة البيان عن جُمَل اعتقاد أهل الإيمان » وهي رسالة في عقائد الإماميّة.

(٤) ألّف فيها : « المجالس في مقدّمات علم الكلام » ألّفه لصارم الدولة ذي الفضيلتين ؟ و« الزاهد في آداب الملوك » لصارم الدولة أيضاً، و« الإيضاح عن أحكام النكاح » ألّفه بأمر الأمير ذُخر الدولة (؟) سنة ٤٤١هـ. و« انتفاع المؤمنين بما في أيدي السلاطين » ألّفه لأهل صيدا، و« تسلية الرؤساء » ألّفه للأمير ناصر الدولة » (؟) و « المنهاج في معرفة مناسك الحاجّ » ألّفه لصارم الدولة ذي الفضيلتين

(٥) ألّف فيها « الأصول في مذهب آل الرسول » في سنة ٤١٦هـ.، و« روضة العابدين ونُزهة الزاهدين » من ثلاثة أجزاء في الفقه، ألّفه لابنه موسى. و« التعريف بوجوب حقّ الوالدين »، وصيّة إلى ولده (مطبوعة بطهران ١٣٧٠هـ.).

(٦) أنظر عنه « موسوعة علماء المسلمين » ــ ق١ ــ ج٤ ــ ص١٩٤ ــ رقم ١٥١٤

ــ ولأمين الدولة أبي طالب عبدالله بن عمّار، صاحب طرابلس، كتاب يُعرف بـ« جراب الدولة ». [1] يظهر أنّه فُقِد بعد احتلال الصليبيّين لطرابلس وإحراقهم لدار عِلْمِها ومكتبتها التي ذاع صيتُها في عالم العصر الوسيط. [2]

ــ ولابن أبي طيّ يحيى بن حامد الحلبي (٥٧٥ ــ ٦٣٠ هـ) عدّة مصنّفات في التاريخ، ولكنّه يكاد يكون المؤرّخ الوحيد الذي خانه الحظّ، حيث فُقِد جميع نتاجه في ظروفٍ نجهلها، ربّما تعود لتشيُّعه. ومن مصنّفاته التي نعتقد أنها تتضمّن معلوماتٍ هامّة عن تاريخ « لبنان » : « معادن الذّهَب في تاريخ الملوك والخُلَفاء وذوي الرُّتَب »، وهو في عدّة مجلّدات، و « حوادث الزمان على حروف المُعْجَم » في خمس مجلّدات، و « ذيل معادن الذّهب »، وهو تتمّة لتاريخ الملوك والخلفاء، و« سِلْك النظام في تاريخ الشام » و« تراجم رجال الأدب والشعراء »، و« أسماء رُواة الشيعة ومصنّفيها »، و« اشتقاق أسماء البلدان ». [3] ونحن نرى أنّ مصنَّفات ابن أبي طيّ، لو وصَلَتْنا لأَفَدْنا منها بثروةٍ من المعلومات التي انفرد بها عن المؤرّخين المعاصرين له، وخاصّة فيما يتعلّق بالعصر الفاطميّ، نظراً لتشيُّعه، وأنّ المعلومتين اللّتَيْن وصَلَتا إلينا ــ عن طريق المؤرّخين المتأخّرين الذي نقلوا عنه أو بوساطته، حول مناظرة « ابن بِشْر » و« الخطيب البغداديّ » في طرابلس، ووصفِه الدقيق لعمليّة إحراق مكتبة دار العِلْم على يد الصليبيّين سنة

(١) الأعلاق الخطيرة ــ لابن شدّاد ١٠٧/١ بتحقيق د. سامي الدّهّان، تاريخ ابن الفرات ــ تحقيق د. قسطنطين زريق ــ ج٧٧/٨، العِبَر في ديوان المبتدا والخبر ــ لابن خلدون ــ ج٨٦٥/٥ ــ طبعة بيروت.

(٢) أنظر كتابنا « دار العلم في القرن الخامس الهجري، من تاريخ طرابلس الحضاري » ــ طبعة دار الإنشاء بطرابلس ١٩٨٢، وكتابنا « الحياة الثقافية في طرابلس الشام خلال العصور الوسطى » ــ طبعة دار فلسطين للتأليف والترجمة، بيروت ١٩٧٣

(٣) مدرسة الشام التاريخية... ــ د. شاكر مصطفى ٣٦٧ و٣٦٨

(٥٠٢ هـ) ـــ تدلّان على غزارة المادّة التاريخية عنده بالنسبة للمدن اللبنانية في العصر الفاطمي.

وفي واقع الأمر، إذا شئنا أن نستَرسل في تعداد المعوِّقَات التي تواجه الباحث للتأريخ للمدن « اللبنانيّة »، لَطَال بنا الأمر، بحيث يُخشَى معه الخروج عن الموضوع الأساسيّ، وقد آثرت أن أركب المركب الصَّعْبَ، رغم المُعَانـاة من ضحالة المادّة التاريخيّة المتوفّرة في المصادر العربية القديمة، وأبدأ بحركة الفتح الإسلامي للمدن « اللبنانية ».

القسم الأول

التاريخ السياسي

- الفتح الإسلامي لـ « لبنان »
- مدن « لبنان » الساحلية ودورها في غزو جزر البحر المتوسط
- العصر الأموي
- سياسة الإسكان في « لبنان »
- الموارنة في « لبنان »

الفتح الإسلامي لـ« لبنان »

فتح مدينة بَعْلَبَكّ

يبدأ تاريخ الاحتكاك الحربيّ بين العرب المسلمين وأهل المدن « اللبنانية » في وقت مبكّر، سبق فتح المسلمين لدمشق، وكان ذلك الاحتكاك مع أهل مدينة بَعْلَبَك، وبالتحديد عند حضور خالد بن الوليد من العراق إلى الشام لنجدة المسلمين في فلسطين سنة (١٣ هـ/٦٣٣ م)، وبعد خروج سرايا المسلمين الثلاث، بقيادة :

عمرو بن العاص : إلى فلسطين ومصر، ويزيد بن أبي سفيان : إلى بلاد الشام، وشُرَحْبيل بن حَسَنَة : إلى الأردنّ.

فقد عبر خالد بادية الشام عبر مدينة تدمر، حيث أخذها صُلْحاً، ثمّ مرّ في طريقه على « حوّارين » من جبل « سَنِير » الواقع بين حمص وبَعْلَبَكّ فتحصّن أهلها منه، فأغار عليهم واسْتاق مواشِيَهم وقتل رجالهم، وأقام عليهم أيّاماً، فبعثوا إلى من حولهم ليمُدُّوهم، فجاءَهم المَدَدُ من بَعْلبَكّ وبُصْرَى الشام.[1] فلمّا رأى خالدُ ذلك صفَّ النّاسَ ثمّ تجرّد في مِئَتيْ فارس، وحمل على أهل

(١) فتوح البلدان ١٣٢/١، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس — للديار بكري ٢٥٨/٢

بَعْلَبَكّ، وهم أكثر من ألفي رجلٍ، فقصف بعضهم على بعضٍ، وقتل منهم مقتلةً عظيمة، وما وقفوا له ساعةً حتى انهزموا ودخلوا الحصن إلى أن انتهى أمرُهم بالصُّلْح.[1] وقد قام خالد بتفريق جيشه على القادة في بلاد الشام، فوجّه فرقة مع عمرو بن العاص الى فلسطين، وفرقة الى بصرى مع شُرَحْبيلَ بن حسنة، ودعا معاذ بن جبل فضم إليه ألفي فارس ووجّه به الى بعلبك، وفرقة الى حمص مع خالد بن سعيد بن العاص، وفرقةٍ الى حوران مع سعيد بن عامر بن خذيم.[2]

وفي السنة التالية (١٤ هـ/٦٣٤ م)، وفيما كان المسلمون يحاصرون دمشق، وصلت نجدة من جيش الروم في أنطاكية، إلى بَعْلَبَكّ لمساعدة أهل دمشق، تتألّف من عشرة آلاف رجل عليهم « درنجاران »، كلّ « دَرَنْجَار »[3] على خمسة آلاف. وما إنْ دخلوا بَعْلَبَكّ حتى علموا بسقوط دمشق بيد المسلمين، فلبثوا مُقيمين في بَعْلَبَكّ، بانتظار تعليمات الامبراطور هِرَقْل.

وكان أبو عُبَيْدة بن الجرّاح ـــ القائد العامّ ـــ حين مُنازلته لدمشق، أمر عَمْرَو بنَ العاص أنْ يسير عبر الأردنّ إلى فلسطين، فخرج عمرو فواقَعَ أهلَ الأردنّ وفلسطين، وأقام عليهم القيامة، وضيّق عليهم أشدَّ التَّضييق حتى تضاعف رُعْبُهُم وخوفهم على مُدُنهم، وعندما وصلتهم أخبار سقوط دمشق، بعثوا إلى هِرَقْل، وهو في أنطاكية، ليُنجدهم، فأرسل إلى الجيش الذي كان يرابط في بَعْلَبَكّ ليخرج إلى فلسطين. ولقد شعر عَمْرو بن العاص بخطورة

---

(١) فتوح الشام ـــ للأزدي ٧٨، وللبلاذري (فتوح البلدان) ١٣٢/١، نهاية الأرب ـــ للنويري ـــ ج١٩/١١٩

(٢) الفتوح لابن أعثم ١ /١٤٢

(٣) وردت « الدَيْرَجَانيّة » .بصيغة الجمع في « فتوح الشام » المنسوب للواقديّ ـــ ج١/٧٧، ووردت « طَرَنْجار » (بالطاء) وهو قائد على ألف. (أنظر : نُبَذ من كتاب الخراج ـــ لقُدَامة بن جعفر ـــ ص٢٥٦).

الوضع عندما رأى تجمُّعَ الرُّوم من أنحاء البلاد وتصميمهم على التصدّي لقوّاته، ولِذا بعث إلى أبي عُبَيْدة يُطْلِعُهُ على خطورة الموقف.

كان أبو عُبَيْدَة على نيّة الخروج لمُنَازلة حمص، حين وَصَله كتابُ عَمْرو، فاستشار أصحابه فيما يفعل، فأشار عليه يَزيد بن أبي سُفْيان بإمداد عَمْرو بالجُنْد والثّبات على قتالهم، وأن يُقيم أبو عُبَيْدة في مكانه فلا يقصد حمص. ولكنّ خالداً أشار عليه أنْ ينظر ما يصنع الجيش الذي في بَعْلَبَكّ « فإنْ هم خرجوا منها وساروا إلى إخواننا سِرْتَ إلى إخوانك فلقيتَهُم بجماعة الناس، وإنْ هم أقاموا ولم يبرحوا أمْدَدْتَ عَمْراً، وأنفذت إلى هؤلاء من يقاتلهم، وأقمت أنت بمكانك... ».[1] فبعث أبو عُبَيْدة شُرَحْبيلَ للّحاق بعَمْرو، وطمْأنه بأنّه سوف يبعث إلى بَعْلَبَكّ من يَشْغل الجيشَ المُرابط فيها عن الخروج منها. وعزم أبو عُبَيْدة أنْ يخرج بنفسه إليها، ولكنّ خالداً تقدّم لمُنازلتها على رأس خمسة آلاف فارس، بعد أن أوصاه أبو عُبَيْدَة بقوله : « ... يا خالد، إنّي أوصيك بتقوى الله ، وإذا أنت لقِيت القومَ فلا تُناظِرْهم، ولا تُطاوِلْهم في حصونهم، ولا تَذْرهم يأكلون ويشربون وينتظرون أن تأتيَهم أمدادُهم، فإذا لقِيتَهم فقاتِلْهم، فإنّك إنْ هزمتهم انقطع رجاؤهم، وسقط في خَلَدهم، وساء ظنّهم. وإن احتجت إلى مَدَدٍ فأعْلِمْني حتى يأتيك من المَدَد حاجتُك. وإن احتجتَ أنْ آتيك بنفسي أتيتُك إنْ شاء الله ».[2]

وقبل أن يصل خالد إلى بَعْلَبَكّ، كان الأمبراطور هِرَقْل قد أرسل إلى الجيش فيها يأمره باللّحاق بالروم المحاصَرين في بيسان، فخرج الجيش ومعه جمْعٌ وفير من أهالي بعلبكّ ممّن هم على دينهم، وانضمّ إليهم عدد وفير من

---

(١) الأزدي ١٠٦ ــ ١٠٨

(٢) الأزدي ١٠٩ وقارن بالنّصّ المنسوب لابن أعثم الكوفي في « الفتوح » ــ ج١/١٧٥، ١٧٦ ــ طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن بالهند ــ ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

نصارى حمص « غَضَباً لدينهم وشفقةً من أن تُفتح مدينتهم كما فُتحت مدينة دمشق ».

وعندما وافى خالدُ بَعْلَبَكّ، كان مجموع ما خرج منها أكثر من عشرين ألف رجل، فأغار على نواحيها وقتل من أدرك من الرجال وسبى من وجد من الذُّرِّيّة، واستاق معه من الأغنام والبقر والمتاع شيئاً كثيراً. وعاد إلى دمشق ليُخبر أبا عُبَيْدة بخروج الجيش من بعلبكّ إلى بيسان،[1] فأرسله أبو عُبَيْدة نجدةً لعمرو، ثم لحِق به بعد أن استُخْلِف يزيد بن أبي سُفيان على دمشق، فتحوَّل الروم إلى « فِحْل »[2] من أرض الأردنّ، فجاءهم المسلمون، بجُمُوعهم، وانضمّت إليهم القبائل العربيّة النازلة في تلك النواحي من : لخم وجذام، وغسّان، وعامِلة، والقيْن، وقُضاعَة، فكثُر عددهم، وراح أهل « فِحْل » من النّصارى الوطنيّين يراسلون المسلمين، فيقدّمون رِجْلاً ويؤخّرون أخرى، وهم يقولون :

« ... يا معشر المسلمين، أنتم أحبُّ إلينا من الروم، وإنْ كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا وأرأف بنا وأكفُّ عن ظُلْمنا. وأحسنُ ولايةً علينا، ولكنّهم (أي الروم) قد غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا ».[3]

وأقام المسلمون يحاصرونهم مدّةً من الوقت حتى أخذوا « فِحْل » صُلْحاً، أمّا أرض الأردنّ وقُراها فأخذوها عَنْوةً.

عاد أبو عُبَيْدَة وخالد إلى دمشق، ومنها خرجا إلى أرض البقاع وبعلبك،[4]

---

(١) الفتوح لابن أعثم — ج ١٧٦/١.

(٢) قال أبو عبد الله الصُّوريّ الحافظ : في الأصل « فَحِل » بكسر الحاء، والمحفوظ سكونها. (تهذيب تاريخ دمشق ١٣١/١)

(٣) الأزدي ١٤٠

(٤) تاريخ اليعقوبي ١٤١/٢، تهذيب ابن عساكر ١٦٠/١، التاريخ المجموع على التحقيق ١٦

فغلب خالد على أرض البقاع، واتّجه شمالاً حتى نزل قِبْلِيَّ بَعْلَبَكّ، فخرج إليه رجال من أهلها، فأرسل إليهم نحْواً من خمسين فارساً، منهم « مِلْحان بن زياد الطّائيّ »[1] و« بِنان بن حازم القَيْسيّ »[2] و« قِنان بن دارم العبْسيّ »،[3] فحملوا عليهم وأجبروهم على الإنكفاء والاحتماء في حصن المدينة.[4]

ويبدو أنّ خالد بن الوليد كان يصطحب معه ابنَه عبدَ الرحمن عند حصار بَعْلَبَكّ، حيث قال فيه الشاعر كعب بن جُعَيْل بعد موته :

ألا تبكي وما ظَلَمَتْ قريْشٌ بإعوال البُكاء على فتاها
فلو سُئلتْ دمشقُ وَبَعْلَبَكٌّ وحمص : من أباح لها حِماها
فسيْفُ الله أدخَلَها المَنَايا وهدم حِصْنها وحَوَى قُراها[5]

(1) ضبطه الدكتور صلاح الدين المنجّد في « فتوح البلدان ١/١٥٥ » هكذا : « ملحان بن زيار » بالراء، والصحيح « زياد » بالدّال، ذكر الأزدي أنّه أخا عديّ بن حاتم الأمّه، وأنّه وفد على أبي بكر في نحو ألف رجل من قومه من طيء يعرض عليه الجهاد معه، فألحقه بجيش أبي عُبَيدة في الشام، قال : « فشهدت معه مواطنه التي شهدها كلّها، لم أغِب عن يومٍ منها ».
واسم أبيه « زياد » ورد في « تهذيب التهذيب » لابن حجر ٣٩٠/٣ وهو يروي عن أبي هريرة.

(2) لم أجد له ترجمة، وأظنّ أنّه هو « قنان » الآتي بعده. (ابن عساكر ٢٧٤/١٠).

(3) أظنّ أنّ « بنان » و« قنان » هما شخص واحد، وقع التحريف في اسمه واسم أبيه، ونَسَبه فـ« بنان » هو « قنان » و« حازم » هو « دارم » و« القيسي » هو « العبْسي » وكان يُعَدّ من الفرسان المذكورين. ذكره الأزدي ــ ص٢٤٠ ــ وابن سعد في الطبقة الرابعة (الإصابة في تمييز الصحابة ــ ابن حجر ٢٤١/٣)

(4) الأزدي ١٤٤

(5) ومناسبة هذه الأبيات ما زعموا أنّ معاوية قال لكعب بن جُعَيْل بعد موت عبد الرحمن ــ وكان مدّاحاً له ــ « ليس للشاعر عهداً، قد كان عبد الرحمن لك صديقاً، فلمّا مات نسيته » قال : « ما فعلت، ولقد قلت فيه بعد موته » ثم ذكر الأبيات... (نسب قريش ــ أبو عبد الله المُصْعب بن عبد الله بن المُصْعَب الزُبَيْري ٢٣٦/١٥٦هـ. ــ نشره ليفي بروفنسال ــ طبعة دار المعارف بمصر ١٩٧٦ ــ ص٣٢٥ ــ سلسلة ذخائر العرب ــ الطبعة الثانية، التبيين في أنساب القُرشيين ــ لموفّق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قُدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ.) ــ تحقيق محمد نايف الدليمي ــ طبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٢هـ./١٩٨٢م. ــ ص٣١٠

وبعث أهل بعلبك في طلب الصلح، فأعطاهم أبو عُبَيْدة الأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم، وكتب لهم على يد « عبدالله بن رومان »[1] كتاباً، ذكر ابن المغيرة، عن أبيه : أنّ أبا عُبَيْدة صالحهم فيه على أنصاف منازلهم وكنائسهم ووضْع الخراج.[2]

وأورد كلٌّ من البلاذُريّ وابن عساكر نصَّين مختلفين حول ذلك الصُّلْح، نُوردهما على التوالي :

النّصّ عند البلاذُريّ : « بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب أمانٍ لفُلان بن فُلان وأهل بعلبك، رومها وفُرْسها وعَرَبها، على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ودُورهم، داخل المدينة وخارجها، وعلى أرحائهم، وللروم أن يرعَوْا سَرْحَهم ما بينهم وبين خمسة عشر ميلاً، ولا ينزلوا قريةً عامرةً، فإذا مضى شهر ربيع وجُمادَى الأولى ساروا إلى حيث شاؤوا. ومن أسلم منهم فله مالَنا وعليه ما علينا. ولتُجَّارهم أن يسافروا إلى حيث أرادوا من البلاد التي صالَحْنا عليها، وعلى من أقام منهم الجزية والخراج. شهِد الله، وكفى بالله شهيداً ».[3]

النصّ عند ابن عساكر : « قال إسماعيل بن عيّاش[4] : إنّ أبا عُبَيْدَة كتب

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٣٩٦/٧، وفي الإصابة ٩١/٥ الترجمة رقم ٦٣١٨ : عبد الله بن أبي رومان الكاتب، قال ابن عساكر : أدرك عهدَ النّبيّ وشهد فتح بعلبكّ وكتب الصُّلح لأهلها. ذكره ابن عائذ في المغازي، عن الوليد بن مسلم، عن اسماعيل بن عيّاش (الحمصي).

(٢) تهذيب ابن عساكر ١٦٠/١

(٣) فتوح البلدان ١٥٤/١، تاريخ خليفة بن خيّاط ١٣٠، مختصر تاريخ الدول لابن العبري ١٠١، الأعلاق الخطيرة لابن شدّاد ٤٢/١ و٤٣، البدء والتاريخ للمقدسي ١٨٤/٥، مجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله ــ ص٣٧٨ رقم ٣٥٦، الطريق إلى دمشق (فتح بلاد الشام) ــ لأحمد عادل كمال ــ ص٣٨٩ ــ طبعة دار النفائس ١٩٨٠

(٤) سيأتي التعريف به

لأهل بعلبك: .. هذا أمانٌ من أبي عُبَيْدة بن الجرّاح، لفُلان بن فُلان، وفلان، وأهل مدينتهم بعلبك، رومها وفُرسها وعَرَبها، ولرؤسائها وسُكّانها الروم والنّصارى، ولأموالهم ولدوابّهم ولبيعِهم ودِياراتهم، وكلّ شيءٍ لهم خارج المدينة من المواشي، ولأرحائهم، وإنّهم على سَكَنهم لا يُكْرَهون عليه، وإنّ عليهم السَّمْع والنُّصْح والطاعة، ولا عَقْب بيعةٍ[1] بيننا وبينهم فيما قد خلا من القتال والحرب. وإنّ للروم أن يُسَرِّحوا ويظعنوا حيث شاؤوا خمسة عشر ميلاً، ولا يلبثوا في قرية أو أبنية. ولأهل المدينة وتجّارها وكُسّابها أن يتّجروا في المدينة شهرَيْ ربيع وجُمادى الأولى، فإذا انسلخ فإنّهم يسيرون حيث شاؤوا أن يمكثوا بأموالهم ودوابّهم. وإنْ مكثوا بعد الثلاثة أشهر، فإنّ عليهم مثل ما على أهل المدينة من الطاعة والنُّصْح وإعطاء الذي عليهم من السبيل. فإنْ أحبّوا أن يسيروا عند نفاد هذه الصحيفة ساروا. وإنّ لنا على الروم وفارس أن لا يحملوا شيئاً كان للمؤتمنين من أموالهم عند النّبط والعرب من حيث نَفَاد هذه الصحيفة .. فإنْ مكثوا فلنا عُشُور العرب والروم وأهل المدينة، وإن شاؤوا أن يذهبوا حيث شاؤوا من الأرض بأموالهم، فإنّ ذمّة أبي عُبَيْدة والمؤتمنين لهم بهم. وإنّ للمؤتمنين ما عَرَفوا من أموالهم عند الروم والعرب، وإنّ لنا عندهم كل نفسٍ حُرّةٍ مسلمة فيهم في رومهم وفُرسهم وعَرَبهم ونبطهم. والله هو الشاهد على هذه الصحيفة، ويزيد بن أبي سُفيان، ومُعَمَّر بن وَثّاب. وكتب عبدالله بن رومان وختم أبو عُبَيدة بخاتمه ».[2]

وقد اختصر « ياقوت الحموي » ما جاء في كتاب العهد بقوله : « ...

---

(١) العقب : الرجوع : والبيعة : العهد.

(٢) اعتمدت على نسخة التيمورية من تاريخ دمشق ٢٠/٤٠٠، وجاء في النسخة التي حقّقها الدكتور شكري فيصل والأستاذان : سُكَيْنة الشهابي ومُطاع الطرابيشي أكثر من وهم. (أنظر : تاريخ دمشق ــ تراجم حرف العين (عبد الله بن جابر ــ عبد الله بن زيد) ــ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق : ١٩٨١ ــ ص ٣٦٨ و٣٦٩

وكتب لهم كتاباً أجّلهم فيه إلى شهر ربيع الآخر وجُمادَى الأولى، فمن جلا سار إلى حيث شاء، ومن أقام فعليه الجزية ». [1]

ويهمّنا من كتاب الصُّلْح مع أهل بَعْلَبَكّ، النّصّ على أنّهم من قوميّات مختلفة :

* الروم : وهم رُعاة الإمبراطورية البيزنطية الحاكمة.

* الفُرْس : وهم من بقايا الفُرس الذين أخضعوا ساحل الشام لحكمهم أثناء صراعهم ضدّ الروم، وقد استعرب الكثير منهم، وكانوا في عدّة أماكن من بلاد العرب والشام، ثم انتقلوا إلى السواحل فيما بعد.

* العرب : وكانوا يستوطنون بعلبكّ قبل حركة الفتح الإسلامي، ممّا يدلّ على قِدَم الوجود العربيّ في القسم الشرقي من « لبنان » على الأقلّ. ويأتي مرور الشاعر المعروف « امرىء القَيْس الكِنْديّ » بها في وقت مُبكر قبل ظهور الإسلام، وهو في طريقه إلى حمص، ليؤكّد هذه الحقيقة. [2]

* النّصارى : وهم السكان الوطنيّون من أهل بعلبك، ومنهم النَّبط أو الأنباط.

رواية « الواقديّ » حول فتح بَعْلَبَكّ :

من الواضح، أنّنا ندين، في معلوماتنا عن فتح بعلبك، بالفضل بشكلٍ رئيس للمؤرّخ محمد بن عبدالله البصْري الأزْدي (المتوفى سنة ٢٣١ هـ) في

---

(١) معجم البلدان ٤٥٤/١

(٢) تهذيب ابن عساكر ١٠٥/٣، وكان امروء القيس مرّ ببعلبك فلم يستضفهُ أحد من أهلها، فقال :

لقد أنكرتني بعلبكّ وأهلُها ولابن جُرَيج كان في حمص أنكرا

(أنظر : الأنساب لابن السمعاني ـــ ص١٨٦)

كتابه « فتوح الشام ». على أنّه ليس في الكتاب الذي وصلنا نصُّ كتاب الصُّلح. كما ليس فيه إشارة لفتح مُدُن لبنان الأُخرى.

وهناك رواية أخرى عن فتح بعلبكّ منسوبة إلى الواقديّ (المتوفّى سنة ٢٠٧ هـ) في كتاب « فتوح الشام ومصر » المنسوب إليه. وهذا الكتاب يعتبره المستشرق « مارجليوث » كتاباً ظنّيّاً وليس بذات قيمة تاريخيّة.[١] بينما يعتبره « جرجي زيدان » أشبه بالقصص عنه بالتاريخ لِمَا حواه من التفاصيل والمُبالغات، لكنّه مؤسَّس على الحقيقة، وفيه حقائق لا توجد في سواه من كتب الفُتُوح.[٢] ونحن نؤيّد ما ذكره « جرجي زيدان »، ففي الكتاب جُملة حقائق تاريخية تدعمُها المصادر الموثوقة، ويجدر بالباحثين والمحقّقين أن يوجّهوا عنايتهم إليها.

تقول الرواية :

إنّ أبا عُبَيدة أتى إلى بعلبكّ بعد فتح قِنَّسْرين والعواصم، وكان قد عقد مع أهلها صُلحاً، وكذلك مع أهل حمص وشَيْزَر وغيرها، وإنّ مدّة الصُّلْح أشرفت على الإنقضاء، ولذلك عاد لتقرير أمرها، خصوصاً بعد أنْ قدمَتْ جموعٌ هائلة من الروم عن طريق حمص وبعلبكّ وانتشارها في البقاع، حيث خشي المسلمون أن يُحال بينهم وبين إخوانهم المرابطين في سواد الأردنّ.[٣] وقبل أن يصل أبو عُبَيدة إلى بعلبكّ قام جنوده بالاستيلاء على قافلة كانت قادمة من الساحل وفيها أربعمئة حِمْلٍ من السُّكّر والفُسْتُق والتّين وغير ذلك. وأخذوا رجال القافلة أسرى، ولكنّ بعضهم استطاع الإفلات والوصول الى المدينة،

---

(١) دراسات عن المؤرّخين العرب ــ د. س. مارجليوث ــ ترجمة حسين نصّار ــ ص١٠٨

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ــ جرجي زيدان ٤٥٤/٢

(٣) تهذيب ابن عساكر ١٦١/١

فأخبروا بقدوم المسلمين.[1] وكان في بعلبكّ بَطْرِيق[2] يُدعَى « هِرْبيس » فخرج إلى ظاهرها في سبعة آلاف رجل لقتال المسلمين، ولكنّه ارتدّ منهزماً ومُثْقلاً بالجراح، وعندما وصل أبو عُبَيْدة إلى أسوار المدينة تبيّن له أنّها تكتظّ بالسّكان من أهلها وأهل السواد والقرى القريبة منها، وأنّها مدينة هائلة وحصن حصين، ولا غرو ففيها القلعة الرومانيّة التي تُعدّ من عجائب الدنيا.[3] كما لاحظ شدّة البرد عندها شتاءً وصيفاً.[4] فكتب إليهم كتاباً يقول فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم. من أمير جيوش المسلمين بالشام وخليفة أمير المؤمنين فيهم، أبي عُبَيْدة بن الجرّاح، إلى أهل بعلبكّ من المخالفين والمعاندين، فإنّ الله سبحانه وتعالى، وله الحمد، أظهر الدّين وأعزّ أولياءه المؤمنين على جنود الكافرين، وفتح عليهم البلادَ وأذلّ أهل الفساد، وإنّ كتابنا هذا معذرةٌ بيننا وبينكم وتَقْدِمةٌ إلى كبيركم وصغيركم لأنّنا قومٌ لا نرى في ديننا البغْيَ، وما كنّا بالّذين نقاتلكم حتى نعلم ما عندكم، وإنْ دخلتم فيما دخل فيه أهلُ المُدُن من قبلكم من الصُّلح والأمان صالحناكم، وإنْ أردتم الذّمامَ ذمّمناكم، وإنْ أبَيْتم إلّا القتال استعنّا عليكم بالله وحاربناكم. فأسرعوا

---

(١) فتوح الشام ـــ الواقدي ١/٧٥ و٧٦

(٢) بَطْرِيق: هي الصّيغة المعرَّبة للكلمة اللّاتينية : باتريكيوس Patricius وقد أنشأ هـذه الرتبة الإمبراطور قسطنطين (٣٠٦ ـــ ٣٣٧م.) وهي رتبة لا تتصل بأيّ وظيفة، وكانت تُمْنَح لم يؤدي للدولة خدمات جليلة. وقد جرى الاصطلاح على أنّها تدلّ على القائد عند البيزنطيّين كالمصطلحات الأخرى : « دُمِسْتق Domesticus » و« دوقس Dux » (دائرة المعارف الإسلامية ٧/٣١٣)

(٣) أنظر عنها : البلدان لليعقوبي ٣٢٥، مسالك الممالك لابن خُرداذبة ١١٦، الأقاليم للأصطخري ٣٣، والمسالك والممالك له ٤٦، مختصر البلدان لابن الفقيه ١١٨، صورة الأرض لابن حَوْقل، العنوان للمنبجي ١/٤، الأعلاق الخطيرة لابن شدّاد ٤٢، نهاية الأرب للنويري ١/٣٨٣.

(٤) حول هذا يذكر المقدسيّ في « أحسن التقاسيم » ـــ ص١٧٩ : « إنّ أشدّ إقليم بالشام بَرْداً : بعلبكّ وما حولها، ومن أمثالهم : « قيل للبرد : أين نطلُبُك ؟ قال : بالبلْقاء. قال : فإنْ لم نجدْك ؟ قال : بعلبكّ بيتي ».

بالجواب، والسلامُ على مَن اتَّبع الهُدَى. ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾.[1]

وقد أحدث الكتاب خُلْفاً بين أهل بعلبكّ، فمنهم من وافق على تسليم المدينة دون قتال، ومنهم من صمّم على المقاومة، وفيهم « البَطْريق » « هِرْبيس »، وصعِد المقاتلون إلى الأسوار وراحوا يقذفون المسلمين بالسهام والحجارة، ثم خرجوا من الأبواب وقاتلوهم يومين، ولكنّ المسلمين ألجأوهم إلى ضيعة حصينة في الجبل فحاصروهم فيها حتى أجبروهم على الاستسلام وصالحوهم على أَلْفَيْ أوقيّة من الذَّهب، ومثلها من الفضَّة، وأَلْفَي ثوبٍ من الدّيباج، وخمسة آلاف سيف، وأن يسلّم المقاتلون المحاصَرُون في الضَّيعة سلاحهم، ويؤخذ منهم رهائن لضمان تسليم المال المقرَّر، وأن يؤدُّوا خراجَ أرضهم للعام التالي، وأداء الجزية في كلّ عام، وأنْ لا يحملوا سلاحاً على المسلمين، ولا يكاتبوا أحداً من ملوكهم، ولا يُحْدِثوا كنيسة، وعليهم أن يقدّموا النُّصْحَ للمسلمين.

واشترط أهل بعلبكّ في مقابل ذلك أن لا يدخل عسكرُ المسلمين إلى مدينتهم وأن يُرفع الحصار عن مقاتليهم في الضَّيعة المحاصَرَة. فوافق أبو عُبَيْدة على ذلك واستعمل على بعلبكّ رجلاً من سادات قريش يُدْعَى « رافع بن عبدالله السَّهْمي ».[2] وضمّ إليه (٥٠٠) خمسمئة فارسٍ من أبناء عشيرته، و(٤٠٠) أربعمئة من أخلاط المسلمين، وأوصاه أن يقيم الأرصادَ والمَسَالحَ في أطراف البلاد، وحذّره من الروم الذين في السواحل، وأمره أن

---

(١) قرآن كريم ــ سورة طه ــ الآية ٤٨، والنّصّ في فتوح الشام للواقدي ٧٧/١

(٢) في تاريخ الطبري ٥٥٥/٣ طبعة دار المعارف بمصر، نجد « رافع بن عبد الله » غير منسوب، وهو ممّن شهد القادسيّة مع سعد بن أبي وقّاص سنة ١٤هـ. وكان خليفة لضرار بن الخطاب الفهْري على ما سبذان في بلاد فارس سنة ١٧هـ. (الطبري ٩٤/٤)

يشنّ الغارات عليهم، وأن تكون الغارة في المئة والمئتي رجلٍ، فالتزم « رافع السَّهْميّ » بتنفيذ أوامر أبي عُبَيْدة ووصاياه، فأقام خارج بعَلبكّ، وبعث السّرايا لشنّ الغارات على سواحل الروم، وكان يبعث بالغنائم فيبيعها في أسواق بعلبكّ عن طريق التجّار، ووقف هؤلاء على حُسْن معاملة المسلمين في البيع والشراء، فرغبوا بدخول رافع ومَن معه إلى المدينة فدخلوها بعد أن أذن لهم أبو عُبَيْدة بذلك.[1]

ويُلاحِظ من يقرأ هذه الرواية المنسوبة للواقديّ أنّها حافلة بأسماء شخصيّات من المشاهير والمجاهيل الذين كان لهم دَوْرهم في فتح بعلبك.

فمن المشاهير الذين ورد ذكرُهم :

« عبد الرحمن بن أبي بكر الصِّدّيق » و« عَمْرو بن مَعْدي كرب الزُّبَيْديّ » و« ضرار بن الأزْوَر » و« ذو الكلاع الحِمْيَريّ »[2] و« هاشم بن عُتْبَةَ »[3] و« ربيعة بن عامر »[4] و« سعيد بن عمرو بن نُفَيْل »[5] و« مالك بن الأشتر ».[6] وهذا الأخير يُنسب إليه قبرٌ على باب بعلبكّ من جهة الشمال،[7] وإذا كان المشهور أنّه تُوفي عند القُلْزُم بمصر سنة ٣٧ هـ،[8] فإن نسبة القبر إليه لا بدّ وأنّها ترتبط بحادثةٍ ما عند بعلبكّ منها هذه الرواية

(١) الواقدي ١/٧٥ ــ ٨٦، تاريخ بعلبك ــ ميخائيل ألّوف البعلبكي ــ المطبعة الأدبية، بيروت ١٨٨٩ ــ ص١٩

(٢) قُتل في موقعة صفّين سنة ٣٧هـ. (الأخبار الطوال للدِينَوَري ــ ص١٧٩)

(٣) يُعرَف بالمِرْقال، قُتل في صفّين. (الدينوري ١٨٣)

(٤) من الصحابة، يُعرف بأبي البراء، ذكره البخاري في التاريخ الكبير ٣/٢٨٠، وابن حجر في تهذيب التهذيب ٣/٢٥٧

(٥) صحابيّ، قدِم الشام بعد مُنْصَرَف الرسول ﷺ. مات سنة ٥٨هـ. (البخاري ٣/٤٥٢)

(٦) الإشارات إلى معرفة الزيارات للهروي ص٩

(٧) المصدر السابق.

(٨) البخاري ٧/٣١١، الوُلاة والقُضاة للكِنْدي ٢٣، الأعلاق الخطيرة ٢٦٩، الإصابة ٣/٤٥٩

المنسوبة للواقديّ، إذ يقول ياقوت الحموي : « وبها قبر يزعمون أنّه قبر مالك بن الأشتر النّخْعيّ ».[1] ونحن نقول : ليس أمامنا وبين أيدينا من معلوماتٍ سوى اشتراك ابن الأشتر في حِصار بعلبكّ، حسب الرواية المنسوبة للواقديّ، ممّا يُكْسبها بعضَ التأييد، رغم تَحَفُّظنا نحو صحّتها لِما احتَوَت عليه من تفصيلات كثيرة.

ومنهم أيضاً : « حِبّان بن تميم الثقفيّ » و« حُمران بن أسِيد الحضْرميّ »، ولم أجد لهما ترجمةً، بل وقفت على ذِكْر أبويهما.[2]

أمّا المجاهيل الذين لم أجد لهم ذِكْراً، فمنهم :

« عامر بن وهْب اليَشْكُريّ » و« غياث بن عدِيّ الطّائيّ » و« سَهْل بن صباحِ العبْسيّ » و« زيد بن ورقة بن عامر الزُبيديّ » و« مُصْعَب بن عَدِيّ »، فضلاً عن « رافع بن عبدالله السهميّ » الذي استعمله أبو عُبَيْدة على بعلبكّ، حسب هذه الرواية. ولعلّه : « رافع بن عبدالله بن حُذافة السَّهْميّ » الذي أسره الروم أيّام الخليفة عمر بن الخطّاب ثم تخلّص منهم.[3]

ويظلّ التاريخ لفتح بعلبكّ متأرجحاً بين سنتي (١٤ و١٥ هـ)، حيث يقول ابن إسحاق وغيره : « سنة ١٤ فتحت حمص وبعلبكّ صُلحاً على يدي أبي عُبَيْدة في ذي القعدة، ويقال في سنة ١٥ هـ ».[4]

ويذكر الواقديّ بعد فتح بعلبكّ أنّ أبا عُبَيْدة همّ بالرحيل إلى حمص فورد

---

(١) معجم البلدان ٤٥٦/١

(٢) تميم الثقفي والد حبّان، ويروي عن أبي الدرداء (البخاري ١٥٣/٢، ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٤٤١/٢ رقم ١٧٦١).

(٣) أنظر عنه في : المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ٦٣٠/٣، وتاريخ خليفة بن خياط ١٤٢.

(٤) تهذيب ابن عساكر ١٦٠/١

عليه صاحب « عين الجوز »[1] يطلب الصُّلْح، فصالحه على نصف ما صالحه عليه أهل بعلبكّ، وولّى عليهم « سالم بن ذُؤيب السَّلميّ »، وأوصاه بمثل ما أوصى به رافع السهميّ.[2]

وهكذا غلب المسلمون على أرض البقاع،[3] وشهد البقاع مَصَارِع الروم وقادتهم، وفي ذلك قال رجل من المسلمين في شعرٍ له :

ونحن قتلنا كلَّ وافٍ سَبَا لهُ ... من الروم معروف النّجار مُطَلَّقِ
فطلّق الجِنّا بالرّماح نساؤهم ... وإنّا إلى أزواجنا لم نُطَلِّقِ
نصرعهم في كلّ فجٍ وغائطٍ ... كأنّهُمُ بـ« البقاع » مَعْزيُّ المُحَلَّق[4]
فكم من قتيلٍ أوْهَطتْهُ سيوفُنا ... كِفاحاً، وكفٌّ قد أحاطت وأسْوُقِ[5]

فتح الساحل

أمّا ساحل الشام « لبنان » فيبدأ الاحتكاك به إبّان الحصار لبعلبكّ، حيث كان للمسلمين مَسْلَحَتان[6] : مَسْلَحَة بِبَرَزَة،[7] عليها أبو الدرداء الأنصاريّ،[8] والأخرى بعين مَيْسَنُون، وفيها أبو عثمان الصَّنْعانيّ شراحيل بن مَرْثد، فأغار عليهم بَطْريق من عَقَبَة بيروت يُدْعَى « سِيسناق »، ويبدو أنّه نجح

---

(١) لعلّها محرَّفة عن « عين الجَرّ » وهي عنجر الحاليّة في البقاع.
(٢) الواقدي ١/٨٥
(٣) تهذيب ابن عساكر ١/١٦٠
(٤) مَعْزيّ المحلّق : هو عبد العُزّى بن حنتم الملقّب بالمحلّق.
(٥) فتوح الشام للأزدي ١٤٢
(٦) المَسْلَحَة : ثغر أو مَرْقَب. والمَسْلَحَة : قوم في عدّة بموضع رصد قد وُكّلوا به بإزاء ثغر. واحدهم : مسلحيّ. (لسان العرب)
(٧) بَرْزَة : قرية من غوطة دمشق.
(٨) فتوح البلدان للبلاذُريّ ١/١٤٤

في قتل جماعة من أهل تلك المَسْلَحة، ولذا دُعِيَت مَيْسَنُون بـ« عين الشهداء ».[1]

وقد جاءت هذه الغارة لتُعَجِّل في فتح القطاع الأوسط من ساحل الشام « لبنان »، والذي يمتدّ من عِرْقَة شمالاً إلى صيدا جنوباً،[2] فبعد فتح دمشق الذي تمّ في شهر رجب سنة ١٤ هـ. خرج يزيد بن أبي سفيان وبصُحْبته أخوه معاوية نحو بلاد الساحل ففتحها، ولم تحدّد المصادر التاريخية الطريق التي سلكها المسلمون الى المدن الساحلية، كما لم يبيّن البلاذُريّ أيَّ مدينة فُتحت قبل الأخرى، إذ يُوردها دون مراعاة لترتيب مواقعها الجغرافية، فيذكر صيدا أوّلاً، وهي في الجنوب من القطاع الأوسط لساحل الشام « لبنان » ثم يذكر عِرْقة، وهي في أقصى الشمال من القطاع، وبعدها يذكر « جُبَيْل » و« بيروت » وهما في الوسط. فهل سارت حركة الفتح على هذا النحو ؟ أم أنّ الترتيب ـــ كما ورد ـــ جاء عفويّاً دون قصْدٍ محدَّد ؟

إنّ الإجابة على هذا التساؤل لا يمكن أن تكون جازمةً، ولكن يمكن الظنّ بأنّ البلاذُريّ لم يذكر المدن المفتوحة على ذلك النَّسق اعتباطاً. إذْ يُحتمل أن تكون القوّة الإسلامية المنطلقة من دمشق انقسمت إلى فِرْقَتين، توجَّهت إحداهما جنوباً بقيادة يزيد إلى صيدا، وتوجّهت الأخرى شمالاً بقيادة معاوية إلى عرقة. وهذا الظنّ يدعمه نصّ رواية البلاذُريّ حيث يقول : « إنّ يزيد أتى بعد فتح مدينة دمشق : صَيْدا وعِرْقَة وجُبَيْل وبيروت ـــ وهي سواحل ـــ

---

(١) المعرفة والتاريخ للبسوي ـــ تحقيق د. أكرم ضياء العمري ـــ ج٣/٢٩٨، تهذيب ابن عساكر ٥٠٨/١ و٥٠٩ ولعلّ ميسنون هي التي تقع شرقيّ بلدة سوق الغرب وكيفون في منطقة عاليه بجبل لبنان، حسب رأي محمد علي مكيّ (لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني ـــ ص٢٣)

(٢) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي المعروف بالبشاري ص١٥٤

وعلى مقدّمته أخوه معاوية، ففتحها فتحاً يسيراً، وجلا كثيراً من أهلها، وتولّى فتح عِرْقةَ معاويةُ نفسه في ولاية يزيد ».[1]

غير أنّ البلاذُريّ يُورِد روايةً أخرى تفيد أنّ الفاتح لمدن الساحل هو معاوية لوحده، فيقول : « كان يزيد بن أبي سفيان وجّه معاوية إلى سواحل دمشق، سوى أطرابلس، فإنّه لم يكن يطمع فيها، فكان يقيم على الحصن اليومين والأيّام اليسيرة، فربّما قُوتل قتالاً غير شديدٍ، وربّما رمى ففتحها ».[2]

أما مدينة صور، فقد كان أمرها موكولاً إلى قائد قطاع جُنْد الأردنّ « شُرَحْبيل بن حَسَنَة » حيث تمكّن من فتحها في أواخر سنة ١٣ هـ.[3] ولذا تُعتبر أُولى المدن « اللبنانية » التي دخلها المسلمون، ويبدو أنّها لم تُبدِ مقاومةً تُذكر أمام الفاتحين، ولهذا لا نجد أيّة تفاصيل عن ظروف فتحها عند البلاذُريّ، ممّا يوحي بأنّها لم تكن مؤهَّلَة للصمود حيث كانت تحصيناتها خرِبةً، وهذا القول ينسحب أيضاً على صيدا وبيروت وجُبَيل وعِرْقة، مع فارقٍ نسبيٍّ بسيط، حيث كانت كلٌّ منها تستسلم بعد يومين أو أيام قليلة من الحصار، ممّا يؤكّد ضآلة شأن تلك المدن بالمقارنة مع « بعلبكّ » أو « طرابلس » التي لم تكن آخر المدن « اللبنانية » فتحاً فحسب، بل ربّما كانت آخر بلاد الشام كلّها فتحاً على الإطلاق.

إلّا أنّ الكتاب المنسوب إلى الواقديّ يزعم أنّ فتح صور تمّ على يد راهب نَصْرانِيّ اعتنق الإسلام يُدعى « يُوقنا »، في الوقت الذي كان يحاصرها يزيد بن أبي سفيان،[4] وذلك بعد فتح طرابلس على يد الراهب نفسه.

---

(١) فتوح البلدان ١٥٠/١، الخراج وصناعة الكتابة ــ قُدامة بن جعفر (ت٣٢٩هـ.) شرح وتعليق د. محمد حسين الزبيدي ــ نشرته وزارة الثقافة والأعلام العراقية ــ طبعة دار الحرية، بغداد ١٩٨١ ــ ص٢٩٥

(٢) فتوح البلدان ١٥٢/١

(٣) فتوح البلدان ١٣٩/١، الخراج وصناعة الكتابة ٢٩٠

(٤) فتوح الشام للواقدي ١٨/٢ ــ ٢١

فتح طرابلس

عندما نشرع في البحث لدراسة وتحقيق التاريخ الذي تمّ فيه فتح طرابلس، لا بُدّ أنْ نضع بين أيدينا كتاب « فتوح الشام » المنسوب للواقديّ، فقد جاء فيه أنّ الفتح تمّ على يد الراهب الحلبيّ المدعو « يوقنا »، والذي أصبح اسمه بعد إسلامه « عبدالله »، وأنّ الفتح كان عن طريقة خدعةٍ قام بها، وسلّم المدينة إلى القائد خالد بن الوليد.[1]

وإذا كانت هذه الرواية غير مُعْتَمَدَةٍ عند المؤرّخين، فإنّنا لا نستطيع أن نُهملها كُلّيًّا إذ تُفيد بأن طرابلس فُتِحت قبل مدينة قَيسارِيّة على ساحل فلسطين التي فُتحت في سنة ١٩ هـ وأنّ أبا عُبَيْدة بن الجرّاح كتب إلى عمر ابن الخطّاب يبشّره بهذا الفتح، وأنّ الخبر عندما وصل إلى أهل الرملة وعكا وعسقلان ونابُلُس وطبريّة، عقدوا كلّهم صلحاً مع المسلمين وكذلك أهل بيروت وجَبَلة واللّاذقيّة.[2] وفي رواية لابن عساكر أنّ فتح طرابلس كان قبل فتح قيساريّة بسنةٍ واحدة. وهذا يعني أنّها فُتحت سنة ١٨ هـ.

ورواية ابن عساكر تستدعي النظر، فقد وردت في ترجمة لـ« سُفْيان بن مُجيب الأزْدي »[3] الذي فتح طرابلس في خلافة عثمان بن عفّان، حوالي

(١) فتوح الشام للواقدي ١٧/٢

(٢) فتوح الشام للواقدي ٢١/٢

(٣) هو « سفيان بن مُجيب الأزدي الشامي » وهو الثُمالي، يُعدّ من الشاميينّ. كان من قدماء الصحابة. قال ابن عائذ في « المغازي » : إنّ معاوية بن أبي سفيان زوَّجه « حفصة بنت أميّة بن حرب ». وكان أميراً على بعلبك في خلافة عثمان، حتى ما بعد مقتله في سنة ٣٥هـ. وانفرد « الصفدي » بالقول إنهّ وُليّ قضاء بعلبك لمعاوية، وتوفي في حدود الخمسين للهجرة (الوافي بالوفيات ٢٨٣/١٥، ٢٨٥ ــ تحقيق بيرند راتكه ــ بيروت ١٩٧٩) وكان رأى النّبيّ ﷺ وحجّ معه حجّة الوداع. روى عنه الحجّاج بن عبدالله الثُمالي، وله حديث في صفة جهنّم، أخرجه : أبو نُعَيم الأصبهاني والحافظ ابن مندة، وغيرهما. (التاريخ الكبير ــ الإمام البخاري ــ مجلّد ٨ ق٢ /ج٤ /١٢٤ ــ طبعة حيدر أبار ١٣٦١هـ.) والبيهقي في « البعث والنشور ٢٧٥، ٢٧٦ رقم ٤٧٨ ــ تحقيق الشيخ عامر أحمد حيدر، طبعة مركز الخدمات والأبحاث

سنة ٢٥ هـ. ويمكن القول إنه اعتمد على رواية البلاذُريّ في نسبة الفتح إلى « سُفيان »، إذ لم يُشِر بشيءٍ الى الراهب « يوقنا » بطل الرواية المزعومة المنسوبة الى الواقدي، إلّا أنّه ينقل بالسند عن محدّث طرابلس في القرن الثاني للهجرة « معاوية بن يحيى الأطرابُلسيّ »[1] قوله : « إنّ قيساريّة فلسطين

= الثقافية ــ بيروت ١٤٠٦هـ. /١٩٨٦م. وابن رجب الحنبلي، في : التخويف من النار ــ ص ٩٧ ــ طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

وقيل هو « سفيان بن بُخَيْت » بالتصغير. (تهذيب تاريخ دمشق ١٨٣/٦) وقال ابن قانع : « سفيان بن مجيب » بالباء الموحَّدة بعد الجيم. (تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التواريخ والسِّير ــ ابن الجوزي ــ ص٩٨ ــ طبعة دهلي بالهند) وقيل « سفيان بن محبّب » بالحاء المهملة والباء الموحّدة المشدَّدة. (أسْد الغابة في معرفة الصحابة ــ ابن الأثير ج٢/٣٢١ ــ طبعة طهران)، وقيل : بل هو: «نُفَيْر بن مجيب الثمالي الشامي »، ورجّحه : الدار قطنيّ، وابن عبد البَرّ، وأبو أحمد العسكري، وابن مَنْدَة، وأبو عمر، وابن أبي حاتم، والبخاري، وابن ماكولا، وأبو اليَمّان. ووقع في رواية عبد الباقي بن قانع « بُخَيْت » بضمّ الباء وفتح الخاء وسكون الياء والتاء. (الإصابة في تمييز الصحابة ــ ابن حجر ــ ج٣/٥٥ ــ طبعة مصر ١٩٣٩، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ــ ابن عبد البَرّ ــ ق٤/١٥١٠ ــ تحقيق علي محمد البجاوي ــ مصر ؟، الإكمال في رفع الارتياب ــ ابن ماكولا ــ ج٧/٢١٤ ــ بيروت، طبعة محمد أمين دمج) وخالفه عمر الزيّات. والراجح « سفيان » عند أبي حاتم الرازي، وأبي زُرْعة (البخاري ــ مجلّد ٨ ق٢ ــ ج٤/١٢٤، بيان خطأ البخاري في تاريخه ــ ابن أبي حاتم الرازي ــ ص١٢٩ بالهامش ــ طبعة حيدر أباد ١٣٨٠هـ.) وكذلك عند بقيّ بن مَخْلَد (مقدّمة مُسْنَد بَقيّ بن مَخْلَد (ت٢٧٦هـ.) تحقيق د. أكرم ضياء العمري ــ طبعة مؤسسّة الرسالة ببيروت ١٤٠٤هـ./١٩٨٤م. ــ ص١٦١ رقم ٩١٧) وكذلك عند الخطيب البغدادي (الإصابة ٥٥/٢) وابن عساكر (تهذيب دمشق ١٨٣/٦) والحافظ الذهبي (تجريد أسماء الصحابة ــ ج١/٣٢٧ وج٢/١١٢ ــ طبعة بومباي بالهند ١٩٦٩، المشتبه في الرجال ٥٧٥/٢ ــ تحقيق علي محمد البجاوي ــ مصر١٩٦٢، تلقيح فهوم أهل الأثر ٩٨ و١٩٤) أمّا ابن ماكولا فقد انفرد بقوله : « واختُلِف في اسمه واسم أبيه، فقيل : « نُفَيْر بن عُرَيْب » ؟ (الإكمال ٢١٤/٧ و٣٥٩) وانظر : (جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم (٣٨٤ ــ ٤٥٦هـج) ــ تحقيق د. إحسان عبّاس وناصر الدين الأسد ــ راجعه أحمد محمد شاكر ــ سلسلة تراث الإسلام ــ طبعة دار المعارف بمصر ــ ص٣١١) وجاء في الترجمة الفارسية لكتاب الفتوح المنسوب لابن أعثم الكوفي ــ ج١/٣٤٥ « سفيان بن حبيب » وهو تحريف.

(١) أنظر عنه في كتابنا « موسوعة علماء المسلمين » ــ ق١ ــ ج٥ ــ ص٧٧ ــ ٨٥ رقم ١٦٩٢

كانت آخر الشام ومدائنها وحصونِ سواحلها فتحاً، وإنّ طرابلس [بساحل] دمشق كانت قبلها فتحاً بسنةٍ أو نحو ذلك.. ». [1] وهذا القول يؤيّد رواية « الواقديّ » في أنّ الفتح كان في سنة ١٨ هـ. ولكنّ المؤرّخ الأزديّ المتوفّى سنة ٢٣١ هـ، تحدّث في كتابه عن فتح قيساريّة، [2] ولم يذكر شيئاً عن فتح طرابلس ولا غيرها من مدن ساحل دمشق.

إنّ الرواية المنسوبة إلى الواقديّ، بالإضافة إلى ما جاء في تاريخ ابن عساكر تجعل الفتح مبكّراً عن رواية البلاذُريّ، فهما يجعلانه في عهد الخليفة عمر بن الخطّاب، أمّا رواية البلاذُريّ — ومن بعده قُدامة بن جعفر الذي ينقل عنه — فتَجْعَلُه في عهد عثمان بن عفّان.

فهل افتُتحت طرابلس مرّتين ؟

أم أنّ رواية الواقديّ لا أساس لها من الصحّة ؟

إنّ أحداً لم يناقش هذا السؤال من قبل بالرغم من أنّ كثيراً من المؤرّخين المُحْدَثين اتّفقوا على تاريخ فتح طرابلس في السنة التي تُفيدها رواية الواقديّ. [3]

وقد يكون هذا الغموض في مسألة التأريخ لفتح طرابلس هو الذي حدا بالطبريّ المتوفّى سنة ٣١٠ هـ. لأن يُغْفِل أيَّ ذِكْرٍ عنها، رغم اعتماده في كثيرٍ من رواياته على الواقدي، وقد سبقت الإشارة إلى انّه نزل بيروت وقرأ على ابن مَزْيَد البيروتي. وإنْ كان قد ذكر فتح قيساريّة ضمن حوادث سنة

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (مخطوط التيمورية) ج١٦/٧٦، تهذيب تاريخ دمشق — ج٦/١٨٣

(٢) فتوح الشام للأزدي — ص٢٧٦ وما بعدها — تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر — القاهرة ١٩٧٠

(٣) La grande Enceklopidia - R. Dussu - V. 31 - P. 402 - Paris. Encyclopœdia Britannica – V. 22, P. 481.

١٥ هـ. خصوصاً أنّه بدأ يؤرّخ بعد وفاة الواقديّ بقليل، وعاصر البلاذريّ وتُوفّي بعده بواحدٍ وثلاثين عاماً، ويصمت عن ذِكر شيءٍ من ذلك كلّ من « الأزدي » المتوفّى سنة ٢٣١ هـ. و« اليعقوبي » المتوفّى سنة ٢٨٤ هـ.، و« البَسَوي » المتوفّى ٢٧٧ هـ، و« خليفة بن خيّاط » المتوفّى سنة ٢٤٠ هـ، و« المسعودي » المتوفّى سنة ٣٤٦ هـ، و« المنبجي » المتوفّى قريباً من ذلك.

وممّا يؤسف له، أنّ الطبعة العربية لكتاب « الفتوح » المنسوب لابن أعثم الكوفي المتوفّى نحو سنة ٣١٤ هـ يقع فيها نقص، وخصوصاً عند الحديث عن فتح مدينتي : عسقلان وطرابلس، ولكنّ الترجمة الفارسيّة للكتاب تعوّض النّقص الحاصل في النّسخة العربية، إلّا أنّ تفاصيل الرواية نجدها في « تاريخ دمشق » لابن عساكر، المتوفّى سنة ٥٧١ هـ ممّا يعني أنّ « ابن عساكر » ينقل عن كتاب « الفتوح ».[١]

ويُعتبر « البلاذُريّ » المتوفّى سنة ٢٧٩ هـ هو أوّل من حدّثنا عن فتح طرابلس على يد « سفيان بن مُجيب الأزْدي »، وعنه ينقل « قدامة بن جعفر » المتوفّى سنة ٣٢٩ هـ ويعتمد روايته « ابن الأثير » المتوفّى سنة ٦٣٠ هـ وإن كان ذَكَرَها ضمن حوادث سنة ١٣ هـ.[٢]

وسنضطرّ هنا أن نستعيد النّصّين الوارِدَين عند البلاذُريّ حول فتح ساحل دمشق « لبنان » لنعلّق عليهما، فالأوّل يقول : « إنّ يزيد أتى بعد فتح مدينة دمشق : صيدا وعرقة وجبيل وبيروت، وهي سواحل » وعلى مقدّمته أخوه معاوية، ففتحها فتحاً يسيراً وجلا كثيراً من أهلها، وتولّى فتح عِرْقة معاويةُ نفسهُ في ولاية يزيد، ثم إنّ الروم غلبوا على بعض هذه السواحل في آخر

---

(١) الفتوح لابن أعثم ٣٤٥/١ بالحاشية (الترجمة الفارسية).

(٢) الكامل في التاريخ ــ ابن الأثير ــ ج٤٣١/٢ ــ بيروت ١٩٦٥

خلافة عمر بن الخطّاب أو أوّل خلافة عثمان بن عفّان، فقصد لهم معاوية حتى فتحها ثمّ رمّها وشحنها بالمقاتلة، وأعطاهم القطائع ».[1]

والنصّ الثاني يقول : « .. وكان يزيد بن أبي سفيان وجّه معاوية إلى سواحل دمشق سوى أطرابلس فإنّه لم يكن يطمع فيها .. ».

إن ما جاء عند البلاذُريّ يدعو لطرح سؤالٍ هو :

كيف يفتح يزيد ومعاوية : صيدا وعرقة وجبيل وبيروت، وهي سواحل، ولا يطمعان في فتح طرابلس ؟

إنّ هذا وإنْ كان يقوم كدليلٍ قويٍّ على حصانة طرابلس ومَنَعتها، وأنّ فتْحها لم يكن مُيَسَّراً كغيرها من المدن الساحلية، فإنّه لا يمنع من الإستيلاء على المدينة عن طريق مكيدةٍ حربيّة كالتي قام بها « يوقنا » على حدّ الرواية المنسوبة للواقدي. وإنّ تاريخ الصراع بين المسلمين والروم (البيزنطيّين) مليء بمواقف الخداع الحربي الذي كان يقوم به الطرفان في عمليات الحصار والقتال وغيرها. فمن المحتمل أنّ طرابلس سقطت بيد المسلمين قبل قيساريّة ولكنها لم تلبث أنْ عادت إلى السيطرة البيزنطيّة عندما غلبوا على بعض السواحل، كما يقول البلاذريّ في النصّ الأسبق.

وثمّت روايةٌ أُخرى تُنسب للواقديّ وتتحدّث عن موقعةٍ جرت بالقرب من طرابلس في شهر شعبان سنة ١٣ هـ في مرجٍ بينها وبين عرقة يُعرف بمرج السلسلة عند حصنٍ يُعرف بـ« أبي القدس » حيث هاجمت قوّة من المسلمين مؤلَّفة من ٥٠٠ رجلٍ بقيادة « عبدالله بن جعفر » مع جملةٍ من الصحابة، من بينهم « أبو ذَرّ الغِفاريّ » وغيره، جموعَ الروم وهم في سوقٍ كبير لهم عند ديرٍ بالقرب من الحصن.[2] وكادت الغَلَبَة أن تكون للروم الذين بلغوا عشرين

---

(١) فتوح البلدان ١/١٥٠، الخراج وصناعة الكتابة ٢٩٥

(٢) يبدو من الوصف أنّه في منطقة « البدّاوي » عند مدخل طرابلس الشمالي.

ألفاً، لولا أن أنجد المسلمين خالدُ بن الوليد، وهزم الروم وطاردهم حتى وصل إلى النهر خارج طرابلس. وقُتِل في هذه الموقعة بَطْريق المدينة.[1]

وإذا كان الواقديّ ينفرد بِذِكر هذه الموقعة، فإنّنا لا نستطيع أن نُهملها أيضاً، إذ أنّ « مرج السلسلة » قد ورد ذِكره عند « ابن عساكر » أيضاً عند الحديث عن فتح طرابلس، حيث قال إنّ « سفيان بن مجيب » أقام بعسكره في مرج السلسلة[2] بينه وبين مدينة أطرابلس خمسة أميالٍ[3] في أصل جبلٍ يقال له « طُرْبُل »[4] فكانوا هنالك (أي الروم) يسير إليهم منه... ».[5] كما ورد ذِكر حصن « أبي القدس » عند الجغرافي « الإدريسي » الذي يسمّيه بـ« أبي العدس » (بالعين)، وهو يستعرض الحصون القريبة من طرابلس، فيقول : « ... وينضاف إليها عدّة حصونٍ وقلاعٍ معمورةٍ داخلةٍ في عِمالتها مثل أنْف الحَجَر[6] .. وحصن

(١) فتوح الشام — الواقدي ٥٦/١

(٢) ورد في الترجمة الفارسية لكتاب الفتوح ٣٤٥/١ « مرج السليلة » وهو تصحيف

(٣) في الترجمة الفارسية لكتاب الفتوح ٣٤٥/١ « خمسة فراسخ ».

(٤) هو جبل « تربل » المشهور الآن في الشمال الشرقيّ من طرابلس.

(٥) تاريخ دمشق (المخطوط) ٧٦/١٦

(٦) حالياً : أنْفه، على ساحل البحر جنوبيّ طرابلس. والطريف أنّ الأستاذ « فتحي عثمان » يذكر اسمها نقلاً عن « لسْترانج » في كتابه بالإنكليزية: « فلسطين تحت حكم المسلمين » باسم « عناف الهجر » (وهي ترجمة أو تعريب سقيم بالمعنى الأصحّ). أنظر له كتاب : (الحدود الإسلامية ١٨٠/١). ووردت « أنفة » في حديث ضعيف هذا نصّه : « قال جرير بن عُتْبَة بن عبد الرحمن : سمعت أبي يحدّث الأوزاعيَّ وأنا جالس، قال : حدّثني القاسم أبو عبد الرحمن، عن أبي أمامة الباهليّ، قال : كنّا جلوساً عند رسول الله ﷺ فذكروا الشام ومن فيها من الروم، فقال رسول الله ﷺ : « إنكم ستغلبون على الشام وتصيبوا على بحرها حصناً يقال له أنفة، يبعث منه يوم القيامة أثني عشر ألف شهيد. (المعجم الكبير للطبراني (ت٣٦٠هـ.) — تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي — طبعة وزارة الأوقاف العراقية — بغداد ١٩٨٠ — ج٢٢٩/٨)

القالِمُون،[1] وحصن أبي العَدَس، وأرطوسية ». [2]

ولا يزال الكِبار في السنّ من أهل طرابلس ونواحيها يذكرون وجودَ برجٍ يُعرف بـ« بُرج العَدَس » شمالي المدينة على ساحل البحر، في موضع يعرف بـ« الدُّعتور » حيث تقوم منشآت شركة النفط ومصفاة طرابلس للبترول الآن. وفي سنة ١٨٩٧ وضع قنصل فرنسا في طرابلس **Paul Savoie** مخطَّطاً صغيراً بيّن عليه المواقع والأسماء الشائعة للأبراج القائمة على ساحلها في ذلك الوقت، ومنها « برج العدس » وذكر هذا البـرج أيضاً عدد من المستشرقين والمؤرّخين والباحثين[3] وهذا يوثّق إلى حدٍّ ما جانباً من رواية الواقديّ على الأقلّ، ويفرض علينا أن لا نطرحها جانباً برُمّتها.

ومن جهة أخرى، فهناك معلومتان خاصّتان بأوّل مسجدٍ بناه المسلمون في طرابلس، عُرِف بـ« الجامع العمري » مثل جامع بيروت الكبير، وجامع صيدا الكبير، اللَّذَيْن عُرفا أيضاً بـ« العمري »، ممّا يرجّح أنّ طرابلس فُتحت كغيرها من المدن الساحلية في عهد الخليفة عمر.

فالمعلومة الأولى، أوردها أحد الكُتّاب من عصر المماليك في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، في نسخة بخطّه من كتاب « نزهة المشتاق » للشريف الإدريسي، حيث قال : « وأطرابلس قد تحوّل أهلها عنها

---

(١) حاليّاً : القلمون، على بُعد سبعة كيلومترات جنوبيّ طرابلس بينها وبين أنفة، على ساحل البحر أيضاً

(٢) أرطوسية أو أرتوسية، على ضفّة النهر البارد بين عرقة وطرابلس على ساحل البحر. أنظر : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي ــ ص١٧ ــ نشره جوان جيلد مايستر ــ بون ١٨٨٥

ومن هنا يتّضح أنّ تسمية برج أو حصن أبي العدس قديمة ترجع إلى القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلاديّ على الأقلّ، وليس إلى عهد المماليك كما يقول المرحوم الشيخ كامل البابا، في تاريخ طرابلس (مخطوط) ــ دفتر ٨٢/٢

(٣) Voyage en Syrie - Max Van Berchem - VI, P. 124.

إلى الجبل، وبنوا مدينة على اسمها، بينها وبين البحر نحو أربعة أميال. ولم يبق من القديمة سوى جامعها، وهو إلى الآن عامر، ويُسَمَّى « **العمري** » ، أقمت به أيام رباطنا بالساحل » .[١]

أمّا المعلومة الثانية، فقد وردت في إحدى وثائق سجلّات المحكمة الشرعية بطرابلس، وهي تتحدّث عن تقرير أحد الشيوخ في وظيفتي الخطابة والإمامة في « الجامع العمري » بأسكلة طرابلس الشام.[٢]

طرابلس قُبيل الفتح

كانت طرابلس تفوق معظم مدن الشام بقوّة تحصيناتها، وكان حصارها يتطلّب وقتاً طويلاً، كما تتطلّب حصاراً خاصّاً من البر والبحر، لأنّ البحر يوفّر لها الحماية الطبيعية من جهات ثلاثة (الشمال، والغرب، والجنوب)، ويحميها خندق عظيم يحيط بأسوار عالية من الجهة الشرقية المطلّة على التلال المنتشرة في مُنبَسَط السهل. كما كانت تمتاز عن بقيّة مدن ساحل الشام، بوجود مجموعة الجُزُر في البحر قرب رأسها.[٣] ولا شكّ في أنّ هذه الجُزُر لعبت دوراً في مقاومة المدينة للمسلمين، إذ كانت المؤن والنجدات والإمدادات تأتي تِباعاً من أنحاء الإمبراطورية البيزنطية إلى طرابلس وتمرّ عن طريق هذه الجزر، فتزيد من عناد أهلها، ولم تكن المدينة مهدَّدة بانقطاع مياه النهر عنها،[٤] إذ أنّ أرضها غوريّة تنبثق منها المياه الصالحة للشرب بشكل آبار على عمق أمتار قليلة.

---

(١) نزهة المشتاق ــ ص١٧

(٢) سجلّ المحكمة الشرعية بطرابلس ــ رقم٢ ــ سنة ١٠٩٠هـ.

(٣) الأمويّون والبيزنطيون ــ د. إبراهيم أحمد العدوي ــ ص٥٨ ــ القاهرة ١٩٥٣

(٤) قال الدكتور سيد عبد العزيز سالم ان طرابلس كانت مهدّدة بانقطاع المياه عنها. (أنظر طرابلس الشام ــ ص ٣٤، وكذلك في دائرة المعارف الإسلامية ١١٨/١٥) وهذا غير صحيح لكثرة الآبار.

وحَدَثَ في سنة ٢٣ هـ/٦٤٤ م أن استطاع البيزنطيّون أن يستعيدوا بعض المُدُن الساحليّة من المسلمين، وأن يتشبّثوا بها سنتين كامِلتين، ومن الواضح أن تلك المدن كانت منها بيروت وجُبَيل وغيرها، وساعدهم على ذلك كثرة الجالية البيزنطية الموجودة في طرابلس. وقد راحت الأجناد العربية تدفعهم حتى ارتدّوا إلى طرابلس التي بقيت كآخر معقل لهم على سواحل الشام.(١)

كان لا بُدّ عند ذلك من فتح طرابلس، بعد أن أطبق عليها الحصار من كل جانب وأصبحت مُحاطة بالمدن الإسلامية من جهات ثلاث، فمن الشمال استولى المسلمون على عِرقة وحصنها المنيع، ومن الجنوب دخلت جبيل وبيروت في حوزتهم، ومن الشرق سقطت بعلبك في أيديهم، وبات أمر فتح طرابلس لا بُدّ منه، إذ ليس من المعقول أن يتغاضى المسلمون عن وجود قاعدة بيزنطية تهدّد الفتوح الإسلامية، هذا إلى جانب كون طرابلس ميناءً هامّاً لإقليم الشام وثغراً لساحل دمشق وحمص. فكانت العوامل السياسية والاقتصادية والعسكرية تحتّم الفتح، ولذا فإنّ معاوية اهتمّ بأمرها بعد أن رأى البيزنطيّين وهم يحاولون أن يتشبّثوا بموطيء قدم لهم على ساحل الشام، وأنّهم قد يستخدمون طرابلس كرأس حربة ومُنْطلق لتهديد المدن المفتوحة، خصوصاً وأنّ البيزنطيّين كانوا لا يزالون يتفوّقون على المسلمين بأساطيلهم البحرية، وبقاء الساحل الإسلامي عُرضةً لغزواتهم.

وهكذا، فإنّ معاوية حصل على موافقة الخليفة عثمان ــ بعد مقتل عمر ــ بفتح ما تبقى من مدن الشام الساحلية، كما حصل على موافقته بركوب البحر بعد أن كان عمر يمانع في ذلك.

---

(١) من تاريخ التحصينات العربية في ساحل الشام ــ د. محمد عبد الهادي شعيرة ــ ص٤٢٩ ــ طبعة ١٩٦٣

الحصار والفتح

لمّا استُخلِف عثمان، ووُلّي معاويةُ الشام، وجّه معاويةُ : القائد الصحابيّ « سفيان بن مجيب الأزدي » إلى طرابلس، وهي في ذلك الوقت ثلاثُ مدنٍ مجتمعة في اللسان الروميّ الداخل في البحر،[1] وبها ثلاثة حصون. فجاءها « سُفيان » بعسكرٍ عظيمٍ قادماً من بعلبكّ — حيث كان أميراً عليها —، وعندما أصبح على بُعد خمسة أميالٍ من طرابلس، نزل بجيشه في مَرْجٍ عندها كان يُعرف بمرج السلسلة[2] عند سفح جبل « تُرْبُل » شماليّ شرقيّ المدينة، وباشر من هناك حربه ضدّ الروم.

ومن الملاحظ أنّ البلاذُريّ وغيره لم يوضحوا الطريق التي سلكها « سُفيان » للوصول إلى طرابلس، ولكنْ يمكن أن نرجّح أنه سلك الطريق الداخليّة من بعلبك الى الشمال باتّجاه نهر العاصي، وانعطف غرباً عند المُنْبَسَط المعروف بسهل البُقَيْعة، ومن هناك انحدر جنوباً على طريق الساحل حتى وصل مشارف طرابلس الشماليّة، ويؤيّد هذا وُرُود ذكر مرج السلسلة، وجبل تربل، وهما في الشمال الشرقي من المدينة.

وكان خارج المدينة حصن اعتصم به أهل طرابلس، وهو عند كنيستها الخارجة منها قِبْليّ المدينة.[3] فقام سفيان بعدّة هجمات عليه وعلى المدينة وحصونها، فلم يوفّق لَمناعَتها، ولذا وجد أنّ من المتعذّر عليه أن يحاصر المدينة ويفتحها وهو لا يستند إلى قاعدة قريبةٍ يرتكز إليها، وأنّ أهل طرابلس يتّصلون عن طريق البحر بالروم فيحصلون على الإمدادات، ممّا يجعل أمر الحصار طويلاً دون حسْم.[4] وعندما طال بالمسلمين الأمر ولم يُحرزوا

---

(١) النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي — ج٧/٣٢٢ نقلاً عن : السيرة المنصورية للمقدسي ؟

(٢) ورد مصحّفاً في كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي ٣٤٥/١ « سليلة »

(٣) تاريخ دمشق (المخطوطة التيمورية) — ج١٦/٧٦

(٤) الفتوح لابن أعثم ٣٤٥/١

تقدُّماً يُذكر، كتب « سفيان » إلى « معاوية » يصف له معاناته أمامها، ويشرح له الموقف، ويطلب منه الرأي والمشورة، فكتب له معاوية : « أنْ ابْن لك ولعسكرك حصناً يأوون إليه ليلاً ويَغزونهم نهاراً ».[1] وهنا ظهرت براعة « سفيان » وثَبَاتُه على منازلة طرابلس، فبدأ بتنفيذ ما أشار عليه معاوية، وانتقل من المرج فعَبر النهر إلى ضِفّته الغربية، ونزل في مكان ملائم، يبعد عن المدينة ميلين أو نحو ذلك، وراح يبني حصناً هناك، والأرجح أنّه كان فوق التلّة الغربية المشرفة على النهر، والتي عُرفت عند الصليبيّين بـ« تلّة الحجاج ». وليس بمستَبْعد أن تكون القلعة التي أتى على ذِكرها الرَّحّالة الفارسي « ناصر خسرو » قد أُقيمت مكان « حصن سفيان ».[2] وكذلك أُقيم فيما بعد في المكان نفسه حصن « صنجيل » الصليبيّ.[3]

وبما أن الحصار يحتاج إلى قائد يتمتّع بمزيَّتَيْ الضبْط الشديد والصبر الجميل، كما يحتاج إلى جنودٍ مدرَّبين يتمتَّعون بالضبط والطاعة، فإنّ انتصار المسلمين على الروم بعد حصارٍ طويل، يدلّ على شدّة ضبْط « سفيان » ومقدارِ صبره، وحُسْن تدريب رجاله وتكامل ضبْطهم.[4]

ويُعتبر بناء الحصن عملاً فذّاً قام به « سفيان »، إذ استطاع أن يشيّده بالرغم من تعرّض العمّال في أي وقت لهجومٍ يشنّه الروم عليه، وقد جاء بناء الحصن الذي عُرف باسم « حصن سفيان » و« حصن كفرقدح » فيما بعد،[5] ليكون أوّل حصن من بناء العرب أقاموه منذ انطلاقة فتوحاتهم، من ألفه الى يائه استخدم للمرابطة والهجوم.[6]

---

(١) الفتوح ١/٣٥٤، تاريخ دمشق ٧٦/١٦

(٢) سفر نامه ــ لناصر خسرو علوي ــ ترجمة د. يحي الخشّاب ــ ص٤٨ ــ بيروت ١٩٧٠

(٣) تاريخ طرابلس السياسي والحضاري ٤٠٧/١ ــ ٤١١

(٤) قادة الفتح الإسلامي (قادة فتح الشام ومصر) ــ اللواء الركن محمود شيت خطاب ــ ص١١٠

(٥) تاريخ دمشق ٧٦/٦

(٦) من تاريخ التحصينات العربية للدكتور شعيرة ــ ص٤٢٩

وعندما تمّ لسفيان بناء الحصن ــ الذي يُرجّح أنّه بُني بين عامي ٢٣ ــ ٢٥ هـ على التحقيق [١] ــ أخذ يشدّد ضغطه على الروم، فكان يبيت كل ليلة في حصنه، ويحصّن المسلمين فيه، ثم يغدو على العدّو في الصباح، وقطع المادّة عن أهل طرابلس من البحر وغيره، كما يقول « البلاذري »، [٢] وإنْ كان لم يوضح كيف قطع « سفيان » المادّة من البحر، هل كان ذلك بوساطة سفُن تساعده بحراً، أم أنه وضع حَرَساً على الشواطىء المحيطة بالمدينة لمراقبة سفن الروم التي تأتي بالإمدادات؟

إنّ عدم الوضوح في رواية البلاذريّ، يقابله تحريف وتصحيف في رواية ابن أعثم التي أُضيفت بالفارسية على الأصل [٣] حيث تقول إن أهل طرابلس لما رأوا أنّ « سفيان » قد شاد حصناً بهذه العظمة تملّكهم الغيظ وتركوا الإقامة في « الجزر » التي كانوا يجلبون منها الفاكهة والثمار وأنواع الغلّات وغيرها التي كانت تُحصَّل منها. [٤]

وأقول : أن كلمة « الجزر » هنا غير مناسبة لما تلاها من السياق، والمنطقيّ أن يقال أنّهم تركوا الإقامة في « المروج » التي كانوا يجلبون منها الفاكهة ... وهذا هو الصواب والواقع.

وعلى أيّة حال، فإنّ « سفيان » ضيّق الخناق على طرابلس حتى ألجأ أهلها إلى الاعتصام بالحصن الغربي عند رأس المينا، القريب من الجزر، [٥]

(١) المرجع نفسه

(٢) فتوح البلدان للبلاذري ــ ق١/١٥٠

(٣) يعود الفضل للزميل الدكتور أغناطيوس الصيصي الأستاذ بكلية الآداب في الجامعة اللبنانية فرع طرابلس، في ترجمة النصّ الفارسي في كتاب الفتوح إلى العربي، فله الشكر.

(٤) الفتوح لابن أعثم ١/٣٤٥ عن النص الفارسي من المخطوطتين المحفوظتين في مكتبة سالار جنك، برقم : التاريخ ١٤٤ و١٤٥

(٥) فتوح البلدان ١/١٥٠

حيث راحوا يفكّرون جدّياً في النجاة من قبضة « سفيان »، بعد أن يئسوا من طول الحصار الذي امتدّ أشهراً، حيث نفذت منهم المُؤَن والأقوات. وعجزوا عن الخروج من المدينة للتصدّي لقوّات « سفيان »، فكتبوا إلى امبراطور الروم « قنسطانز الثاني » (٦٤١ — ٦٦٨ م) يسألونه أن يمدّهم بمساعدة حربية، أو يبعث إليهم بمراكب يهربون بها إلى بلاده.[١] ولكنّ « قنسطانز » كان أعجز من أن يدافع عن ممتلكات الامبراطورية، وأنّ المسلمين مصمّمون على اقتلاع حكم الروم من بلاد الشام كلها، ولذا فإنه اكتفى بإرسال مجموعة من المراكب تسلّلت ليلاً إلى ميناء المدينة حتى لا يشعر بها المسلمون، ونرجّح أنها رست عند الجزر في عرض البحر، فركبها الروم بعد أن حملوا معهم أمتعتهم وأثاثهم، وأخلوا المدينة من صغيرهم وكبيرهم، وأبحروا تحت جُنح الظلام إلى القسطنطينية.[٢]

وتذكر رواية ابن أعثم، وابن عساكر أنّ الروم أشعلوا النيران في جنبات المدينة عند فرارهم، وهم يهدفون بذلك تدميرَها حتى لا تصلح لإقامة العرب فيها. وفي اليوم التالي لهروب الروم، خرج « سفيان » ومن معه لشنّ الغارة على طرابلس كعادته من كل يوم، ولكنه لم يلق مقاومة، ووجد الحصن الذي كان يحتمي به الروم خالياً، فدخله وجنوده. وعندما قام المسلمون بتفتيش المدينة وجدوا يهودياً قد احتمى من النار في سرداب، فأخرجوه واستجوبوه، فأخبرهم اليهوديّ العجوز خبرَ الروم ومسيرهم في المراكب.[٣]

وهكذا تمّ لسفيان فتح طرابلس، فدخلها وهي خاوية على عروشها دون قتالٍ سنة ٢٥ هـ/٦٤٦ م وكتب الى معاوية في دمشق يبشّره بهذا الفتح المبين. وبفتح طرابلس تمّ الفتح الإسلامي لكلّ المدن « اللبنانية ».

---

(١) فتوح البلدان ١٥٠/١، الفتوح لابن أعثم ٣٤٥/١، الخراج وصناعة الكتابة ١٩٥

(٢) تاريخ دمشق ٧٦/١٦

(٣) الفتوح لابن أعثم ٣٤٦/١، تاريخ دمشق ٧٦/١٦، تهذيب تاريخ دمشق ١٨٤/٦

وبهذا يمكن تلخيص العرض لحركة الفتوحات الإسلامية في لبنان، بما يلي :

إنّ مدينة صور كانت أول المدن « اللبنانية » فتحاً، حيث فتحت سنة ١٣ هـ/٦٣٣ م. على يد « شُرَحْبيلَ بن حَسَنَة »، ثم تلتها مدينة بعلبك في سنة ١٤ هـ/٦٣٤ م، ثم المدن الساحلية : عرقة وجبيل وبيروت وصيدا، في السنة نفسها، أما طرابلس فيُحتمل أنها فُتحت مرتين : سنة ١٨ هـ/٦٣٨ م وسنة ٢٥ هـ/٦٤٥ م.

وكان البقاع أول إقليم يدخله المسلمون في « لبنان »، فخضع أكثره قبل فتح بعلبك.

« لبنان »
في عهد الخلافة الراشدة

منذ أن فُتحت بعلبك والمدن الساحلية ـــ ما عدا طرابلس ـــ أصبحت حسب التقسيم الإداري الذي وضعه الخليفة عمر بن الخطاب تابعة لولاية « يزيد بن أبي سفيان ». وحين توفي « يزيد » بطاعون عَمَواس سنة ١٨ هـ أجرى عمر تعديلاً في التقسيم الإداري، فولّى « عمرو بن العاص » على فلسطين والأردن، وسعيد بن عامر بن حُذَيْم على حمص، أما بعلبك ودمشق وساحلها والبلقاء فكانت من نصيب « معاوية بن أبي سفيان » ثم جمع الشام كلّها لمعاوية فيما بعد،[1] واستعمل على البحر « عبدالله بن قيس الجاسي » حليف بني فزارة، وكان الخليفة عمر أول من استعمله على السواحل، حيث يذكر « الطبري » أنّ عمر لمّا قَدِم الشام قسّم الأرزاق، وسمّى الشواتي والصوائف، وسدّ فروج الشام ومَسَالحها وأخذ يدور بها، وسمّى ذلك في كل كورة، واستعمل عبدالله بن قيس على السواحل من كل كورة، وكان ذلك في سنة ١٧ هـ/٦٣٧ م.[2] وحين فُتحت طرابلس دخلت مع غيرها من المدن « اللبنانية » في ولاية « معاوية ».

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـــ لابن عبد البّر ٥١١/٢

(٢) الطبري ٦٤/٤، ٦٧، ابن الأثير ٥٦٢/٢، تاريخ اليعقوبي ٢٤٠/٢، تاريخ خليفة ٢٢٥، تاريخ دمشق ٣٠٢/٦، سير أعلام النبلاء ٥٩٤/٤، نهاية الأرب ٣٦١/١٩ وفيه « عبيد الله »

وكان من الواضح أنّ المدن الساحلية أضحت خالية، أو شبه خالية من السكان إثر الفتح الإسلامي، حيث جلا الكثير من أهل صيدا وعِرْقة وجبيل وبيروت، عندما قصدها « يزيد بن أبي سفيان » وأخوه « معاوية » حسب شهادة « البلاذري »[1] ورأينا كيف هجر الروم طرابلس تماماً وباتت خالية إبّان حصار « سفيان بن مجيب » لها، حسب شهادة أكثر من مؤرّخ.[2]

وعلى العكس من ذلك، فإنّ مدينة بعلبك ـــ البعيدة عن الساحل ـــ بقيت المدينة الوحيدة في « لبنان » العامرة بالسكان من مختلف القوميّات، كما رأينا في كتاب الصلح الذي عقده أبو عبيدة بن الجرّاح مع أهلها.[3] بل كانت هي وغيرها من المدن الداخلية كدمشق وحمص وغيرها، الرافد الرئيس للمدن الساحلية بالسكان والمرابطين والمقاتلة.

ولقد شعر « معاوية » بخطورة الفراغ السكاني الكبير في المدن الساحلية، ولهذا اهتمّ بعمرانها وإسكانها، فقام بترميم ثغر صور،[4] وأتى بجماعة كبيرة من يهود الأردنّ وأسكنهم في حصن طرابلس،[5] وهو الذي كان يقوم حيث مدينة الميناء،[6] اليوم، ولم يسكنها غيرهم لبضع سنين.[7] وفي الواقع إنّ معاوية أدرك إنّ اليهود قوم لا همّ لهم إلّا تأمين مصالحهم الخاصة، وأنّ كثيراً

---

(١) فتوح البلدان ١٥٠/١، الخراج وصناعة الكتابة، لقدامة بن جعفر ـــ ص٢٩٥

(٢) فتوح البلدان ١٥١/١، الفتوح لابن أعثم ٣٤٦/١، الخراج ٢٩٥، تاريخ دمشق ٧٦/١٦

(٣) ينقل محمد علي مكي في كتابه « لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني ـــ ص١٥، عن كتاب « تسريح الأبصار » للأب لامنس ـــ ج٤٨/٢ الذي ينقل بدوره عن كتاب « البلدان » لليعقوبي، أنه خصّص بعلبك وعرقة في بلاد عكار بخلوّها من السكان ! وأقول : انّ هذا الزعم غير صحيح، فالأب « لامنس » لا ينقل بأمانة عن اليعقوبي، وكان الأجدر بالأستاذ مكي أن يرجع الى المصدر الأساسي دون وساطة.

(٤) فتوح البلدان ١٤٠/١، الخراج ٢٩٠

(٥) تاريخ دمشق (المخطوط) ٧٧/١٦، تهذيب تاريخ دمشق ١٨٣/٦

(٦) فتوح البلدان ١٥١/١

(٧) تاريخ دمشق

منهم خانوا البيزنطيينن وعملوا عيوناً للعرب المسلمين مقابل إعفائهم من الجزية، ومنْحهم الأراضي، لذلك أسكنهم مدينة طرابلس.[١]

ويبدو أنَّ العرب كانوا يخشون في ذلك الوقت المبكّر من الإقامة في المواني الساحلية الشاميّة التي كانت هدفاً لغارات البيزنطيّين، ولذا نجد « معاوية» يتّبع سياسة إقطاع الأراضي على العرب، ليس لتكوين طبقة من المزارعين، بل لتدعيم شأن المحاربين المرابطين في الثغور الخطرة، فأغرى العرب بتملُّك الأراضي ليحلّ مشكلة إسكان الساحل.[٢] وحين آلت الخلافة إلى « عثمان » أصدر تعليماته إلى « معاوية » يأمره فيها بتحصين السواحل وشحْنها وإقطاع من يُنزله إيّاها قطائع، ففعل ».[٣] ولكنّ العرب لم يتحمّسوا أوّل الأمر لهذه الإغراءات، ولذلك نرى « معاوية » يلجأ ثانية إلى الاستعانة بغير العرب ليعمرُوا المدن الساحلية، فيتّجه هذه المرّة الى استقدام الفرس من المدن الداخلية، حيث أنزلهم في : عِرْقة، وطرابلس، وجبيل، وبيروت، وصيدا، وصور.[٤] كما استأمن جماعة من الروم فأذِنَ لهم « معاوية » بالإقامة في طرابلس.

---

(١) طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي ـــ د. سيد عبد العزيز سالم ـــ ص٣٦ ـــ طبعة دار المعارف بالإسكندرية ١٩٦٧

(٢) الحدود الإسلامية البيزنطية (بين الاحتكاك الحربي والاتّصال الحضاري) ـــ فتحي عثمان ـــ ج٣٣٨/١ ـــ القاهرة ١٩٦٦

(٣) فتوح البلدان ١٢٧/١، العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام ـــ د. عبد العزيز الدوري ـــ عن (مؤتمر تاريخ بلاد الشام) ـــ ص٢٨ ـــ الجامعة الأردنية ١٩٦٢

(٤) البلدان لليعقوبي ٢٣٧، فتوح البلدان ١٧٥/١

مدن « لبنان » الساحلية
ودورها في غزو جزر البحر المتوسط

فتح جزيرة قبرص

بعد أن تمّ لمعاوية فتح جميع مدن الشام الساحلية، وجد بثاقب نظره أنّ البيزنطيين لا يفتأون يتطلّعون للانقضاض على تلك المدن بأساطيلهم البحرية، وأنهم يتخذون من جزر البحر المتوسط قواعد لانطلاق سفنهم والإغارة على ساحل الشام ومُدُنه، وكان إحساسه بخطر تلك الجزر مبكراً، حيث كتب إلى الخليفة عمر يقول : « يا أمير المؤمنين، إنّ بالشام قرية يسمع أهلها نُباح كلاب الروم وصياح ديوكهم، وهم تلقاء ساحلٍ من سواحل حمص »،[1] فقيل عن الخليفة إنه كتب الى معاوية : « إنّا سمعنا أنّ بحر الشام يشرف على أطول شيءٍ على الأرض، يستأذن الله في كل يوم وليلة في أن يفيض على الأرض فيغرقها، فكيف أحمل الجنود في هذا البحر الكافر المستعصب. وَالله لمسلم أحبّ إليّ ممّا حَوَت الروم، فإيّاك أن تعرض لي، وقد تقدّمت إليك.. ».[2] وبسبب موقف الخليفة عمر من اصطناع الأسطول، انصرف

(١) تاريخ الرسل والملوك للطبري — ج٤/٢٥٨

(٢) تاريخ الرسل ٤/٢٥٨، ٢٥٩.

الاهتمام إلى تحصين المدن الساحلية وترميم حصونها القديمة التي تركها العدوّ، وسُمِّيت « أخائذ »،[1] كما أنشأ المسلمون « مناظر » كانت تُتَّخذ للمواقيد والحَفَظة والمرابطة وحمايتها من غارات الروم المفاجئة. وكان معاوية قد عاد وكتب الى الخليفة يصف له حال الساحل، فكتب إليه في مرمّة حصونها، وترتيب المقاتلة فيها، وإقامة الحرس على مناظرها، واتّخاذ المواقيد لها. ولم يأذن له في غزو البحر، إذ كان يكره أن يحمل المسلمين غُزاةً فيه.[2]

وحدث في أواخر أيام الخليفة عمر وأوائل أيّام الخليفة عثمان أن غمرت موجة بيزنطية الساحل الشامي، وعمل البيزنطيّون على تثبيت أقدامهم في مدن الساحل والتشبّث بها، بفضل أسطولهم البحري، وألحقوا هذه الموجة بحملة بحرية، استطاعوا أن يستعيدوا فيها مدينة الإسكندرية سنة ٢٥ هـ/٦٤٥ م ووجد معاوية أنّ من الضروريّ اصطناع أسطول بحري للوقوف في وجه الخطر البيزنطي، والدفاع عن سواحل مصر والشام، وحماية المياه العربية الإسلامية، بله ضرب الأراضي البيزنطية نفسها لردعها عن الغارات العدوانية التي تقوم بها.

وإذا كان معاوية قد فشل في الحصول على موافقة الخليفة عمر على ركوب المسلمين البحر، فإنّه نجح في إقناع الخليفة عثمان بعد لأيٍ، رغم أنّ عثمان كان محترزاً في قراره بالموافقة، حيث كتب معاوية إليه يسأله أن يأذن له في ركوب البحر إلى جزيرة قبرس، ويخبره في كتابه بقرب المسير

---

(١) فتوح مصر والمغرب ــ لابن عبد الحكم ــ ص١٣٠ ــ طبعة نيويورك ١٩٣٢

(٢) فتوح البلدان ١٥٢/١، والمصنّف، لعبد الرزاق الصنعاني ــ تحقيق عبد الرحمن الأعظمي ــ ج٥/٢٨٣ رقم الحديث ٩٦٢٣ باب الغزو في البحر، بروايته عن معمر، عن الزهري عن ابن المسيّب

إليهم، وأنّ البحر قد ذلّ بعد صعوبته، فكتب إليه عثمان : إني لست بفاعلٍ ذلك ولا آذن لك في ركوب البحر، وقد نهاك عنه عمر بن الخطاب، فإنْ أبيت ذلك، ولم يكن لك بُدّ من ركوب البحر فاحمل معك أهلك وولدك حتى أعلم أنّ البحر هيّن كما تقول.[1] وقيل إنه كتب له أيضاً قوله : « لا تنتخب الناس ولا تُقْرِع بينهم، خيّرهم، فمن اختار الغزو طائعاً فاحملْه وأعِنْه ».[2]

وما إن وصل جواب الخليفة الى معاوية حتى كتب إلى أهل السواحل وأمرهم بإصلاح المراكب التي استولوا عليها من البيزنطيين، وتقريبها إلى ساحل حصن عكا التي أمر ترميمها، كما قام بترميم مدينة صور.[3] ووضع الأرزاق للناس فأعطاهم وأمرهم بالمسير إلى عكا، فخرج الناس من دمشق، وخرج هو وأهله وولده، وعقد الرايات والألوية، وأمر أن لا يتخلّف أحد ممن أخذ أرزاقه، وخرج من ميناء عكا قبل صلاة يوم الجمعة في سنة ٢٨ هـ/٦٤٩ م[4] قاصداً جزيرة قبرس التي كانت باكورة أعمال المسلمين الحربية في البحر المتوسط « إذا لم يركب المسلمون بحر الروم قبلها »،[5] على رأس أسطول قيل إنه كان يتكوّن من (١٧٠٠) سفينة[6] وقيل إنه يتكوّن من

---

(١) الفتوح لابن أعثم ١١٧/٢، ١١٨

(٢) المواعظ والاعتبار المعروف بالخطط المقريزية، للمقريزي ـــ ج٣٠٨/٣ طبعة مصر.

(٣) فتوح البلدان ١٤٠/١ وهو يروي عن الواقدي، عن هشام بن الليث الصوريّ. (رقم ٣٢٤)، الخراج ٢٩٠

(٤) في تاريخ أبي زرعة الدمشقي ١٨٤/١ أنّ الغزوة كانت سنة ٢٥هـ. (٦٤٥م.)

(٥) فتوح البلدان ١٨١/١

(٦) هذا حسب رواية « أغابيوس بن قسطنطين المنبجي» في كتابه « العنوان » الذي نشره الأب لويس شيخو ببيروت ١٩٠٧ ـــ ج٣٤٦/٢، وأعتقد أنّ الرقم مبالغ فيه. أنظر : المنتخب من تاريخ المنبجي، بتحقيقنا ـــ طبعة دار المنصور، طرابلس ١٩٨٦ ـــ ص٥٥ حاشية رقم (٥)

(١٢٠) مركباً،[١] وقيل إنه كان يتكوّن من مراكب كثيرة.[٢] وقد خرج في هذه الغزوة جمع من الصحابة منهم: « أبو ذَرّ الغِفاريّ » و« عبادة بن الصامت » وزوجته « أم حرام بنت مِلْحان »،[٣] و« المِقْداد بن الأسود » و« شدّاد بن أَوْس » و« أبو الدرداء الأنصاري »، وكان هذا الأخير يرابط في بيروت مع « سلمان الفارسي » و« عبد الملك بن أبي ذرّ ».[٤]

وصادف حين خروج أسطول معاوية للغزو أن كانت مراكب الروم في البحر محمّلة بالهدايا قد بعث بها ملك قبرس الى الإمبراطور « قنسطانز الثاني »، فأحدق المسلمون بتلك المراكب وأخذوها، وساروا حتى رسوا على ساحل قبرس، وأغاروا على نواحيها وغنموا الكثير من أهلها، حتى اضطرّ ملك الجزيرة أن يطلب الصلح من معاوية، فصالحه على أن يؤدّي الروم الى المسلمين في كل سنة سبعة آلاف ومائتي دينار،[٥] ويؤدّوا للبيزنطيين مثلها، وليس للمسلمين أن يَحُولوا بينهم وبين ذلك، على أن لا يغزوهم ولا يقاتلوا من وراءهم ممن أرادهم من اخلفهم وعليهم أن يُؤذِنوا المسلمين بمَسير

---

(١) هكذا في كتاب الفتوح لابن أعثم ١١٨/٢ وهو رقم معقول، خصوصاً أنه أول أسطول يخرج به المسلمون للغزو، ولم يكن الوقت ليسمح لهم بإنشاء العدد الهائل الذي ذكره المنبجي.

(٢) الخراج وصناعة الكتابة لقُدامة ٣٠٦

(٣) ينفرد « صالح بن يحي » في « تاريخ بيروت » ص١٤ بالقول إنّها ماتت في بيروت بعد عودتها من قبرس، بينما تكاد المصادر الأقدم تُجمع على أنها توفّيت في الجزيرة ودُفنت هناك وقبرها يُزار. (أنظر : تاريخ خليفة ١٦٠، ربيع الأبرار للزمخشري ٢٤٠/١، الطبقات الكبرى لابن سعد ٣١٨/٨، تاريخ دمشق (المجلّد الأخير الخاصّ بالنساء) ــ تحقيق سكينة الشهابي ــ دمشق ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م. ــ ص٤٨٦ ــ ٤٩٩)

(٤) التاريخ الصغير للبخاري ــ ص٤١ ــ طبعة المكتبة الأثرية بالباكستان، تاريخ الطبري ٢٥٨/٤، تاريخ دمشق ٩٢/١٦ و٢٧٨/٢٤، تاريخ أبي زرعة ١٨٧/١ وقد وردت أسماء جماعة آخرين من الصحابة في هذه الغزوة، منهم : جبير بن نفير الحضرمي، وواثلة بن الأسقع، وأبو أمامة الباهلي، وعبد الله بن بُسْر المازني، وعبدة بن عبيد السلمي، وهذا الأخير هو الذي وصف الجزيرة للخليفة عثمان (أنظر : الفتوح ١٢٠/٢ و١٢٢ و١٢٣)

(٥) الفتوح لابن أعثم ١١٩/٢، وفي فتوح البلدان، وتاريخ الطبري وغيره

عدوّهم من الروم إليهم، وأن يضع إمام المسلمين عليهم بَطْرِيقاً[1] منهم.[2] فكان المسلمون إذا ركبوا البحر لم يعرضوا لهم ولم ينصرهم أهل قبرس، ولم ينصروا عليهم، فلما كانت سنة ٣٢ هـ/٦٥٣ م. أعانوا الروم غلى الغزاة في البحر بمراكب أعطوهم أيّاها، وأخلّوا بشروط الصلح، فغزاهم معاوية سنة ٣٣ هـ /٦٥٤ م في ٥٠٠ مركب[3]، ففتح الجزيرة عَنْوة وأخذ السَّبي منها، ثم قام بتفريقه على المقاتلين الفاتحين.[4] حتى أقرّ أهلها على صُلحهم، وبعث إليها باثني عشر ألفاً من أهل الديوان المكتتبين، فبنوا بها المساجد. ونقل إليها جماعة من أهل بعلبك، وبنى بها مدينة، وأقاموا يُعْطون الأُعطية إلى أن توفي، وولي بعده ابنه « يزيد » فأقفل ذلك البعث، وأعاد البعلبكّيين وغيرهم من أهل الديوان، وأمر بهدم المدينة.[5]

---

(١) بطريق : بفتح الباء، هي الصيغة المعرَّبة للكلمة اللاتينية « باتريكيوس Patrisius » وقد أنشأ هذه الرتبة الإمبراطور قسطنطين (٣٠٦ — ٣٣٧م.) وهي رتبة لا تتّصل بأيّ وظيفة، وكانت تُمنح لمن يؤدي للدولة خدمات جليلة. وقد جرى الاصطلاح على أنها تدلّ على القائد عند البيزنطيين، كالمصطلحات الأخرى « دُمِسْتق Domesticus » و« دوقس Dux ». (دائرة المعارف الإسلامية — ج٧/٣١٣)

(٢) فتوح البلدان ١/١٨١، الفتوح لابن أعثم ٢/١١٩، تاريخ الطبري ٤/٢٦٢ وهو ينقل رواية الغزوة عن محدّثين من المدن « اللبنانية » بساحل الشام، منهم : « سليمان بن أبي كريمة الصيداوي » و« الوليد بن مسلم » و« الليث بن سعد الفارسي »، وجميعهم حدثّوا بطرابلس وبيروت وصيدا، وقد ذكر الطبري ألهم « من مشيخة ساحل دمشق ». تاريخ دمشق (المخطوط) ٣٦/١٩٦، تهذيب تاريخ دمشق ٧/٣٠٧، تاريخ اليعقوبي ٢/١٦٦، الخراج ٣٠٦، الأموال لابن سلّام ٢٥٣، ٢٥٤، شرح كتاب السِيَر الكبير — للشيباني، إملاء السرخسي — تحقيق عبد العزيز أحمد — ج٥/٢١٦٦ — طبعة معهد المخطوطات بالجامعة العربية ١٩٧٢

(٣) فتوح البلدان ١/١٨١

(٤) روى جبير بن نُفَير عن أبي الدرداء أنه شهد فتح قبرس، وقال : رأيته يبكي والسبي يفرّق. (تاريخ أبي زرعة ١/١٨٧ رقم ٩٥) كتاب السِيَر لأبي إسحاق الفزاري — ص١٤٢ رقم ١٠٨

(٥) فتوح البلدان ١/١٨٢، وفي تاريخ أبي زرعة ١/١٨٤ أنّ الغزوة كانت سنة ٢٦هـ. بقيادة أبي الأعور السلمي عمرو بن سفيان بن سُليم. (وانظر : الإصابة لابن حجر ٢/٥٤١)

فتح جزيرة أرواد

وكان حظّ جزيرة أرواد الشامية، الواقعة بين طرابلس وجَبَلَة، أمام مدينة أنطرطوس،[1] مثل حظّ جزيرة قبرس، إذ تعرّضت لحملتين، كانت أولاهما بعد الحملة الأولى على قبرس، وذلك في سنة ٢٩ هـ/٦٤٠ م انتهت بعقد معاهدة مع أهلها. أمّا الحملة الثانية فكانت في السنة التالية، وتمّ فيها فتح الجزيرة بالقوّة وإحراق عاصمتها وقلعتها.

وحول فتح أرواد، لَدينا روايتان، إحداهما للمنبجي، والأخرى لابن أعثم، فتقول رواية ابن الأعثم، إنّ المسلمين أسروا من الروم رجلاً في بعض السواحل، فقالوا : من أين أنت ؟ فقال : من أرواد، فأتوا به إلى معاوية، فجعل يسأله عن أرواد وموضعها من البحر، وهو يصفها له، ثم سيّر أربعة آلاف رجل بقيادة « جُنادة بن أبي أُميّة »،[2] فسار « جنادة » بطريق الساحل على البرّ، ثم حمل أصحابه في عشرين مركباً، ومعهم الروميّ يدلّهم على الجزيرة، حتى إذا قاربوها أشار عليهم بأن يرسوا في البحر على وجه الماء، حتى إذا أظلم الليل أبحروا حتى وافوا الجزيرة وأهلها غافلون، فنزلوا إلى البرّ وانتظروا حتى فتح أهل الجزيرة باب حصنهم، وباغتوهم بهجمَة صاعقة وأعملوا القتل فيهم، والتزم الباقون بيوتهم كالنساء، فأقرّهم « جُنادة » في حصنهم على صُلْح بمالٍ أخذه منهم، وفرض عليهم الجزية، وعاد إلى معاوية غانماً.[3]

---

(١) أنطرطوس : هي طرطوس الحالية، بلد من سواحل الشام، وهي آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية، أول أعمال حمص، وقال أبو القاسم الدمشقي : من أعمال طرابلس مطلّة على البحر في شرقيّ عرقة بينهما ثمانية فراسخ ولها برجان حصينان. (معجم البلدان)

(٢) كان على غزو البحر أيام معاوية كلها من زمن الخليفة عثمان إلى أيام يزيد بن معاوية، إلّا ما كان من أيام الفتنة حتى توفي سنة ٥٨هـ. وقيل ٦٧ سنة ٨٠هـ. أنظر : الكامل في التاريخ ٤٥٦/٤، والتاريخ الكبير للبخاري، مجلّد٢ ق٢٣٢/١/٢، والتاريخ الصغير له ١٦ و٧٢ وقال انه كان في البحر ٦ سنين وفي وفاته نظر. والطبقات للأزدي ٧٩٠/٢، ومشاهير علماء الأمصار لابن حبّان ١١٢، وتجريد أسماء الصحابة للذهبي ٨٩/١ رقم ٨٣٩

(٣) الفتوح لابن أعثم ١٤٥/٢، ١٤٦

أما رواية « المنبجي » فتقول إنّ معاوية حين غزا قبرس بلغه أنّ الروم توجّهوا لمقاتلته، فانسحب إلى « سورية » ونزل على « أرواد » وجَهد الجَهْد كلّه فلم يصل إليها، فأنفذ أُسْقُفاً يقال له « توما » وسألهم الإنتقال عن الجزيرة والانصراف إلى الروم لينزلها العرب، ولكنّ أهل الجزيرة اعتقلوا الأسقُف ولم يلتفتوا إلى رسالة معاوية. وآثر معاوية العودة إلى دمشق لدخول فصل الشتاء، وحين دخل الربيع رجع معاوية إلى الجزيرة في جيش عظيم ونزل عليها حتى ضيّق على أهلها وأجبرهم على الإذعان لشروطه بالخروج من الجزيرة إلى « سورية » ليسكنوا حيث شاؤوا. ووفى لهم معاوية بذلك، وبعد خروجهم أمر بهدم سور الجزيرة وطرح فيه النار.[1]

وأهمّ ما يلاحظ في فتح جزيرة أرواد التشابه القويّ بين ظروف الفتح الأول هذا في عهد الخلفاء الراشدين، وظروف الفتح الثاني في عهد المماليك، الذي تمّ عن طريق نائب السلطنة بطرابلس سنة ٧٠٢ هـ/ ١٣٠٢ م[2] ممّا يجعلنا نرجّح أنّ الحملة الأولى الى الجزيرة انطلقت من طرابلس أو من غيرها من مدن « لبنان » الساحلية.

فتح جزيرة رودس

وفي سنة ٣٣ هـ/٦٥٤ م هاجم المسلمون جزيرة رودس واستولوا عليها بالقوّة[3] وفي ذلك تحدّث ابن أعثم فقال إنّ معاوية كتب إلى الخليفة عثمان يستأذنه في فتح جزيرة أخرى بعد قبرس، فأحجم الخليفة عن الموافقة أول الأمر، ولكنّ أصحابه أشاروا عليه بالموافقة بعد أن أثبتت غزوة قبرس نجاحها،

---

(١) المنتخب من تاريخ المنبجي، بتحقيقنا ٥٥، ٥٦

(٢) أنظر كتابنا : تاريخ طرابلس السياسي والحضاري ـــ عصر المماليك ـــ ج٢/١٣٣ ـــ ١٣٦ ففيه مصادر الفتح الثاني لأرواد، للمقارنة مع الفتح الأول لها.

(٣) فتوح البلدان ٢٧٨/٢

واجترأ المسلمون على ركوب البحر، فوافق عثمان وكتب إلى معاوية: « إنّي قد أذِنت لك فيما سألت، فاتّق الله ولا تضيّع الحزم، وإن خوّفت من البحر شيئاً فلا تركبنّه فإنّ هَوْلَه عظيم »، فنادى معاوية في الناس وأمرهم بالمسير الى مدينة صيدا للإنطلاق منها إلى رودس، فاجتمع المسلمون فيها مع المراكب، وخرج معاوية بهم يتقدّمهم الدليل في مركب وصُحبته أشدّ المقاتلة، حتى بلغوا الجزيرة وقاتلوا أهلها الذين خرجوا بمراكبهم، وهزموهم ؛ ثم نزلوا على الجزيرة ودخلوها عنوة وقتلوا من فيها، واحتازوا الغنائم الكثيرة، حتى خلت الجزيرة من سكانها. وبقيت خراباً يباباً إلى خلافة معاوية ٤١ هـ/ ٦٦١ م[1]

على أنّ المسلمين توَّجوا نشاطهم البحريّ بالانتصار الرائع في الموقعة التي اشتهرت باسم « ذات الصواري » والتي ما تزال إلى الآن تُعتبر من أهمّ المعارك البحرية الفاصلة في التاريخ. وبعدها أصبح « بحر الروم » يُعرف « ببحر الشام » عند الساحل الشرقي.

موقعة ذات الصواري

نتيجة للإنتصارات المتتالية التي حقّقها المسلمون في البحر المتوسّط، فقد تشجّع الخليفة عثمان وأعطى أوامره إلى معاوية بتحضير الأسطول ليكون مستعدّاً لمواجهة الأسطول البيزنطي، بعد أن علم أنّ الامبراطور قد عزم على غزو المسلمين في البحر، فأمر معاوية بإعداد أسطول صخم من السفن في ميناء طرابلس، وبحشد الجنود والعتاد، إلى جانب حشد برّيّ ضخم أخذ يجمعه في دمشق، توطئة لتسيير حملة برّية ــ بحرية.

(١) الفتوح لابن أعثم ١٢٤/٢ ــ ١٢٧

وفيما كانت الاستعدادات على قدم وساق في مدينتي طرابلس ودمشق، إذ بشابّين من نصارى طرابلس ــ كانا أخوين لرجل يقال له « بقناطر »[1] ــ ويعملان في خدمة العرب، يقومان بعملية تخريب واسعة استهدفت تعطيل استعدادات معاوية والقضاء عليها، إذ أنهما عندما نظرا إلى ما أعدّه معاوية في طرابلس تفاعلت الحميّة في نفسيهما، فتسلّلا إلى سجن المدينة واستطاعا أن يكسرا أبوابه ويُطلقا منه سراح جميع من فيه من المعتقلين من محاربي الروم. ثم انطلق الجميع الى حيث يقيم عامل المدينة فهاجموا داره وقتلوه،[2] ثم تسارعوا بعد ذلك إلى حيث ترسوا سفن الأسطول المستعدّة للإبحار، فأشعلوا فيها النيران وأحرقوا كل ما كان فيها من عتاد حربيّ، ثم أخذوا إحدى السفن وفرّوا بها الى شاطىء آسية الصغرى ميمّمين نحو القسطنطينية. وأذاعوا هناك أخبار الحشود الإسلامية فتناهى ذلك إلى أسماع الإمبراطور « قنسطانز الثاني » فراح يعمل بدوره على إعداد سفن اسطوله وجيشه لمواجهة معاوية.

ومن المرجّح أنّ العمليّة التخريبية تمّت في فصل الشتاء، وهو الفصل الذي يقفل فيه الجُند المرابطون في طرابلس الى دمشق، حيث لا يبقى في المدينة سوى عاملها وحفنة من الجند يسيرة.[3] ومهما يكن من أمر، فإنّ معاوية حشد في البرّ عند دمشق جيشاً وعتاداً يفوق ما فقده في طرابلس، ولم تُثْنه تلك الخيانة، وذلك العمل التخريبي عن متابعة استعداداته، بل راح بعزم وتصميم يعيد بناء سفن جديدة في طرابلس. وعندما تمّ ذلك خرج على رأس

---

(١) أو « بقنطر » أو « بقطر » كما في بعض النُسَخ.

(٢) المنتخب من تاريخ المنبجي ٥٩، ٦٠، خطط الشام لمحمد كرد علي ١٤٢/١ و٣٦/٥ ــ دمشق ١٩٢٥، الأمويون والبيزنطيون ــ د. إبراهيم أحمد العدوي ــ ص١٠٢
وقد أتى كل من البلاذري وابن عساكر وابن الأثير على رواية مشابهة لهذه التفاصيل في زمن عبد الملك بن مروان. وسيأتي تفصيل ذلك. وانظر كتابنا : تاريخ طرابلس ١٠١/١، ١٠٢

(٣) فتوح البلدان ١٥١/١

قوّاته البرّيّة من دمشق في سنة ٣٤ هـ/٦٥٥ م وأبحرت في الوقت نفسه السفن من ميناء طرابلس بقيادة أمير البحر بساحل الشام « بُسْر بن أبي أرطاة »،[١] وانضمّت إلى سفن الأسطول المصري بقيادة أمير البحر « عبدالله بن سعد بن أبي السَّرْح »، واجتمع أهل الشام وأهل مصر بساحل مدينة عكا، وانطلقوا بأسطولهم وهم يحملون الخيل في المراكب، في جمع عظيم من العُدَّة والعدد والسلاح والطعام، واختلف المؤرّخون في تقدير مجموع المراكب والسفن، فذكر « ابن عبد الحكم » و« الكِنْدي » أنّ العدد كان (٢٠٠) سفينة.[٢] وذكر « البلاذري » و« ابن أعثم » (٥٠٠) سفينة،[٣] فيما لم يذكر « الطبري » رقماً معيّناً.

وصل معاوية بقوّاته إلى ميدنة قيصرية[٤] في كبّادوكيا[٥] بآسية الصغرى الواقعة خلف مرتفعات طوروس، في حين كانت السفن الإسلامية تقترب من مياه الدولة البيزنطية عند الساحل الجنوبي لآسية الصغرى، وكان الإمبراطور البيزنطي قد علم عند ذلك بأنباء الحملة العربية، فخرج على رأس أسطوله الذي كان عدد قطعه يتراوح بين ٥٠٠ ــ ١٠٠٠ سفينة.[٦] فكان الروم في

---

(١) حاضر العالم الإسلامي ــ مقالة محاصرات العرب للقسطنطينية ــ شكيب أرسلان ــ ج١/٢١٤

(٢) فتوح مصر لابن عبد الحكم، وُلاة مصر للكِندي ــ ص٣٦

(٣) فتوح البلدان ١/١٨١، الفتوح لابن أعثم ٢/١٢٨

(٤) قيصرية أو قيسارية : اسم أطلقه الرومان على كثير من بلاد إمبراطوريّتهم بالشرق وشمالي إفريقية وإسبانيا أيضاً. ومن هذه قيسارية فلسطين الواقعة على الشاطيء على مسافة ٢٤ ميلاً جنوبيّ حيفا. ومنها قيصرية الروم وهي المقصودة هنا، وتقع على نهر قاراصو أحد فروع نهر قزلة.

(٥) كبّادوكيا Cappadoca : كورة بإقليم أرمينية به ثغر مَلَطية. (معجم الخريطة التاريخة ــ أمين واصف ــ ص١٠٣ ــ طبعة مصر ١٩١٦)

(٦) ذكر الطبري أنها بين ٥٠٠ ــ ٦٠٠ سفينة (ج٤/٢٩١) ونقل عنه ابن الأثير (ج٣/١١٧)، أما الكِنْدي والمسعودي فيقولان إنها ١٠٠٠ سفينة، وقيل ٧٠٠ سفينة (ولاة مصر ــ ص٣٦، التنبيه والإشراف للمسعودي ص١٣٥) ويجعلها ابن أعثم قريباً من ألف مركب. (الفتوح ٢/١٢٨)

جمعٍ « لم يجتمع لهم مثله قطّ »، من المقاتلة والزرّاقة[1] والنيران والنِفط.

التقى الأسطولان قرب شاطىء « ليكيا » عند ميناء « فوينكس Phoenix- »[2] في شهر المحرّم أوّل سنة ٣٤ هـ[3] وبدا للمسلمين أنّ الغلبة ستكون لعدوّهم، إذ عندما شاهدوا الأسطول البيزنطي، راعهم منظره، ولم يكن قد سبق لهم أنْ دخلوا في معركة بحرية ضدّ أسطول ضخم كهذا، وعبّر أحد المحاربين المسلمين عن شعوره بالرهبة من السفن البيزنطية بقوله : « فالتقينا في البحر، فنظرنا إلى مراكب ما رأينا مثلها قطّ ».[4]

كانت الريح في ذلك الوقت معاكسة لأشرعة السفن العربية، فآثر

---

(١) الزرّاقة : هم الذين ينفخون النيران والنفط بالمزاريق، كالأنابيب. وقد تحرّفت الكلمة في النسخة العربية للفتوح إلى « الزرافات » وأُشير في الحاشية انها وردت في المترجمة إلى الفارسية « الزوارق ». والصحيح ما أثبتناه (ج٢/١٢٨)

(٢) فوينكس : ميناء على الساحل الجنوبي من آسية الصغرى غربيّ خليج أنطاليا (أتاليا) بينه وبين جزيرة رودس. اسمه الآن « فينيكه ».

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ المصادر العربية القديمة لم تحدّد المكان الذي دارت الموقعة عنده مع أنّ المؤرّخ « ابن عبد الحكم » انفرد بالقول بأنّ جيش المسلمين انقسم إلى قسمين، منه قسم نزل إلى البّر، وبقي قسم آخر في السفن. (فتوح مصر ١٩٢) وذكر بعض الباحثين المحدثين أنّ الموقعة سُمّيت « ذا الصواري » (بحذف التاء) نسبة إلى المكان الذي جرت الموقعة عنده لأنه كان مكتظّاً بأشجار السرو. (البحرية الإسلامية في مصر والشام — للدكتورين : أحمد مختار العبّادي، وسيّد عبد العزيز سالم — ص٣٠ بيروت ١٩٧٢). وأقول : إنّ الموقعة اشتهرت باسم « ذات الصواري » (بالصاد) أو « السواري » (بالسين)، وقيل إنها سُمّيت كذلك لكثرة صواري السفن التي ظهرت فيها وهي الأدقال. (التنبيه والإشراف للمسعودي — ص١٣٥) وانظر : وُلاة مصر للكِندي — ص٣٦ و٣٧ — بيروت ١٩٥٩، وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين، للدكتور فيليب حتي — ج٢/٢٦

(٣) أنساب الأشرف، للبلاذري — نشره S. D. F. Goitein — ج٥/٥٠ — طبعة القدس ١٩٣٦

(٤) تاريخ الطبري ٤٩١/٤، الفتوح لابن أعثم ١٢٩/٢ والراوي هو « مالك بن أوس بن الحَدَثان ».

المسلمون التريّث قبل الدخول في القتال حتى تهدأ الريح، وأرسوا سفنهم، وأرسى البيزنطيّون قبالتهم، ونزل الى البرّ « بُسْر بن أبي أرطاة »[1] في نصف القوّات الإسلامية، وبقي النصف الآخر في السفن مع عبدالله بن سعد،[2] وبات المسلمون ليلتهم يُصَلّون ويقرأون القرآن ويدعون الله، وبات البيزنطيّون يضربون بالنواقيس ويشربون الخمر، وينفخون في الصفّارات.

وفي صباح اليوم التالي عرض المسلمون على البيزنطيّين أن يكون القتال على الساحل، وإن شاؤا فالبحر، وكان هذا العرض يزيد من ثقة البيزنطيين في قدرتهم ودِربتهم في القتال بالبحر، إذ كانا ينظرون إلى العرب على أنهم بدْو رُحَّل يجيدون ركوب الجِمال أكثر من أيّ شيء آخر، ولذلك فإنهم رفضوا القتال على الساحل وقالوا : « الماء، الماء » و « البحر بيننا وبينكم »[3].

وبدأت المعركة بأن أخذ المسلمون يستخدمون القسيّ والسهام حتى نفدت ذخيرتهم منها، ولم يحاول البيزنطيّون الاقتراب بسفنهم، عملاً بخطّة « قنسطانز » الذي كان يشرف على إدارة المعركة بنفسه، إذ اضطر المسلمون عند ذلك إلى قذفهم بالرماح والحجارة، بعد أن نفدت سهامهم، واعتقد البيزنطيون أنّ النصر حليفهم وأنهم لن يحتاجوا إلّا إلى هجمة واحدة حتى يحطّموا الأسطول الإسلامي، وردّد « قنسطانز » قوله : « غَلَبَت الروم » ! ولكنّ المسلمين عندما رأوا أنّ جهدهم كلّه ضاع سُدىً، وأنّ عدوّهم يتفادى الاصطدام بهم عن طريق المراوغة لإنهاكهم، قاموا بتغيير خطّة القتال، حيث ربطوا سفنهم إلى بعضها واصطفّوا على ظهورها مُشْهرين السيوف والخناجر،

---

(١) أنظر ترجمته ومصادرها في كتابنا : موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان ـــ ج ٢ ٨ــ١٠ رقم الترجمة ٣٣٦

(٢) فتوح مصر ـــ ص٢٩٠

(٣) تاريخ الطبري ـــ ج٤/٢٩٠، الفتوح لابن أعثم ١٢٩/٢

وقذفوا سفن البيزنطيين بالخطاطيف[1] والكلاليب[2] وجذبوها إليهم، وبذلك تحوّلت ظهور السفن للطرفين إلى ميدان قتال، وأمام هذا الهجوم المفاجىء ارتبكت القيادة البيزنطية، وانقلبت خططها رأساً على عقب، وأفلت الزمام من الإمبراطور قنسطانز، وأيقن حينئذٍ بأنّ الهزيمة ستحلّ ـــ ولا ريب ـــ بقوّاته، لمعرفته بأنّ العرب أكثر ثباتاً في قتال من هذا النوع.

ولم يضيّع المسلمون فرصة الإرتباك والفوضى التي بدت في صفوف البيزنطيين حيث كان هؤلاء « يقاتلون على غير صفوف »، فاهتبل المسلمون الفرصة ووثبوا الى السفن البيزنطية والتحموا بالعدوّ وأخذوا يكيلون الضربات ويقاتلون « أشدّ القتال ، ووثبت الرجال على الرجال يضطّربون بالسيوف على السفن، ويتواجأون بالخناجر، حتى رجعت الدماء إلى الساحل تضربها الأمواج، وطرحت الأمواج جُثث الرجال رُكاماً »،[3] و« اقتتل الفريقان قتالاً لم يُسمع بمثله، وليس بينهم رمية سهم ولا طعنة رُمح، إلّا الضرب بالسيوف والبواتر والخناجر والسكاكين حتى احمرّ ماء البحر »،[4] ووصف أحد شهود هذه الموقعة كثرة القتلى فقال : « رأيت الساحل حيث تضرب الريح الموج، وإنّ عليه لمثل الظّرْب[5] العظيم من جُثَث الرجال، وإنّ الدم لَغالبٌ على

---

(١) الخطاطيف : جمع خطّاف، وهي حديدة حجناء تعقل بها البكرة من جانبها فيها المحور. (لسان العرب)

(٢) الكلاليب : جمع كلّاب. حديدة معقوفة كالخطاف. (القاموس المحيط)

(٣) تاريخ الطبري ٢٩٢/٤

(٤) الفتوح لابن أعثم ١٢٩/٢

(٥) الظرب أو الظربان : حيوان من اللواحم في حجم القط. والمقصود هنا أنّ الجثث كانت مقطّعةً إلى أشلاء وكُتل من اللحم على وجه الماء. وقيل الظرب : هو الجبل الصغير (لسان العرب) وقد فسّر أبن أعثم المعنى بقوله : « حتى صار الساحل كأنّ عليه مثل التلول من جُثث الرجال » ـــ (الفتوح ١٢٩/٢)

الماء، ولقد قُتل يومئذٍ من المسلمين بشر كثير[1]، وقُتل من الكفّار ما لا يُحْصَى ». [2]

وأبدى المسلمون والبيزنطيون، على السواء، في هذه الموقعة ضروباً من الشجاعة والتفاني في التضحية ما سطره المؤرخون في المراجع العربية واليونانية، ومن ذلك أنّ البيزنطيين قذفوا خطّافاً على سفينة أمير البحر « عبدالله بن سعد » فعلق بها، وأخذوا يجذبونها إليهم مستهدفين الإطاحة بالقيادة العربية التي كان النصر قد بدأ يمشي في ركابها، وكاد البيزنطيون ينجحون في خطّتهم، وأصبح القائد العربي على وشك الوقوع بين أيديهم، لولا أنْ رمى أحد الجنود المسلمين — ويُدْعى « عَلْقمة بن يزيد الغطيفي » — بنفسه على سلاسل الخطّاف الذي كان يجذب سفينة القائد، وضرب السلسلة بسيفه فقطعها،[3] وأظهر بذلك أعظم آيات التفاني نحو قائده، وأنقذه ومن معه من الوقوع في قبضة الأعداء.

وفي مقابل ذلك، أبدى البيزنطيّون بدَوْرهم تفانياً في الدفاع عن الإمبراطور قنسطانز عندما اقترب المسلمون من سفينته، فقيل إنّ « أحد الشابيّن النصرانيّين اللذَيْن كانا في طرابلس، وقاما بعملية التخريب قد واصل دوره ضدّ المسلمين، حيث أسرع بحمل الإمبراطور من سفينته الملكية الى سفينة أخرى، بعد أن قام الإمبراطور بالتنكّر، إذ استبدل ملابسه بملابس ابن أحد ضاربي الطبول في فرقة السفينة الملكية ».[4] واستطاع الشاب النصراني أن

---

(١) ذهبت في هذه الموقعة عين « علي بن رباح اللخمي » (سير أعلام النبلاء للذهبي ٥/١٠٢)

(٢) قيل إنّ قتلى البيزنطيّين بلغوا (٢٠) ألفاً. (الحدود الإسلامية البيزنطية — ج١/٣٢٩ نقلاً عن « ميشيل السوري »)

(٣) فتوح مصر لابن عبد الحكم — ص١٩٠

(٤) A History of the Later Roman Empire - Bury - V. 11, P. 290, 291 - London 1889 - 1931.

يفرّ بالإمبراطور من المعركة بعد أن أصابته جراحات كثيرة في رأسه وجسده،[1] مكث يُعاني منها حيناً، وكادت سفينته تغرق وهو يهرب. وصاح « عبدالله بن سعد » بالقبط من النواتية الذين خرجوا معه من مصر : « ألا مَن قتل رجلاً من الروم فله ثلاثة دنانير »، فقيل إنّ القبط قتلوا منهم في ذلك اليوم (٧٠٠) رجل،[2] وقفز الجُنْد المسلمون إلى السفينة الملكية واقتتلوا مع الحرس الإمبراطوري، وهاجموا حامل ثوب الإمبراطور وقتلوه ظنّاً منهم أنه هو.[3] وظنّ من بقي من المقاتلة البيزنطيّين أنّ امبراطورهم قُتل، فانحلّت عزائمهم بعد أن أظهروا يومئذٍ صبراً لم يصبروا في موطنٍ مثله، ثم أنزل الله نصره على أهل الإسلام، وقتلوا من البيزنطيّين مقتلة عظيمة، وتقطّعت مراكبهم يمنة ويسرة فما التقى منها مركبان في موضع واحد، و« لم يَنْجُ منهم إلّا الشريد ».[4]

بيْد أنّ الإمبراطور لم يتّعظ بما أصابه من هزيمة منكَرَة، إذ عاد في السنة التالية ٣٥ هـ/٦٥٦ م فجهّز أسطولاً ضخماً، قيل إنه من ألف مركب،[5] وقيل من ألفين ومائتي مركب،[6] جمع فيه أهل مملكته ومن كان يسكن

---

(١) الفتوح لابن أعثم ١٣٠/٢

(٢) الفتوح لابن أعثم ١٣٠/٢

(٣) A History of The Later Roma Empire – Bury – V. 11 p. 291
الأمويّون والبيزنطيون ــ د. العدوي ١٠٥

(٤) تاريخ الطبري ٢٩٢/٤، الفتوح لابن أعثم ١٣٠/٢

(٥) تاريخ الطبري ٤٤١/٤، التنبيه والإشراف للمسعودي ١٣٥، الكامل في التاريخ لابن الأثير ١٩٩/٣، فتوح مصر لابن عبد الحكم. ١٩٠ و١٩١، فتوح الشام ومصر للواقدي (عن المكتبة الصقلّية) لميخائيل أماري ــ ص١٩٨ و١٩٩ ــ ليبسك ١٨٥٧، والطبري ينقل عن الواقدي عن هشام بن الغاز الصيداوي

(٦) الفتوح لابن أعثم ١٣١/٢

الضواحي والسواحل، وخرج في خلق كثير يريد مهاجمة الفسطاط من أرض مصر، ولكنّ رياحاً عاصفة ضربت مراكب الروم « فكان الموج يرفع المركب في الهواء ثم يلعب بها لعباً »،[1] وتدخّل القدر ثانية لتغرق جميع مراكب الروم، وينجو الإمبراطور بأعجوبة، حيث ألقته الرياح إلى جزيرة صقلّية.[2] واتّخذ من عاصمتها « سيراكوزا » مقرًّا له، ولبث هناك يتحيّن الفرصة للإنتقام من المسلمين، إلى أن وقعت الفتنة الكبرى بين علي بن أبي طالب ومعاوية أيام صفّين سنة ٣٧ هـ/٦٥٨ م وكان المسلمون قد امتنعوا عن الغزو في البحر والبرّ بسبب ذلك.[3] ولحق بالساحل جماعة من المسلمين بعيداً عن حَمْأة الصراع على الخلافة، فكان منهم « يزيد بن الأسود »[4]. فاستعدّ الإمبراطور للخروج بحملة جديدة إلى سواحل الشام، ويبدو أنّ عيوناً لمعاوية في بلاد الروم أسرعوا يحيطونه بالأخبار المقلقة، فبادر إلى إرسال كتاب الى الإمبراطور يهدّده فيه ويتوعّده بقوله : « تالله لئن تممت[5] على ما بلغني من عزمك، لأصالحنّ صاحبي،[6] ولأكوننّ مقدّمته إليك، فلأجعلن القسطنطينية

---

(١) الفتوح ١٣١/٢

(٢) الطبري ٤٤١/٤، المسعودي ١٣٥، ابن الأثير ١٩٩/٣، ابن عبد الحكم ١٩٠ و١٩١، الواقدي ١٩٨، ١٩٩، ابن أعثم ١٣١/٢

(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر، للمسعودي ـــ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـــ ج٢٨٧/٢ ـــ طبعة القاهرة ١٩٦٤

(٤) المعرفة والتاريخ ـــ أبو يوسف يعقوب بن سفيان البسوي (ت٢٧٧هـ) ـــ رواية عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي ـــ تحقيق د. أكرم ضياء العمري ـــ ج٣٨٤/٢، ٣٨٥ ـــ طبعة بغداد ١٩٧٥

(٥) لعلّها « صمّمت » (بالصاد).

(٦) يقصد الإمام عليّ بن أبي طالب.

البحراء حُممة سوداء، ولأنتزعنّك من المُلْك انتزاع الإصطفلينة،[1] ولأُرُدَّنّك إرّيساً[2] من الأرارسة ترعى الدوابل ».[3]

وفي الواقع، فإنّ الإمبراطور تحقّق من أنّ معاوية صادق في تهديده، ولذلك اطّرح فكرة الخروج في حملته، ولجأ إلى التفاوض مع معاوية بالصلح، فكان المختلف بينهما غلام كان لمعاوية يُدعى « فناق الرومي ».[4] وكانت الظروف السياسية تُملي على معاوية أن ينجح إلى السلم مع الروم ليتفرّغ لخصمه في الداخل، وقد أشار عليه « عمرو بن العاص » بذلك،[5] ولذا صالحهم على أن يؤدّي إليهم مائة ألف دينار، وأن يسلّم الطرفان رهائن لبعضهما كضمانٍ لتنفيذ هذا الاتفاق واستمراريّته، فأخذ معاوية رهائن من الروم وجعلهم في مدينة بعلبك، ولكنّ الروم غدروا برهائن المسلمين وقتلوهم، فلمّا بلغ معاوية ذلك أبى هو والمسلمون « أن يستحلّوا قتل مَن في

---

(١) الإصطفلينة : قال ثعلب عن ابن الأعرابي : الإصطقلين، الجَزَر الذي يؤكَل. وهي لغة شامية. الواحدة إصطفلينة. قال شمر : الإصطفلينة كالجْزرة وليست بعربية محضة لأنّ الصاد والطاء لا تكادان تجتمعان في محض كلام العرب. (تهذيب اللغة — لأبي منصور الأزهري — تحقيق أحمد عبد العليم البردوني — ج١٢/٢٧٢ — مصر ؟)

(٢) الأريس : الأمير عن كراع. والمؤرِّس : المؤتمر. وقيل : إنّما قال ذلك لأنّ الأكّارين كانوا عندهم من الفرس وهم عَبَدة النار فجعل عليهم إثمهم. (لسان العرب لابن منظور ٧/٣٠٠، مصوَّرة بولاق)

(٣) وفي رواية : « كما كنت ترعى الخنانيص » (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة — د. محمد حميد الله — ص٤٠٣ و٤٠٤ — بيروت ١٩٦٩)

(٤) مروج الذهب للمسعودي ١/٣٢٩

(٥) الأخبار الموفقيات، للزبير بن بكار ص٣٠١، أنساب الأشراف للبلادري — ق٤ — ج١/٤٧ تحقيق د. إحسان عبّاس — بيروت ١٩٧٩ وفيه أن معاوية قال لعمرو بن العاص، وكان عنده بدمشق : قد جاشت الروم، وهرب عامل من عمالنا، وخرج أهل السجن، قال عمرو : فلا يكبرن عليك ذلك، أما الروم فإرضِهم بشيءٍ رُدّهم به عنك... ففعل.

أيديهم من رهنهم، وخلّوا سبيلهم، واستفتحوا بذلك عليهم، وقالوا : وفاء بغدر، خير من غدر بغدر ». [1] وقد أثارت هذه الحادثة قضيّة فقهيّة لدى المسلمين حول رهائن العدوّ والموقف منهم.

---

(١) فتوح البلدان ١٨٨/١، مروج الذهب ٣٨٧/٢، الفخري في الآداب السلطانية، لابن الطقطقي ــ ص٨٣ و٨٤ ــ طبعة أوربا، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ــ لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي الحسن الخثعمي السُهَيْلي (٥٠٨ ــ ٥٨١ هـ.) ــ تقديم طه عبد الرؤف سعد ــ ج٢٧٨/٣ ــ طبعة دار المعرفة، بيروت ؟، نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري ــ ج١٦٤/٦، مجموعة الوثائق ــ ص٤٠٣، شرح السير الكبير ٢٦٥/١ رقم ٣٦٤ جاء في « شرح كتاب السير الكبير » للشيباني ــ ج١٧٥٣/٥ : «ولو كانوا شرطوا في أصل الموادعة أنهم ــ أي الروم ــ إنْ غدروا فقتلوا رهن المسلمين فدماء رهنهم لنا حلال ثم قتلوا هم رهننا فإنّ دماء رهنهم لا تحلّ لنا، لِما رُوي أنّ هذه الحادثة وقعت في زمن معاوية رضي الله تعالى عنه فأجمع هو والمسلمون معه على ألّا يقتلوا رهن المشركين ». وقال الإمام الأوزاعي: لا تُقتل الرهن بغدرهم.

وجاء في كتاب « الأموال » لابن سلام ــ ص٢٣٦، ٢٣٧ : كان بين معاوية وناس من الروم عهد، فكان يسير في بلادهم، فأراد إذا انقضى العهد أن يغير عليهم، فسمع رجلاً يقول :« الله اكبر، وفاء بغدر » فقال : من هذا ؟ قالوا : عمرو بن عنيسة، فقال عمرو : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلّ عقده حتى ينبذ إليهم على سواء ».

وقال ابو داود الطيالسي في « المسنّد » ــ ص١٥٧ رقم ١١٥٥ ــ طبعة حيدر أباد بالهند ١٣٢١ هـ.

حدّثنا شُعبة، عن أبي الفيض الشامي قال : سمعت سُلَيم بن عامر يقول : كان بين معاوية وبين الروم عهد، فكان يسير في بلادهم حتى انقضى العهد أغار عليهم، وإذا رجل على دابّة أو على فرس، وهو يقول : « الله أكبر وفاء لا غدر ــ مرّتين ــ فإذا هو عمرو بن عبسة (كذا) السلولي، فقال له معاوية : ما تقول ؟ قال عمرو : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من كان بينه وبين قوم فلا يحلّنّ عقدة ولا يشهدها حتى يمضي أمرها أو ينبذها إليهم على سواء ». فرجع معاوية بالناس. وانظر: تفسير البغوي، المسمّى: معالم التنزيل للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت٥١٦هـ.) ــ طبعة دار المعرفة، بيروت ١٤٠٦هـ./١٩٨٦ ــ ج٢٥٧/٢، ٢٥٨

العصر الأموي

« لبنان » في عهد معاوية بن أبي سفيان
(٤١ ــ ٦٠ هـ/٦٦١ ــ ٦٨٠ م)

من الواضح أنّ المدن « اللبنانية » نَعِمَت بالهدوء والسكينة، في تلك الحقبة المبكرة من عهد الخلفاء الراشدين، وأثبتت ولاءها لمعاوية طوال مدّة ولايته على الشام، ولم تخرج عن طاعته حتى في أصعب المراحل التي واجهها أمام خصمه الإمام عليّ الذي تولّى الخلافة بعد مقتل عثمان في أواخر سنة ٣٥ هـ/٦٥٦ م فلم تذكر المصادر التاريخية أيَّ حركةٍ في هذا الاتّجاه عن المدن « اللبنانية »، بل على العكس من ذلك، فقد شهدت بعض المناطق من « لبنان » تحرّكات ضدّ قَتَلَة عثمان، حيث خرج أمير بعلبك « سفيان بن مجيب الأزدي » بالفُرس من سكانها، وبخيلٍ له سِواهم، في آخر سنة ٣٥ أو أوّل سنة ٣٦ هـ، لاقتفاء أثر « عبد الرحمن بن عُدَيس » أحد رؤوس الجماعة الذين خرجوا لقتل عثمان وحرّضوا عليه، بعد أن هرب مع أصحابه من السجن في مصر.[١] فلقيه في جبل لبنان فقتله،[٢] وقتل معه « محمد بن أبي حُذَيفة ».[٣]

---

(١) تاريخ دمشق (المخطوط) ١٠٢/٣٦ و١٠٣، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٥٥/٢.

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي ــ ج ٢٤٢/٦ ــ طبعة دار الكتاب العربي، بيروت (الثالثة ١٩٨٢).

(٣) أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير ــ ج ٣١٦/٤، وانظر حول سجن ابن عديس ورفاقه في بعلبك (الإصابة ٣٧٤/٣، سير أعلام النبلاء ٤٨١/٣).

الغزوات في عهد معاوية

ومنذ أن قُتل عثمان واختلف الناس، لم تكن للناس غازية، ولا صائفة، حتى اجتمعت الأمّة على معاوية سنة أربعين، وسمّوها سنة الجماعة.[1] وما إن بُويع معاوية بالخلافة في الكوفة ورجع الى الشام في سنة ٤١ هـ/٦٦٢ م حتى بلغه أنّ ملك الروم قد زحف في جموع كثيرة، فخاف أن يشغله عمّا يحتاج إلى تدبيره وإحكامه، فوجّه إليه «حبيب بن مَسْلمة الفِهْريّ» والى الجرجومة، فصالحه على مائة ألف دينار، فكان بذلك أول من صالح الروم في سنة ٤١ أو أوّل ٤٢ هـ[2] ولمّا استقام له الأمر، أغزى أمراء الشام على الصوائف[3] في البرّ والبحر، فكانوا يخرجون للغزو في كل سنة، فقد ذكر «سعيد بن عبد العزيز التنوخي البيروتي»[4] أنّ معاوية أغزى الصوائف

---

(١) تاريخ أبي زُرعة الدمشقي — ج١/١٨٨

(٢) تاريخ خليفة — ص٢٠٥، تاريخ اليعقوبي ج٢/٢١٧ و٢٣٩

(٣) عُرفت غزوات المسلمين في وقت مبكر بالصائفة والشاتية والربيعية وقد ذكرها «قُدامة بن جعفر» فقال: «إنّ أجهدها ممن يعرفه أهل الخبرة من الثغريين أن تقع الغزاة التي تُسمّى الربيعية لعشرة أيام تخلو من أيار بعد أن يكون الناس قد أربعوا دوابّهم وحسنت أحوال خيولهم، فيقيمون ثلاثين يوماً وهي بقية أيار وعشرة من حزيران، فإنهم يجدون الكلأ في بلد الروم ممكناً وكأنّ دوابهّم ترتبع ربيعاً ثانياً ثم يقفلون فيقيمون إلى خمسة وعشرين يوماً، وهي بقية حزيران، وخمسة من تموز حتى يَقْوَى ويَسْمَن الظَهْر، ويجتمع الناس لغزو الصائفة، ثم يغزون لعشر تخلو من تمّوز فيقيمون إلى وقت قفولهم ستين يوماً. فأمّا الشواتي فإني رأيتهم جميعاً يقولون إنْ كان لا بدّ منها فليكن مما لا يُبعد فيه ولا يُوغل، وليكن مسيرة عشرين ليلة بمقدار ما يحمل الرجل لفرسه ما يكفيه على ظهره، وأن يكون ذلك في آخر سباط (شباط) فيقيم الغزاة إلى أيام تمضي من آذار فإنهم يجدون العدوّ في ذلك الوقت أضعف ما يكون نفساً ودوابّاً، ويجدون مواشيهم كثيرة، ثم يرجعون ويُربعون دوابّهم يتسابقون». (نُبَذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة — ملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه — ص٢٥٩ — نشره دي غويه — بريل ١٨٨٩)

(٤) كان فقيه أهل دمشق والشام ومُفتيهم بعد الأوزاعي. وُلد سنة ٩٠ وتوفي سنة ١٦٧ هـ. أنظر ترجمته ومصادرها في كتابنا: «موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان ٢/٢٨٠ — ٢٨٣ رقم ٦٢٠».

وشتّاهم بأرض الروم ستّ عشرة صائفة، تصيّف بها وتشتوا ثم تُقْفِل وتدخل مُعْقِبَتُها.[1]

وكان « بُسْر بن أرطاة » أوّل من غزا الروم في خلافة معاوية سنة ٤٢ هـ/ ٦٦٣ م فهزمهم هزيمة مُنْكَرَة وقتل عدّة من البطارقة.[2] فطلب ملك الروم تجديد الصُلح مع معاوية على أن يضاعف المال، فلم يُجبْه إلى ذلك.[3] وعاد « بُسْر » فغزاهم في البحر سنتين متواليتين ٤٣ و٤٤ هـ حيث شتّا بأرضهم وبلغ القسطنطينية. وخرج « عُقبة بن عامر بن عبس الجُهَني » — وهو صحابيّ مشهور — لغزو رودس في سنة ٤٧ هـ/٦٦٨ م.[4] وقام الروم في مقابل ذلك بغزوة وصلوا فيها إلى السواحل في سنة ٤٩ هـ/٦٦٩ م.[5]

ويُلاحظ انّ « البلاذري » لم يُورِد تفصيلاً لغزوة الروم هذه، كما لم يُشِرْ إليها غيره من المؤرّخين المسلمين. ولكن أشار إليها المؤرّخ اليوناني « توافانس » المتوفّى سنة ٨١٨ م فقال : « في سنة ٦٦٩ للمسيح دخل المَرَدة لبنان واحتلُّوا كل ما يقع بين الجبل الأسود والمدينة المقدَّسة. وانضمّ إليهم كثير من أبناء البلاد والعبيد والأسرى، فبلغ عددهم في مدّة وجيزة عدّة آلاف ».[6]

ويبدو أنّ هذه الغزوة البيزنطية لم تلبث أن تراجعت دون أن تُحدِث أثراً هامّاً، ولكنّها نبّهت معاوية إلى ضرورة الاهتمام بتحصين المدن الساحلية،

---

(١) تاريخ أبي زُرعة ١٨٨/١
(٢) المنتخب من تاريخ المنبجي — ص٦٦، نهاية الأرب للنويري — ج٢٠/٢٦٥
(٣) تاريخ اليعقوبي ٢١٧/٢
(٤) تاريخ اليعقوبي ٢٣٩/٢، تاريخ الطبري ١٨١/٥، و٢١٢، نهاية الأرب ٢٦٦/٢٠
(٥) فتوح البلدان ١٤٠/١
(٦) تاريخ الموارنة — بطرس ضو — ج٢٨١/١ — بيروت ١٩٧٠

فأمر بعدها بجمع الصنّاع والنّجارين فجُمِعُوا ورتّبهم في السواحل.[1] وسيّر قوّاده لقتال الروم، فشتّا بأرضهم « مالك بن هبيرَة السكوني »، وغزاهم في البحر « يزيد بن شجرة الرَّهاوي »، وشتّا بأهل الشام، وفيهم « أبو فراس الشعباني » و« أبو سعد الخير » صاحب رسول الله ﷺ.[2] كما غزاهم « يزيد بن معاوية » حتى بلغ القسطنطينية، ومعه « ابن عباس » و« ابن عُمر » و« ابن الزبير » و« أبو أيّوب الأنصاريّ ». وكانت هذه الغزوات كلها في سنة ٤٩ هـ/٦٦٩ م.[3] مما يؤكّد أنّ غزوة « المَرَدَة » إلى « لبنان » التي ذكرها « توافانس » لم تكن في تلك الخطورة التي بالغ في وصفها.

فقد ذكر « البلاذري » وغيره أنّ « معاوية » كان وجّه جيشاً إلى بلاد الروم ليغزو الصائفة، فأصابهم جُدَريّ، فمات أكثر المسلمين، وكان ابنه « يزيد » مضطّجعاً بدير مُرّان مع زوجته « أمّ كلثوم »، فبلغه خبرُهُم وما نزل بهم من بلاء، فقال في ذلك شعراً ولم يُبال بما لاقاه المسلمون، فبلغ شِعرُه أباه، فقال : أجل، والله ليلحقنّ بهم فلْيُصيبنّه ما أصابهم، فخرج « يزيد » بجماعة من جُنْد بعلبك وأنطاكية حتى لحق بهم، وغزا حتى بلغ القسطنطينية وهزم الروم، وضرب بابها بعمود حديد كان في يده فهشمه حتى انخرق.[4] وكان معاوية قد ولّى « عبد الله مِكْرز القُرشي العامري » على غزو البحر من الشام، فخرج في غزوة « يزيد » هذه سنة ٥٠ هـ/٦٧٠ م.[5]

---

(١) فتوح البلدان ١٤٠/١

(٢) الكنى والأسماء ــ لأبي بشرْ محمد بن حمّاد الدولابي (٢٢٤ ــ ٣١٠ هـ) ــ ج ٣٥/١ ــ طبعة حيدر أباد ١٣٢٢ هـ.

(٣) تاريخ الطبري ٢٣٢/٥، الكامل في التاريخ ٤٥٨/٣ و٤٥٩

(٤) أنساب الأشراف ــ طبعة القدس ١٩٣٨ ــ ق٢ ــ ج٣/٤، الأغاني لأبي الفرج ٢١٠/١٧، تاريخ اليعقوبي ٢٢٩/٢ و٢٤٠، جمهرة أنساب العرب لابن حزم ــ ص٢٨٣ ــ طبعة دار المعارف بمصر ١٩٧٧

(٥) تاريخ دمشق ــ تحقيق سكينة الشهابي ــ ج١٧٣/٣٦ ــ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٦

وتتابعت الغزوات الإسلامية على السواحل البيزنطية، فكان يتناوب على الغزو في البحر عدد من القادة والأمراء والغُزاة، برز منهم في سواحل الشام، منذ عهد الخليفة عمر : « عبدالله بن قيس الجاسي »، فكان أميراً على مدن الساحل وثغوره منذ سنة ١٧هـ. ثم أصبح غازياً في عهد معاوية، وقيل إنه غزا خمسين غزاة ما بين شاتية وصائفة في البحر، ولم يغرق فيها أحد ولم يُنكب. وورد ذكره في حوادث سنة ٣٥ هـ. في غزوة صائفة، وفي سنة ٥٥ هـ. في غزوة شاتية، وفي سنة ٥٧ هـ. في غزوة شاتية أيضاً، وأصيب فيها وحده بأرض الروم.[١]

وممّن برز في عهد معاوية : « بُسْر بن أرطاة »،[٢] و« مالك بن هبيرة السكوني »[٣] ، و« يزيد بن شجرة الرهاوي »،[٤] و« عبدالله بن مِكْرز بن الأخيف القرشي العامري »،[٥] ، و« فضالة بن عُبَيد الأنصاري »،[٦] و« أبو

---

(١) أنظر عنه : تاريخ الطبري ٦٣/٤، ٦٧ و٢٦٠ و٢٦١ (حوادث سنة٢٨هـ.) وتاريخ خليفة ٢٢٥ و٢٣٠ (حوادث سنة ٦٠هـ.)، وانظر أيضاً : الطبري ٢٢١/٥ و٢٩٩ و٣٠٨، وتاريخ اليعقوبي ٢٤٠/٢، وتاريخ دمشق ٣٠٢/٦، والكامل في التاريخ ٥٦٢/٢ و٤٥٧/٣ و٥٠١ و٥١٤، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٥٩٤/٤، ومقالة لنا بعنوان : « غزاة بحر الشام وأمراؤه في العصر الأموي » ــ الحلقة الأولى ــ في مجلّة « تاريخ العرب والعالم » ــ ص٢٩ ــ ٣٨ ــ بيروت ١٩٨١ ــ العدد (٣٨)

(٢) غزا في البحر أيضاً سنة ٤٨هـ. و٥٢هـ. (المنتخب من تاريخ المنبجي ٧١)

(٣) غزا سنة ٤٨هـ. (تاريخ اليعقوبي ٢٤٠/٢، الطبري ٢٣١/٥، ابن الأثير ٤٥٧/٣) وانظر ترجمته في : طبقات خليفة ــ تحقيق د. سهيل زكار ٧٥٠/٢ ــ طبعة دمشق ١٩٦٦، التاريخ الكبير للبخاري ٣٠٢/٧، مشاهير علماء الأمصار لابن حبّان ٥٣، نهاية الأرب للنويري ٢٦٨/٢٠

(٤) غزا سنة ٤٩هـ. (اليعقوبي ٢٤٠/٢، الطبري ٢٣٢/٥، ابن الأثير ٤٥٨/٣) وسنة ٥٦هـ. (اليعقوبي) وقيل إن الذي غزا هذه السنة هو « عياض بن الحارث ».

(٥) تاريخ دمشق ١٧٣/٣٦ (تحقيق سكينة الشهابي ــ دمشق ١٩٨٦)

(٦) غزا سنة ٥٠هـ. (الطبري ٢٣٤/٥، نهاية الأرب ٢٧٠/٢٠) وقد أمّره معاوية على غزو الروم =

طلحة زيد بن سهل الأنصاريّ »،[1] و« عياض بن الحارث »،[2] و« جُنادة بن أبي أميّة الأزدي الدَّوسي »، وهذا كان على غزو البحر أيام معاوية كلها من زمن الخليفة عثمان إلى أيام « يزيد بن معاوية » إلّا ما كان من أيام الفتنة حتى توفي.[3] وقد أغزاه معاوية سنة ٥٢ هـ. إلى جزيرة رودس ــ وكانت غَيْضَة في البحر ــ،[4] فسار إليها في الشتاء، بعد إغلاق البحر،[5] ومعه « حيّ بن هانيء المعافري »،[6] وبذلك فاجأ البيزنطيّين وتمكّن من فتحها في سنة ٥٣ هـ. (وقيل ٥٤ هـ/٦٧٤ م)، وأرسل إليه معاوية فأنزل فيها قوماً من المسلمين، فزرعوها واتّخذوا بها أموالاً ومواشي يرعونها حولها، فإذا أمسوا أدخلوها الحصن، وأقاموا على الشاطىء حارساً يُخطرهم بمن يريدهم في البحر، فكانوا أشدّ شيءٍ على الروم يعترضون سُفُنهم في البحر حتى أخافوهم، وكان معاوية يمدّهم بالعطايا والأرزاق والسلاح، فأقاموا في الجزيرة سبع

= في البحر وقيل إنّه شتّا بأرض الروم في البحر سنة ٥١هـ. (تاريخ خليفة ٢١٨، تاريخ اليعقوبي ٢٤٠/٢) وتوفي سنة ٥٣هـ. (أنظر ترجمته ومصادرها في سير أعلام النبلاء للذهبي ١١٣/٣ رقم ٢٣)

(١) صحابيّ من بني أخوال الرسول ﷺ. توفي غازياً في البحر سنة ٥١هـ. قيل إنّ بنيه قالوا له : قد غزوت على عهد رسول الله وأبي بكر وعمر، فنحن نغزو عنك، فأبى، فغزا في البحر، فمات في السفينة، فما وجدوا جزيرة يدفنونه فيها إلّا بعد سبعة أيام. (أنظر ترجمته ومصادرها في سير أعلام النبلاء ٢٧/٢ رقم ٥)

(٢) قُتل في سنة ٥٨هـ. وهو يغزو في البحر. (الطبري ٣٠١/٥ و٣٠٩، اليعقوبي ٢٤٠/٢) وانظر عنه : التاريخ الصغير للبخاري ٦٣ طبعة المكتبة الأثرية بالباكستان .، الاستيعاب ٦٥٤/٣، أسد الغابة ١١٤/٥، الإصابة ٦٨٥/٣ و٨٦/٤

(٣) الكامل لابن الأثير ٤٥٦/٤ قيل توفي سنة ٥٨هـ.، وقيل توفي سنة ٦٧ وقيل ٨٠هـ. وفي وفاته نظر. (أنظر : التاريخ الكبير للبخاري ٢٣٢/٢، والتاريخ الصغير له ١٦ و٧٢، ومشاهير علماء الأمصار لابن حبّان ١١٢، والطبقات لخليفة ٧٩٠/٢)

(٤) فتوح البلدان ٢٧٨/١ والغَيْض بالفتح ثم السكون. يقال : غاض الماء يغيض غيضاً إذا نقص وغمار في أرض أو غيرها. (القاموس المحيط)

(٥) تهذيب تاريخ دمشق ٤٠٩/٣

(٦) الأنساب، لابن السمعاني ــ تحقيق محمد عوامة ــ ج٧٩/٧ ــ بيروت ١٩٧٦

سنين لا يطمع فيها ملك الروم ولا غيره، وبنى المسلمون فيها مسجداً كان « مجاهد بن جبر » يُقرئ فيه الناسَ القرآن.[1]

ويتحدّث المنبجي عن غزوة جرت في سنة ٥٤ هـ/٦٧٤ م. انتصر فيها البيزنطيون، فقال: « وفي السنة الرابعة عشرة لمعاوية غزت العربُ الروم في البحر وصاروا إلى لوقية،[2] فخرج إليهم ثلاثة بطارقة فلقوهم، وقتل الروم من العرب ثلاثين ألف رجل، ومن بقي منهم ركب البحر، فلما توسّطوه لحِقَهم بعض الروم في سفينة، فألقى النار في سفن العرب، فاحترقت كلها، وفازت الروم بالظفر والغلبة في هذه السنة. وهم أوّل من أخرج النار، وصارت لهم عادة ».[3]

وفي السنة التالية ٥٥ هـ/٦٧٥ م قام « يزيد بن شجرة الرهاوي » بغزوة في البحر.[4] ولعلّه انطلق من رودس، التي كانت تفرض شبه حصار على القسطنطينية في كل صيف، وأضحت في مركز شديد الخطورة، ولكنّ النيران اليونانية التي اخترعها « كالّينيكوس » البعلبكيّ الأصل، أنقذت عاصمة الإمبراطورية وحقّقت النجاح للأسطول، حيث خرج البيزنطيون في أسطول كبير من السفن في سنة ٥٧ هـ أو ٥٨ هـ/٦٧٨ م. وصدموا أسطولاً بقيادة

---

(١) فتوح البلدان ٢٧٩/١، تاريخ الطبري ٢٨٨/٥ و٢٩٣، البدء والتاريخ، لمطهّر بن طاهر المقدسي — نشره كلمان هوار — ج٤/٦ — طبعة باريس ١٩١٩، المنتخب من تاريخ المنبجي ٧١، الكامل في التاريخ ٤٩٣/٣ و٤٩٧

(٢) هي « ليكيا » (الدولة البيزنطية، للدكتور العريني — ص١٣٢)

(٣) المنتخب من تاريخ المنبجي ٧٢،

Ostrgorowski - History of the Byzantine State - P. 111

وفي الواقع لم يكن استخدام النار في الحرب وقْفاً على الروم فقط، بل إنّ المسلمين استخدموها في الحرب أيضاً ضدّهم، وفي وقت مبكر كذلك، فقد روى « سعيد بن منصور » في سُنَنه أنّ « جُنادة بن أبي أميّة الأزدي » و« عبد الله بن قيس الفَزَاريّ » وغيرهما من وُلاة البحر من بعدهم كانوا يرمون العدوّ من الروم وغيرهم بالنار ويحرّقونهم، هؤلاء لهؤلاء وهؤلاء لهؤلاء. (سُنَن سعيد بن منصور ق٢ مجلد ٢٤٤/٣ رقم ٢٦٤٧)

(٤) تاريخ خليفة ٢٢٣

« يزيد بن شجرة الرهاوي » وتمكّنوا من قتله وأصحابه، [1] وألحقوا الهزيمة بالأسطول الإسلامي الذي أُحرقت أكثر سفنه، وتفرّق الباقي بشيءٍ من الفوضى إلى بحر الأرخبيل، وحين كانت البقية الباقية في طريق عودتها إلى سواحل المسلمين سنة ٦٧٩م تعرّضت لعواصف شديدة في أثناء سيرها جنوباً تجاه ساحل بامفيليا، ولم يصل من هذا الأسطول الضخم إلى قواعده بالشام ومصر سوى سفن قليلة العدد. [2] وانكشف الساحل للبيزنطيّين فوصلوا إلى مدينتي صور وصيدا [3] واستطاعوا اقتحامهما والقضاء على كل مقاومة فيهما، ثم تسلّقوا جبال لبنان واستولوا عليها، وجاؤا بالجراجمة [4] فبثّوهم فيما بين جبل الجليل في شمالي فلسطين إلى الجبل الأسود في شماليّ الشام، وشكّلوا بذلك حاجزاً يفصل بين القوات العربية في البلاد الداخلية، وقوّاتهم في الساحل، حتى اضطرّ معاوية لرفع حصاره عن القسطنطينية وعقد هدنة مع الإمبراطور « قسطنطين اللحياني الرابع » مدّتها ٣٠ عاماً، إلتزم فيها معاوية بأن يدفع في كل سنة عشرة آلاف قطعة ذهبية ومائة عبد و٥٠ فرساً. [5]

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢٤٠/٢، تاريخ خليفة ٢٢٥، طبقات ابن سعد ٤٤٦/٧، تاريخ الطبري ٣٠٩/٥

(٢) الدولة البيزنطية — ص١٣٣،

Ostrogotowski - p. 111

The Byzantine Empire - Vasiliev - p. 214

(٣) المنتخب من تاريخ المنبجي ٧٢، الحدود الإسلامية ٥٢/٢ وينسب « محمد علي مكي » هذه الرواية للمؤرّخ ابن عساكر ويقول انه أوردها في سنة ١٧ من خلافة معاوية (٦٧٧) ميلادية ثم يُثبت المرجع الذي نقل عنه وهو كتاب « خطط الشام لمحمد كرد علي — ج١ » (دون ذكر الصفحة) ! ودون رؤيته لتاريخ ابن عساكر ! وأقول : ليس في تاريخ ابن عساكر — على ضخامته — أي ذكرٍ لهذه الواقعة التي انفرد بها « المنبجي » فقط. (أنظر : لبنان من الفتح العربي الى الفتح العثماني — محمد علي مكي — ص٣٩ — طبعة دار النهار، بيروت ١٩٧٧)

(٤) سيأتي التعريف بهم في موضعه

(٥) حسب رواية « شدرانس » : تاريخ سورية، للمطران يوسف الدبس — مجلد ٥ ج١٠٤/٣ وهو ينقل عن « توافانس » أنّ معاوية التزم بدفع (٣٠٠٠) قطعة ذهبية مع إطلاق سراح (٨٠٠٠) أسير من الروم، وخمسين جواداً. (أنظر : الجامع المؤصّل في تاريخ الموارنة المفصّل، للبطريرك الدويهي — ص٣٥ — بيروت ١٩٠٥)

غير أن « سعيد بن يزيد » أراد الانتقام لأبيه فقام بغزوة في سنة ٥٨ هـ. ومعه قائد يُدعى « أكدر »، ووصل بغزوته إلى رودس. [١]

وفي سنة ٥٩ هـ/٦٧٩ م وهي المعروفة بسنة الجوع، [٢] قام « جُنادة بن أبي أميّة » بغزوة إلى جزيرة أقريطش (كريت) [٣] وكانت الغزوة في فصل الشتاء بعد إغلاق البحر، استجابة لأمر معاوية الذي أراد أن تكون الغزوة مفاجئة للروم وفي وقتٍ لا يتوقّعون الغزو فيه، وكان جواب « جُنادة » : « اللهمّ إنّ الطاعة عليّ وعلى هذا البحر ». فقيل إنه لم يُصب من المسلمين أحد بأذىً في تلك الغزوة. [٤] ولكنّ البيزنطيّين اغتنموا فرصة وجوده بعيداً عن رودس فهاجموا الجزيرة واستولوا عليها، ممّا دعاه إلى العودة إليها ومُنازلتها وهدم مدينتها في سنة ٦٠ هـ/٦٨٠ م. [٥]

واستفحل خطر الروم وعَبَثهم في الشام حتى انهم انتزعوا مدينة حماة من المسلمين، مغتنمين فرصة وفاة معاوية، ناقضين للهدنة، وكانت آخر وصيّة لمعاوية : « أنْ شُدّوا خناق الروم فإنكم تضبطون بذلك غيرهم من الأمم ». [٦] وعندما قصد ابنه « يزيد » استردادها اعترضه أهل الجبال وردّوه عنها في سنة ٦٠ هـ/٦٨٠ م. [٧] وإزاء هذا الخطر، رأى يزيد أن يدعم

---

(١) تاريخ خليفة ٢٢٥

(٢) تاريخ دمشق (المخطوط) ٥٠/٨

(٣) البلاذري ٢٧٩/١، اليعقوبي ٢٤٠/٢، الطبري ٣١٥/٥، تاريخ دمشق ٥٠/٨، تهذيب تاريخ دمشق ٤٠٩/٣، ابن الأثير ٥٢١/٣

(٤) تهذيب تاريخ دمشق ٤١٢/٣، الاستيعاب ٢٤٢/١، أسد الغابة ٢٩٧/١

(٥) الطبري ٣٧٢/٥، ابن الأثير ٥/٤، نهاية الأرب ٢٧٢/٢٠، ويجعل « خليفة بن خياط » تاريخ غزوة رودس في سنة ٥٩هـ. بقيادة : جُنادة، وعلقمة بن جُنادة الحجري، وعلقمة بن الأخثم. وكان أهل مصر يبعثون الطعام إلى الجزيرة. (تاريخ خليفة ٢٢٧ و٢٢٩)

(٦) تاريخ خليفة ٢٣٠

(٧) أخبار الأعيان في جبل لبنان ـــ طنّوس الشدياق ٢٠٢/١ ـــ بيروت ١٩٧٠

القوّات الإسلامية المرابطة في بيروت وطرابلس وغيرها من المدن الساحلية لتقوى على الصمود أمام البيزنطيين ومَن والاهم. فكتب الى المسلمين في جزيرة رودس يخبرهم بوفاة أبيه، ويطلب منهم مغادرة الجزيرة وهدْم الحصن الذي كانوا يرابطون فيه والعودة بسفنهم إلى ساحل الشام، فغادروها كما أمرهم،(١) فلم تُعمر بعد ذلك وخربت، وأمِن الروم ركوب البحر.(٢) ويبدو أنّ قرار الانسحاب شمل جُنْد قبرس، فقفلوا أيضاً في السنة نفسها.(٣) بعد أن رابطوا فيها ثلاثين سنة.(٤)

ثم قام يزيد بتعيين « ثابت بن معبد المحاربي الداراني » من أهل داريّا أميراً على الساحل مع أخيه « عطيّة »، فوليا الساحل أربعين سنة.(٥)

* * * *

(١) البلاذري ٢٧٩/١، الطبري ٢٩٣/٥، ابن الأثير ٢٩٧/٣، الفتوح لابن أعثم ١٢٧/٢، وانظر: شرح السير الكبير ١٥٨/١، ١٥٩ رقم ١٦٠

(٢) الطبري ٢٩٣/٥، ابن الأثير ٢٩٧/٣

(٣) البلاذري ١٨٢/١

(٤) الدولة البيزنطية ١٣٣

(٥) كان عطية تابعيّاً روى عنه الأوزاعي. (تاريخ دمشق ١٢٨/٢٨، تهذيب تاريخ دمشق ٣٧٤/٣)

وعن عودة المسلمين من رودس حدّث « رشيد بن كيسان الفهمي » فقال: « كنابرودس — وأميرنا جُنادة بن أبي أميّة الأزدي — فكتب إلينا معاوية بن أبي سفيان: « إنه الشتاء ثم الشتاء » فتأهّبوا له. فقال « تبيع ابن امرأة كعب الأحبار »: تقفلون إلى كذا وكذا. فقال الناس: وكيف نقفل وهذا كتاب معاوية: إنه الشتاء ثم الشتاء ؟! فأتاه بعض أهل خاصّته من الجيش فقال: ما يسمّيك الناس إلّا الكذّاب لما تذكر لهم من القفل الذي لا يرجونه. فقال تبيع: فإنّهم يأتيهم إذنهم في يوم كذا وكذا، من شهر كذا وكذا، وآية ذلك أن تأتي ريح فتقلع هذه التينة التي في مسجدهم هذا، فانتشر قوله فيهم، فأصبحوا ذلك اليوم في مسجدهم ينتظرون ذلك، وكان يوماً لا ريح فيه، فانتظروا حتى احتاجوا إلى المقيل والغداء، وملّوا فانصرفوا إلى مساكنهم أو إلى مراكبهم، حتى إذا انتصف النهار، وقد بقي في المسجد بقايا من الناس، فأقبلت ريح عُصار

وهكذا نلاحظ من خلال هذا العرض المفصّل، أنّ المدن « اللبنانية » لعبت الدور الأساسي في الصراع البحري بين المسلمين والبيزنطيّين، منذ الفتح الإسلامي في عهد الخلفاء الراشدين، وطوال عهد معاوية،

فمن صيدا : انطلقت الحملة التي فتحت جزيرة رودس في المرة الأولى.

وفي ميناء طرابلس : تمّ التحضير لإنشاء الأسطول الذي حقّق النصر العظيم في موقعة « ذات الصواري »، فكانت المدينة هدفاً للعمل التخريبي. وكان الذي أنقذ الإمبراطور من الموت في تلك الموقعة واحد من نصارى طرابلس.

ومن بعلبك : انتقل المسلمون لإعمار جزيرة قبرس بعد فتحها، ومنها خرج « كالّينيكوس » مخترع النار اليونانية التي استخدمها الأسطول البيزنطي بنجاح في عدّة معارك. وحين أخذ معاوية رهائن من البيزنطيّين — بموجب معاهدة الصلح — كانت بعلبك مركز إقامتهم. وحين خرج « يزيد بن

= فأحاطت بالتينة فاقتلعتها، وتصايح الناس في منازلهم : خرّت التينة، خرّت التينة. فأقبلوا من كل مكانٍ حتى اجتمعوا على الساحل، فرأوا شيئاً لائحاً يتجوّل في الماء حتى تبيّن لهم أنه قارب، فأتاهم بموت معاوية وبيعة يزيد ابنه وإذنهم بالقفول، فشكروا تبيعاً وأثنوا عليه خيراً، ثم قالوا : وأخرى بقيت، قد دخل الشتاء ونحن نخاف أن تنكسر مراكبنا. فقال تبيع : لا ينكسر لكم عود يضركم، ولا ينقطع لكم حبل يضرّكم حتى تردّوا إلى بلادكم، فساروا، فسلّمهم الله عزّ وجلّ ». « تاريخ دمشق — ج١٠/٤٣١ — تحقيق محمد أحمد دهمان، المعرفة والتاريخ، للبسوي ٣/٣٢٤، سير أعلام النبلاء، للذهبي ٤/٤١٤) وروى ابن أعثم في كتاب الفتوح ٢/١٢٧ رواية مختصرة عن « مجاهد بن جبر » قال: « لقد دخلت مدينة رودس في سنة ثلاث وخمسين، فبنينا فيها مسجداً، وأقمنا بها مؤذّناً ومصلّى. قال مجاهد : وكان تبيع ابن امرأة كعب الأحبار، وكنت أقرئه القرآن، فقال لي ذات يوم : يا مجاهد ! كأنّك بهذه الجزيرة قد خربت وذهب رسْمُها... » إلخ.

وقد عرفنا من التابعين الذين نزلوا رودس في هذه الغزوة: عبد الله بن عوف القاري، وعبد الله بن محيريز. (حلية الأولياء، لأبي نُعيم ٥/١٤١)

معاوية » لغزو البيزنطيين في سنة ٥٠ هـ. كان جُند بعلبك في مقدّمة قوّاته التي حاصرت القسطنطينية.

أما صور، فيبدو أنها أسهمت مع غيرها من موانى ساحل الشام بغزوة قبرس، حين رمّمها معاوية مع عكا.

وفي المقابل، فإنّ أكثر الغزوات البيزنطية المضادّة استهدفت سواحل الشام عامّة، والمدن « اللبنانية » وسواحل « لبنان » وجباله خاصّة، لأنّ الثغور البحرية في « لبنان » كانت هي مصدر القلق والخطر الرئيس لسياستهم في البحر المتوسط، وخاصّة في القسم الشرقيّ منه، والذي أصبح يُعرف بـ« بحر الشام »، ومن ذلك غزو مدينتي صور وصيدا في سنة ٥٩ هـ/٦٧٩ م. والانتشار البيزنطي في جبل لبنان بمساعدة المَرَدة من الجراجمة وغيرهم من العبيد في سنتي ٦٦٩ و٦٧٩ م.

ونحن إذ نُسلّط الأضواء على ما صرّحت به المصادر التاريخية القديمة عن دور المدن « اللبنانية » في الاحتكاك الحربي بين المسلمين والبيزنطيّين، فإنّ هناك أدواراً أخرى ـــ ولا ريب ـــ أسهمت فيها المدن « اللبنانية » في الغزوات البحرية والبريّة الأخرى، ممّا لم تصرّح بها تلك المصادر واكتفت بالإشارة فقط إلى « ساحل الشام » ! وليست المدن « اللبنانية » إلّا جزءاً من « ساحل الشام » الذي رسمنا حدوده الجغرافية في مقدّمة الكتاب. وبما أنّ ثغور : طرابلس وبيروت وصيدا وصور، هي أهمّ ثغور الساحل الشاميّ في صدر الإسلام، فإنّ هذه الثغور ـــ بشكل متماثل أو متفاوت ـــ أسهمت في معظم الغزوات الإسلامية إلى جزر البحر المتوسط، وسواحل آسية الصغرى، كما استُهدِفت، بالتالي، لمعظم الغزوات البيزنطيّة في البرّ والبحر.

ومن هذا المنطلق، فإنّ أكثر أمراء البحر والقادة والغُزاة الذين كانوا يتولّون إمارة « ساحل الشام » أو « بحر الشام »، أو يقودون الغزوات الصائفة والشاتية والربيعية من الشام، ممّن ذكرنا أسماءهم من قبل، ومن لم نذكر،

كان لا بدّ أن ينطلقوا للغزو إمّا من ميناء عكا بفلسطين بمساعدة المرابطين في الثغور « اللبنانية »، وإمّا أن ينطلقوا بشكل أساسيّ من أحد الثغور « اللبنانية » بمساعدة عكا وغيرها. وسوف نرى بعد فترة كيف انتقلت القاعدة البحرية الأساسية من عكا إلى صور، مما يعزّز القوّة الإسلامية المتنامية في ساحل « لبنان ».

سياسة الإسكان في « لبنان »

الاحتواء الإسلامي للشعوب غير العربية

إنّ أهمّ ما يسترعي اهتمام الباحثين والمؤرّخين، وهم يدرسون الحياة السياسية في الدولة الأموية، ذلك الظهور الواضح للعناصر غير العربية على مسرح الأحداث، من : فُرْس، وروم، وأقْباط، وجراجمة، وغيرهم، وهم يشاركون في فتوحات الدولة العربية الإسلامية ويقاتلون أبناء جلْدتهم، ويسهمون في بناء الأسطول الإسلامي، ويتولّون قيادته وقيادة الجُنْد، ويتسنّمون المناصب الرفيعة حتى أنهم يصلون إلى إمرة المدن العربية. وهذه ظاهرة جديرة بتسليط الأضواء عليها، من حيث قدرة العنصر العربي على احتواء العناصر والقوميّات غير العربية، وتحويل أبناء الفرس والروم، وغيرهم إلى بُناة للدولة العربية الإسلامية وحُماة لأراضيها، وكذلك قدرة الإسلام والمسلمين على تطويع أبناء الطوائف الأخرى لتعمل في خدمة الدولة الإسلامية، وفي عصر عُرف لدى البعض بأنه « عصر التعصّب الأموي للعرب والعروبة »، فشارك الروم، والفرس، والأقباط، والجراجمة، والأنباط، والزُّط، وغيرهم من الأحباش والبربر فيما بعد، إلى جانب العرب المسلمين في أشهر معاركهم البحرية، وفي مقدّمتها موقعة « ذات الصواري » وغزو جزيرة قبرس ورودس وأرواد وصقلية، وحصار القسطنطينية، وفي الدفاع عن حدود الدولة العربية الإسلامية في الثغور البرّية والبحرية وعند الحدود المتاخمة للدولة البيزنطية.

وتمدّنا المصادر التاريخية القديمة بروايات كثيرة تؤكّد هذه الظاهرة في وقت مبكر يسبق العصر الأموي، حتى أنّ اليهود كانوا من بين العناصر التي تشملهم تلك الظاهرة في عهد الخليفة عثمان بن عفّان، حيث رأينا كيف أسكنهم معاوية في طرابلس عقب فتحها، من غير أن يسكن معهم غيرهم فيها لبضع سنين، حتى أتى بالفرس وأنزلهم فيها بعد ذلك.

الفرس

عندما انفرد معاوية بالخلافة سنة ٤١ هـ/٦٦١ م كان يضع نُصْب عينيه الاهتمام بتدعيم المدن الساحلية وتكثيف سكانها بعد أن هجرها كثير من الروم، والتحقوا بأبناء جِلْدتهم، كما قام هو وأخوه يزيد بإجلاء الكثير منهم عن البلاد، لذلك قام بعد وقت قصير بإرسال جماعة من الفرس والأساورة[1] ليسكنوا الساحل ويعمُرُوه، فنزل الفرس في ساحل الشام على ما يقول « ابن واضح اليعقوبي » المتوفّى سنة ٢٨٤ هـ. :

« ... وبعلبكّ وأهلها قوم من الفرس وفي أطرافها قوم من اليمن، وجبل الجليل وأهلها قوم من عاملة.. ولبنان صيدا وبها قوم من قريش ومن اليمن. ولجُنْد دمشق من الكور على الساحل : كورة عِرْقة، ولها مدينة قديمة فيها قوم من الفرس ناقلة، وبها قوم من ربيعة من بني حنيفة. ومدينة أطرابُلُس وأهلُها قومٌ من الفرس كان معاوية بن أبي سفيان نقلهم إليها، ولهم مينا

(١) الأساورة : جمع سوار أو أسوار، وهو في اصطلاح الفُرس : القائد أو الرئيس. وهم قوم من الفرس، ربّما كانوا قُوّاداً قبل ابتداء الدولة الساسانية فلُقّبوا بذلك، أو ربّما استحدّثهم أردشير بن بابك أول ملوك الدولة الساسانية ولقّبهم بهذا اللقب إمّا لكونهم كانوا حُماةَ الحرب مخصوصين بقيادة الجيش أو لأنهم كانوا في مجلس الطبقة الأولى من أصحاب الرُتب يجلسون مع أبناء الملوك عن يمين الملك... ونهر الأساورة بالبصرة منسوبٌ إليهم لأنّ قوماً منهم نزلوا البصرة وحفروه. (دائرة معارف البستاني ـــ ج٤/٣٢١)

عجيب يحتمل ألف مركب. وجبيل وصيدا وبيروت، وأهل هذه الكُوَر كلها قوم من الفرس، نقلهم إليها معاوية بن أبي سفيان ».[1]

ولم يوضح « اليعقوبي » تاريخ نقل الفرس إلى ساحل الشام، ولكنّ « البلاذري » يضع تاريخاً لذلك عند حديثه عن أنطاكية فيقول إنّ معاوية نقل إليها في سنة ٤٢ هـ جماعة من الفرس وأهل بعلبك وحمص ومن المصرَيْن.[2] ويذكر في موضع آخر عن أحد الأنطاكيين أنّ معاوية نقل من فرس بعلبك وحمص وأنطاكية إلى سواحل الأردن صور وعكا وغيرها سنة ٤٢ هـ. ونقل من أساورة البصرة والكوفة وفُرس بعلبك وحمص إلى أنطاكية في هذه السنة أو قبلها أو بعدها بسنةٍ جماعة.[3] فكان من قوّاد الفرس « مسلم بن عبدالله جدّ عبدالله بن مسلم بن حبيب بن النعمان بن مسلم الأنطاكي ».[4] وهذا يعني أنّ عملية نقل الفرس إلى الساحل تمّت بعد أن تولّى معاوية الخلافة مباشرة، غير أنه يُفهم من السياق أنّ الفرس كانوا في بلاد الشام ومدنه الداخلية قبل حركة الفتح الإسلامي، ويؤيّد ذلك ما ذكره البلاذري وابن عساكر عن فتح بعلبك ونصّ كتاب الصلح الذي يؤكّد على وجود العنصر الفارسي فيها إلى جانب الروم والعرب والأنباط.

ولا يقتصر ذِكْر الفرس وإسكانُهم في ساحل الشام على « اليعقوبي » و« البلاذري » فحسب، وإنّما ينضمّ إليهما « أبو نُعَيْم الأصبهاني » و« ابن عساكر الدمشقي » و« ابن العديم الحلبي ». وقد قيل إنّ معاوية أغزى ابنه « يزيد » بلاد الروم ومعه « فرس » أنطاكية وبعلبك وغيرهم في سنة ٤٩ هـ

(١) البلدان، لليعقوبي ــ ص٢٣٧
(٢) فتوح البلدان ١٧٥/١
(٣) فتوح البلدان ١٧٥/١
(٤) فتوح البلدان ١٣٩/١

أو ٥٠ هـ[1] وممّن نزل ساحل الشام من الفرس: الصحابي « سلمان الفارسي » المتوفّى سنة ٣٤ هـ/٦٥٤ م[2] وقد رابط في بيروت.[3]

وفي عهد الوليد بن عبد الملك ولي غزو البحر الشامي بعض الموالي الفرس، مثل: « أبو خراسان » وأخيه « الليث بن تميم الفارسي »[4] و« سفيان الفارسي ».[5]

وفي أيّام « هشام بن عبد الملك » كان على مدينة صور أمير فارسيّ الأصل هو « خالد بن الحسفان الفارسيّ ».[6]

وحتى القرن الثالث الهجري كان في مدينة صور مسجد اختصّ به الفُرس من أهلها عُرف بمسجد الفرس،[7] وكان أهلها أخلاطاً من الناس.[8]

---

(١) أنساب الأشراف ـــ ق٢ ـــ ج٤/٣ طبعة القدس ١٩٣٨، وق٤ ج١/٨٦ تحقيق د. إحسان عباس ـــ بيروت ١٩٧٩، الأغاني ١٧/١٢٠، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٢٩ و٢٤٠، جمهرة أنساب العرب، لابن حزم الأندلسي ـــ تحقيق عبد السلام هارون ـــ ص٢٨٣ ـــ طبعة دار المعارف بمصر ١٩٧٧، معجم ما استعجم للبكري ـــ تحقيق مصطفى السقّا ـــ ج١/٥٨٦، معجم البلدان لياقوت ٢/٥٣٤

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة ـــ ابن الأثير ـــ ج٢/٣٢٨ ـــ المطبعة الوهبية ١٢٨٠هـ.

(٣) تاريخ دمشق (المخطوط) ـــ ج٢٤/٣٧٨

(٤) ذكرهما ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٦/١٩٧، ١٩٨) في غزوة إلى القسطنطينية على عهد سليمان بن عبد الملك

(٥) تاريخ دمشق ١٥/١٢٢، بغية الطلب في تاريخ حلب ـــ ابن العديم ٧/٢٢٠ ـــ نسخة مصوّرة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة، رقم ٩٢٩ تاريخ

(٦) تاريخ دمشق ٤٦/٧٦٧

(٧) تاريخ دمشق ٤/١٣٦ وكان إمامه: إبراهيم بن إسحاق بن أحمد أبو إسحاق المقرىء (والمخطوط) ٢٦/١١٥

(٨) البلدان ـــ اليعقوبي ٣٢٧

أمّا بعلبك فكان معظم سكّانها من الفُرس في عهد معاوية، ثم في عهد عبد الملك الذي قام بإعطائهم خُمس مدينة طرابلس.[1] ولا شكّ أنّ الفرس الذين كانوا في بعلبك تحت إمرة « سفيان بن مجيب الأزدي » شاركوا في فتح طرابلس حول سنة ٢٥هـ/٦٤٥ م. وفي سنة ٣٥ هـ/٦٥٥ م خرج « سفيان » من بعلبك بالفُرس وبخيلٍ له سواهم لاقتفاء أثر « عبد الرحمن بن عُدَيس » حين هرب مع أصحابه من السجن بمصر.[2]

وقد أيّد بعضهم رواية نقل معاوية للفُرس إلى سواحل الشام بما فيها طرابلس وجبيل وبيروت وصيدا، وأنّ بني أميّة سلّموهم السواحل لحراستها من غزوات المَرَدَة الذين استقدمهم ملوك القسطنطينية.[3] بينما اعترض بعضهم على هذه الرواية، واعتبرها غير معقولة لأنّ الأمويّين كانوا يتّبعون سياسة عربية، فلم يكن من المعقول أن يأتوا بجماعة من الفرس، ويُسكنوهم في سواحل الشام ليتقوّوا بهم، والعرب في أوج قوّتهم وقدرتهم ونشاطهم.[4]

ونحن نرى أنّه ليس من المستبعَد أن ينقل معاوية جماعةً من الفرس إلى مدن الساحل الشاميّ في سنة ٤٢ هـ/٦٦٢ م كما روى البلاذريّ، بعد أن آلت الخلافة إليه منذ سنة ٤١ هـ. وتلك سياسة حكيمة اتّبعها معاوية ليبعث الحياة على الأقل في المدن الساحلية، تماماً كما فعل من قبل عندما نقل يهوداً من الأردنّ وأسكنهم في طرابلس عقب فتحها.[5] مع ملاحظة أنّ أحداً من

---

(١) تاريخ دمشق ٧٨/١٦

(٢) تايخ دمشق ١٠٢/٣٦ و١٠٣، الإصابة ٥٥/٢

(٣) لويس شيخو، في تحقيقه لكتاب « تاريخ بيروت » لصالح بن يحيى — ص١٤ — بيروت ١٨٩٨

(٤) العرب والعروبة من القرن الثالث حتى القرن الرابع عشر الهجري — محمد عزة دروزة — ج١٥٣/١ و١٥٤ — دمشق ١٩٦٠

(٥) فتوح البلدان — ق١٥١/١، تاريخ دمشق (المخطوط) ٧٦/١٦، تهذيب تاريخ دمشق ١٨٣/٦

الباحثين لم يعترض على رواية إسكان معاوية لليهود في طرابلس، بل إنّ أحدهم أيّد تلك الرواية.[1]

وقد يقال : بما أنّ الفرس كانوا أشدّ أعداء الروم، فمن حُسن السياسة أن يكونوا بالثغور الساحلية المواجهة لهم، وبذلك يكفونه مؤنة حماية الثغور والدفاع عنها، خصوصاً وأنهم خبروا طُرق القتال مع الروم في صراعهم الطويل، وهذه السياسة من مفاخر معاوية. هذا، إلى أنّ من الممكن القول إن عملية النقل كانت تستهدف فيما استهدفته تخفيف الكثافة السكانية التي كانوا عليها في العراق، إلى جانب الاستفادة من خبرتهم في صنع السفن وركوب البحر. ولا شك أنّ أولئك الفرس كانوا قد دخلوا في الإسلام وأصبحوا من المستعربين، فأقاموا مع العرب في المدن المفتوحة، وتعلّموا العربية، وحملوا أسماء عربية.

وإذا رجعنا إلى كتب التراجم ورجال الحديث لَوَجَدنا كثيراً من المحدّثين الذين يغلب على بعضهم نسبة « الفارسيّ » ممّن نزلوا المدن الساحلية بالإضافة إلى بعلبك، ومنهم : « محمد بن موسى » أو « ابن أبي موسى » الذي يحدّث عنه الإمام الأوزاعي، قال أبو نُعَيم : هو مولى بني أميّة، فارسيّ الأصل، نَقَلَهم معاوية إلى بيروت.[2] وحسّان بن عطيّة أبو بكر المحاربي البصريّ الأصل من الفرس من موالي محارب، من ناقلة الشام، سكن بيروت.[3] وأبو إسحاق إبراهيم بن عبدالله الفارسيّ، وكان بصور.[4] وأبو سعيد أحمد بن سعيد بن عُتَيْب الصّوريّ الفارسيّ الإمام المعدّل، الذي سمعه ابن جُمَيْع

---

(١) د. سيّد عبد العزيز سالم ــ طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي ــ ص٣٦

(٢) حلية الأولياء ١٤٧/٦

(٣) التاريخ الكبير ٣٣/٣، مشاهير علماء الأمصار لابن حبّان ــ نشره فلايشهمر ــ ص١٨٠ ــ حلية الأولياء ٧٠/٦، تهذيب تاريخ دمشق ١٤٣/٤، تاريخ الإسلام ٦٠/٥

(٤) تاريخ دمشق ٣٨٢/٣٧

الصيداوي في صور.[1] وإبراهيم بن الحسن بن أبي كريمة الصيداوي الفارسيّ الأصل،[2] وأشعث بن محمد الأشعث أبو النعمان الفارسيّ المعروف بأبي صيرة، وقد حدّث بطرابلس،[3] وأحمد بن عمرو أبو جعفر الفارسي الذي روى بدمشق عن ابن الضّحّاك البعلبكي،[4] وأحمد بن هشام بن الليث الفارسيّ الذي حدّث بصور،[5] وجدّه الليث بن تميم الفارسي، وهو من أهل طرابلس ويروي عنه الوليد بن مسلم المتوفّى سنة ١٩٥ هـ[6] وأبو الفضل عقيل بن محمد الفارسي الفقيه نزيل بعلبك.[7] وأبو الرضا محمد بن الرضا من فرس بعلبك، وحدّث بها عن محمد بن هاشم البعلبكي.[8] وأبو صالح محمد بن حفص الفارسي البعلبكي الذي حدّث عن ابن كثير الصوري،[9] وأبو السريّ محمد بن داود بن بيوس البعلبكي الفارسي.[10] وعلي بن محمد بن حفص الفارسي الذي يروي عن عبد الحميد بن بكار البيروتي.[11] هذا فضلاً عن : سلمان الفارسي الصحابيّ الذي نزل بيروت مرابطاً، وسفيان الفارسي الذي وُلّي غزوَ البحر الشامي، والمولى أبو خراسان الفارسي.

---

(١) معجم الشيوخ لابن جُميع الصيداوي ١٩٣ رقم ١٤٧ ــ بتحقيقنا ــ طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار الإيمان بطرابلس ١٤٠٥هـ./١٩٨٥م.

(٢) تاريخ دمشق (المخطوط) ١٦١/٤، التهذيب ٢٠٤/٢

(٣) تاريخ دمشق (المخطوط) ٩٧/٦

(٤) تاريخ دمشق (المخطوظ) ٨٦/٣ و١٤٧/٢٢

(٥) معجم الشيوخ لابن جُمَيْع (بتحقيقنا) ص٢٠٩ رقم ١٦٦، بغية الطلب لابن العديم ١١٥/٢، تاريخ دمشق ١١١/٢٨

(٦) تاريخ دمشق ٧٦/١٦

(٧) طبقات الشافعية الكبرى ٢٧٠/٢ ــ طبعة مصر ١٣٢٤هـ.

(٨) تاريخ دمشق ١٧٣/٤٠

(٩) تاريخ دمشق ٤١٣/٣٧ و٣٢/٣٩ و٢٦٦/٤٢، الأنساب ٨٦أ

(١٠) تاريخ دمشق ٥٩٩/١١ و٤٨٣/٣٧

(١١) الأنساب ٩٩أ، تهذيب التهذيب لابن حجر ١٠٩/٦ و٣٨٥/١١

وبطبيعة الحال، لم يكن الفرس ليشكّلوا الأغلبية الساحقة من السكان في المدن التي نُقلوا إليها، بل نزلوا إلى جانب عناصر أخرى بقيت في تلك المدن أو كانت فيها من الروم واليهود والقبط والأنباط، فضلاً عن العرب، فقد ذكر البلاذريّ عن محدّث من مدينة صور هو « هشام بن الليث الصّوريّ » أنّ مشايخه قالوا : « نزلنا صور والسواحل، وبها جُند من العرب وخلْق من الروم، ثم نزع إلينا أهل بلدانٍ شتّى فنزلوها معنا، وكذلك جميع سواحل الشام ». [1] كذلك ذكر الطبري أسماء بعض وجوه أهل الكوفة وأشراف العراق الذين أخرجهم عثمان إلى دمشق، ثم أخرجهم معاوية إلى حمص، فقام واليها عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فأنزلهم ساحل الشام وأجرى عليهم رزقاً وألزمهم الدروب، وذلك في سنة ٣٣ هـ. [2] وسيأتي أنّ عبد الملك أعطى الفرس خُمْس طرابلس، مما يعني أنّ أربعة أخماس المدينة الباقية من العرب وغيرهم.

ويبدو أنّ العرب كانوا يخشون، في أول الأمر، الإقامة في المواني والمدن الساحلية الشامية التي كانت هدفاً لغارات البيزنطيّين، ولذا نجد معاوية يتّبع سياسة إقطاع الأراضي عليهم، ليس لتكوين طبقة من المزارعين، بل لتدعيم شأن المحاربين المرابطين في الثغور الخطرة، فأغرى العرب بتملُّك الأراضي ليحلّ مشكلة إسكان الساحل. [3] وكان عثمان قد أصدر تعليماته إلى معاوية يأمره فيها « بتحصين السواحل وشحْنها وإقطاع من يُنزِله إيّاها قطائع، ففعل ». [4] ولكنّ العرب لم يتحمّسوا في البداية لهذه الإغراءات. ولذلك

---

(١) فتوح البلدان ـــ ق١/١٤٠

(٢) أنساب الأشراف ٤٣/٥ وق٤ ج٥٣٢/١ تحقيق د. إحسان عباس، تاريخ الرسل والملوك ٣٢٦/٤

(٣) الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري ـــ فتحي عثمان ـــ ٣٣٨/١ القاهرة ١٩٦٦

(٤) فتوح البلدان ١٢٧/١، العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام ـــ د. عبد العزيز الدوري (تاريخ بلاد الشام) ٢٨ ـــ الجامعة الأردنية ١٩٦٢

نرى معاوية يلجأ ثانيةً إلى الاستعانة بغير العرب ليعمروا المدن الساحلية، فيتّجه إلى استقدام الفرس من الداخل وإنزالهم في الساحل.[1]

وبالرغم من كل ما أسلفناه حول إسكان الفرس في المدن الساحلية، فإنّنا نرجّح أن يكون الذين جُلِبوا لتلك الثغور كان معظمهم، وإن لم يكونوا جميعاً، من الخبراء في صناعة السفن وما يلزمها، وبذلك لن يكون ثمّة مانع من وجودهم باعتبارهم جماعة من الفنّيين يعملون في صناعة السفن المستحدثة لإنشاء أُسطول إسلاميّ يواجه أساطيل الروم في البحر المتوسط، وبذلك لن يكون على معاوية من حرجٍ في استخدام هؤلاء الفرس وغيرهم حتى من بقايا الروم في إعداد الأساطيل البحرية، شأنهم في ذلك شأن القبط أيضاً.

الأقباط

وعن الأقباط واحتواء العروبة لهم، تُفيدنا المعلومات التاريخية عن مشاركتهم العملية الى جانب المسلمين في غزواتهم ومعاركهم البحرية ضدّ البيزنطيّين، وإسهامهم الفعّال في صناعة المراكب وفي قيادتها أثناء القتال على حدٍّ سواء.

ولا غرو، فالأقباط كانوا مرحّبين بالفتح العربي الإسلامي، منذ بدأت طلائع القائد « عمرو بن العاص » تصل إلى حدود مصر الشرقية في شبه جزيرة سيناء، فقد ذكر المؤرّخ المصري « عبد الرحمن بن عبد الحكم » المتوفّى سنة ٢٥٧ هـ انه كان بالإسكندرية أسْقُفّ يقال له « أبو ميامين » (لعلّه تصحيف : بنيامين)، فلما بلغه قدوم « عمرو بن العاص » إلى مصر، كتب إلى القبط يُعلِمهم أنه لا تكون للروم دولة، وأنّ مُلكهم قد انقطع، ويأمرهم بتلقّي عمرو، فيقال : إنّ القبط الذين كانوا بالفَرَما كانوا يومئذٍ أعواناً لعمرو.

---

(١) البلدان لليعقوبي ٣٢٧ طبعة ليدن ١٨٩١، جغرافية الشام عند جغرافيي القرن الرابع الهجري — د. نقولا زيادة — ص١٦٨ (تاريخ بلاد الشام).

ثم يقول إنه خرج مع عمرو « جماعة من رؤساء القبط، وقد أصلحوا الطرق وأقاموا لهم الجسور والطرق، وصارت لهم القبط أعواناً على ما أرادوا من قتال الروم ». [1]

ولقد أسهم الأقباط، بشكل أو بآخر، في فتح جزيرة قبرس مع الفاتحين المسلمين من الصحابة حول سنة ٢٨ هـ/٦٤٩ م. ويتبيّن لنا ذلك مما أورده « أبو نُعيم الإصبهاني » إذ يقول : « أخرج معاوية غنائم قبرس إلى أنطَرَطوس من ساحل حمص، ثم جعلها هناك في كنيسةٍ يقال لها كنيسة معاوية، ثم قام في الناس فقال : إنّي قاسمٌ غنائمكم على ثلاثة أسهُم : سهم لكم، وسهم للسفن، وسهم للقبط، فإنه لم يكن لكم قوّة على عدوّ البحر إلّا بالسفن والقبط، فقام أبو ذَرّ (الغفاريّ) فقال : بايعتُ رسول الله ﷺ على أن لا تأخذني في الله لومة لائم، أتَقْسم يا معاوية للسفن سهماً، وإنّما هي فيئنا ؟ وتقسم للقبط سهماً وإنّما هم أُجَراؤنا ؟ فقسّمها معاوية على قول أبي ذرّ ». [2]

إنّ في هذا النّصّ إشارة واضحة إلى مشاركة القبط في غزو قبرس، ومَيل معاوية إلى إشراكهم في الغنائم تقديراً لدورهم.

ويتجلّى احتواء المسلمين للقبط في الموقعة البحرية الكبرى المعروفة بـ« ذات الصواري » فقد خرج الأسطول البحري من سواحل مصر بقيادة « عبدالله بن أبي السرح » ومعه مراكب للأقباط شاركت في الموقعة مع مراكب العرب المسلمين، حيث يذكر « محمد بن جرير الطبري » في معرض تأريخه للموقعة، أنّ « محمد بن حُذَيفة » حين تنابذ وقائد الأسطول « ابن أبي السرح » أقسم عليه « ابن أبي السرح » : « والله لا تركب معنا، قال :

(١) فتوح مصر وأخبارها ــ ابن عبد الحكم ــ طبعة نيويورك ١٩٣٢
(٢) حلية الأولياء ١٣٤/٥

فأركبُ مع المسلمين ؟ قال : اركب حيث شئت، فركب في مركب وحده ما معه إلّا القبط، حتى بلغوا ذات الصواري، فلقوا جموع الروم في خمسمائة مركب أو ستّمائة فيها القسطنطين بن هِرَقْل ». [١]

ويذهب « ابن أعثم الكوفي » إلى أبعد من ذلك في كتاب « الفتوح » المنسوب إليه، حين يقول إنّ المركب الذي كان فيه معاوية وزوجه وأولاده، وهو في الطريق إلى غزو قبرس، كان يقوده ملّاح قبطيّ يُدْعى « طليا ». [٢] وحين جُرح الإمبراطور « قنسطانز » وولّى مُدبراً في موقعة ذات الصواري، صاح « ابن ابي السرح » بالقبط النواتية : « ألا من قتل رجلاً من الروم فله ثلاثة دنانير، فقتلت القبط منهم في ذلك اليوم قريباً من سبعمائة رجل ». [٣]

وروى « سعيد بن منصور » المتوفّى سنة ٢٢٧ هـ في سننه حديثاً يفيد أنّ القبط كانوا يشاركون المسلمين في غزوتهم البحرية الى القسطنطينية سنة ٩٧ هـ وأن مركباً لهم وصل إلى ثغر بيروت بعد قفول الأسطول في سنة ٩٩ هـ/٧١٨ م وقد أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز أن يُمنحوا المركب بكل ما فيه من متاع وسلاح لصدق جهادهم في الروم، على أن يُعطوا الخمس إلى بيت المال . [٤]

وهذا تصديق للحديث الذي يُروى عن الرسول ﷺ انه قال : « الله الله

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ٢٩١/٤

(٢) كتاب الفتوح لابن أعثم ١١٨/٢ ويقول الأب موريس فيبه رئيس قسم التاريخ في جامعة القدّيس يوسف ببيروت أنّ (طليا) اسم سرياني، وليس قبطي، ويعني : الجدي أو الحمل الصغير. وقد ناقشته هذا الموضوع أثناء إلقاء بحثي في مؤتمر تاريخ بلاد الشام، بالأردن ١٩٨٥

(٣) الفتوح لابن أعثم ١٣٠/٢

(٤) سنن سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني المكي (ت ٢٢٧هـ) ــ تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ــ طبعة دار الكتب العلمية ببيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥ ــ ق٢ من المجلد ٢٩٤/٣ رقم ٢٧١١

في قبط مصر، فإنكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدّة وأعواناً في سبيل الله ». [1]

وكانت جاليات قبطيّة لا تزال تسكن مدن ساحل الشام حتى منتصف القرن الثاني الهجري (الثامن ميلادي) على الأقلّ، بدليل مشاركتهم في تشييع جنازة الإمام الأوزاعي المتوفّى سنة ١٥٧ هـ/٧٧٤ م مع المسلمين واليهود والنصارى. [2]

الجراجمة

أمّا الجراجمة فهم قوم كانوا يسكنون مدينة الجرجومة، على جبل اللُّكام، عند معدن الزّاج فيما بين بَيّاس وبوقا، بالقرب من أنطاكية، وقد مرّ الاحتواء العربيّ لهم في عدّة أدوار، وواجه بعض المصاعب حتى تمّ احتواؤهم في العصر الأموي، وباتوا يشكّلون فرقة في جيوش المسلمين في مطلع القرن الثاني الهجري.

وتبدأ قصّة علاقات المسلمين بالجراجمة منذ حركة الفتح لشماليّ الشام في عهد الخليفة عمر بن الخطّاب، إذ يروي « البلاذريّ » أنه لمّا قدِم أبو عُبيدة بن الجرّاح إلى أنطاكية وفتحها في سنة ١٥ هـ/٦٣٦ م لزِم أهل الجرجومة مدينتهم، وكان أمرهم إلى بِطريق أنطاكية وحاكمهم، وهمُّوا باللحاق بالروم، إذ خافوا على أنفسهم فلم ينتبه المسلمون لهم، ولم يُنَبّهوا عليهم، وعندما نقض أهل أنطاكية وغدروا بالمسلمين، وجّه إليهم أبو عُبَيْدة مَن فتحها ثانية، وولّاها « حبيب بن مَسْلَمَة الفِهْريّ » فغزا الجرجومة فلم يقاتله أهلها ولكنّهم طلبوا الأمان والصلح فصالحهم على أن يكونوا أعواناً

---

(١) (مجمع الزوائد ٦٣/١٠)

(٢) تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢٠٢/١، تاريخ دمشق (المخطوط) ٧١/١٥

للمسلمين وعيوناً ومَسَالح في جبل اللُّكام، وأن لا يؤخذوا بالجزية، وأن يُنَفَّلوا أسلاب من يقتلون من عدوّ المسلمين إذا حضروا معهم حرباً في مغازيهم، ودخل من كان في مدينتهم من تاجرٍ وأجيرٍ وتابعٍ من الأنباط وغيرهم، وأهل القرى في هذا الصلح، فَسُمُّوا الرواديف،[1] لأنهم تلَوْهم وليسوا منهم، ويقال : إنهم جاؤوا بهم إلى عسكر المسلمين وهم أرادف لهم فسُمُّوا رواديف، فكان الجراجمة يستقيمون للوُلاة مرّةً ويَعْوَجُّون أخرى فيكاتبون الروم ويمالئونهم.[2] ولذلك عُرِفوا بالمَرَدَة لكثرة تمرّدهم على العرب والبيزنطيّين على حدٍّ سواء.

والجراجمة في الأصل من بلاد فارس، وقد خرجوا مع « سيف بن ذي يزن » إلى اليمن لمساعدته في حربه ضدّ الأحباش، فعُرفوا هناك بـ« الأبناء » وفي صنعاء بـ« بني الأحرار » واستوطنوا بعد ذلك في البلاد، فعُرفوا بالكوفة بـ« الأحامرة »، وبالبصرة « الأساورة » وبالجزيرة « الخضارمة » وبالشام « الجراجمة ». ولأميّة بن أبي الصّلت في « بني الأحرار » قوله وهو ينشد « سيف بن ذي يزن » :

لا يطلب الثأرَ إلّا كابن ذي يزن ... في البحر خيّم للأعداء أحوالا

.. حتى أتى ببني الأحرار يقدمهم ... تُخالُهم فوق متن الأرض أجيالا

لله دَرُّهُم من فتيةٍ صبروا ... ما إن رأيت لهم في الناس أمثالا

بيضٌ مرازبةٌ غلْبٌ أساورةٌ ... أُسْدٌ تربّت في الغيضان أشبالا[3]

وبعضهم يعرّف الجراجمة بأنّهم قوم من العجم بالجزيرة، ففي حديث وهب قال : قال طالوت لداود عليه السلام : أنت رجل جريء، وفي جبالنا هذه جراجمة يجترمون الناس، أي لصوص يستلبون الناس وينتهبونهم. ويقال :

---

(1) ظلّت هذه التسمية شائعة حتى القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي).

(2) فتوح البلدان ١٨٩/١

(3) الأغاني (ترجمة أميّة بن أبي الصلت) ٧٣/١٦ طبعة بولاق.

الجراجمة نَبَط الشام. قال ابن برّي : ومنه قول ابن وجزة :

... ... لو أنّ جمْع الروم والجراجما[1]

وكان الجراجمة في الأصل من جوار « مرعش » المعروفة قديماً (جرما نيقية)، ثم انتقلوا إلى شماليّ الشام واتّخذوا مدينة الجرجومة عاصمة لهم.[2] وكذلك عُرفوا بالجرامقة نسبة إلى جرمانيقية، وبالجراجمة نسبة إلى الجرجومة، وهما من أصلٍ واحد، ذكرهما المؤرّخ « ابن الأثير » في حوادث سنة ١٠١ هـ/٧٢٠ م.[3]

إذن، بدأت العلاقات بين المسلمين والجراجمة في دورها الأول في عهد الفتح أيام الخليفة عمر بن الخطاب، فاتّخذهم المسلمون عيوناً لهم ومَسَالح ترصد الدروب عند جبل اللُّكام على الحدود المتاخمة للدولة البيزنطية، ورفعوا عنهم الجزية، وسمحوا لهم بالحصول على نصيبهم من الغنائم إذا حضروا معهم الحرب، وهذه معاملة فريدة لم يحظ بها غيرهم من رعايا الدولة العربية فيما نعتقد.

على أنّ الجراجمة قلبوا ظهر المِجَنّ في عهد معاوية فأظهروا العداء للمسلمين وشاركوا البيزنطيّين في حملتهم البحرية التي استهدفت سواحل الشام في سنة ٤٩ هـ/٦٦٩ م. وقد ذكرتهم المصادر اليونانية القديمة باسم المَرَدَة.

ويُلاحظ أنّ البلاذريّ لم يورد تفصيلاً لغزوة الروم هذه، كما لم يُشِرْ إليها غيره من المؤرّخين المسلمين، وقد أشار إليها المؤرّخ اليوناني « توافانس » المتوفّى سنة ٨١٨ م فقال : « في سنة ٦٦٩ للمسيح دخل المَرَدَة لبنان

---

(١) لسان العرب ٣٦٣/١٤ طبعة مصر
(٢) تسريح الأبصار فيما يحتوي لبنان من آثار ـــ هنري لامنس ٥١/٢، بيروت ١٩٨٣
(٣) الكامل في التاريخ ٧٥/٥

واحتلّوا كل ما يقع بين الجبل الأسود والمدينة المقدّسة، وانضمّ إليهم كثير من أبناء البلاد والعبيد والأسرى، فبلغ عددهم في مدّة وجيزة عدّة آلاف ».[1]

وكلمة « المَرَدَة » المستَخْدَمة هنا هي كلمة فارسية مُفْرَدها « مرد Marde » ومعناها : الشجاع، وأُطلِق على الجراجمة أيضاً اسم « الماردية Mardaites » وهي تسمية بيزنطية.[2]

وعاد الجراجمة فساعدوا الروم في غزوة جديدة حيث انتزعوا مدينة حماة من المسلمين مغتنمين فرصة وفاة معاوية، ناقضين للهدنة، وعندما قصد ابنه « يزيد » لاستردادها اعترضه أهل الجبال وردّوه عنها في سنة ٦٠ هـ.[3]

واستمرّ خطرهم واضحاً في أيّام عبد الملك بن مروان، ثم في أيام الوليد بن عبد الملك،[4] كما سيأتي لاحقاً إلى أن أثبتوا مع الأنباط ــ بعد ذلك ــ صِدق عهدهم تجاه المسلمين، ونجد هؤلاء في احتوائهم حتى مطلع القرن الثاني للهجرة، على الأقل، حيث تراهم يشكّلون جزءاً من عسكر « مَسْلمة بن عبد الملك » حين خرج بأهل الشام لقتال « يزيد بن المهلّب » في البصرة سنة ١٠١ هـ/ ٧٢٠م ونقف على ذلك في نص خطبة « ابن المهلّب » التي أوردها ابن الأثير ومنها قوله : « .. يقولون : جاء أهل الشام ومَسْلمة، وما أهل الشام ؟ هل هم إلّا تسعة أسيافٍ، سبعة منها إليّ، وسيفان

(١) تاريخ الموارنة ــ بطرس ضو ٢٨١/١

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ١٥٠/١١، ١٥١ ومفرد جراجمة : جرجماني، كما ورد في الأغاني في قصيدة لأعشى همدان. والجراجمة نصارى على شيء من الفتور في عقيدتهم. (تاريخ بيروت لصالح بن يحيى، تحقيق لويس شيخو ــ ص١٧ ــ الحاشية)

(٣) أخبار الأعيان في جبل لبنان ــ طنّوس الشدياق ــ ٢٠٢/١ بيروت ١٩٥٤

(٤) راجع فتوح البلدان ١٨٩/١، ١٩٠

عَلَيَّ، وما مَسْلمة إلّا جرادة صفراء، أتاكم في برابرة وجرامقة وجراجمة، وأنباط وأبناء فلّاحين وأوباشٍ وأخلاط... ». [1]

الأنباط وغيرهم

أمّا الأنباط أو النَبَط، فهم من السُرْيان النصارى ويغلب عليهم الزراعة والفلاحة، وكانوا ينتشرون في نواحي بلاد الشام، وخاصّة في المناطق الزراعية، وكان جمعهم موفوراً في البقاع ونواحي بعلبك، وداخل المدينة أيضاً، وهذا ما تأكّد لنا أثناء حديثنا عن فتح المسلمين لبعلبك، حيث نصّ كتاب الصلح الذي عقده أبو عُبيدة بن الجرّاح مع أهل المدينة على وجودهم بها. [2] كما أنّ نصارى « فِحْل » من الأنباط الوطنيّين كتبوا إلى المسلمين مرحّبين بالفتح : « يا معشر المسلمين، أنتم أحبُّ إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا وأرأف بنا وأكفّ عن ظُلْمنا، وأحسن ولايةً علينا، ولكنّهم قد غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا ». [3]

وقال « ابن أعثم الكوفي » في معرض حديثه عن الفتح الإسلامي لبلاد الشام : « كان خالد بن الوليد يوجّه الكتب إلى أمراء الأجناد مع أنباط الشام الذين كانوا عند المسلمين، وكان هؤلاء الأنباط قوماً نصارى غير أنهم كانوا إلى المسلمين لِبرّهم أمْيَل بهم، وصِلَتهم إيّاهم، فكانوا فيُوجاً [4] للمسلمين وجواسيس، وكانت الروم لا يتّهمونَهم في شيءٍ من ذلك ». [5] وقد عملوا عيوناً لأبي عُبيدة، فكانوا يأتون إليه بأخبار الروم وحشودهم، وقد أخبر أبو

---

(١) الكامل في التاريخ ـــ ٧٥/٥

(٢) تاريخ دمشق ٤٠٠/٢٠، ونسخة مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨١ ـــ ص٣٦٨، ٣٦٩

(٣) فتوح الشام للأزدي ١٤٠

(٤) الفيوج : واحدها الفيج وهو رسول السلطان الذي يسعى على رجليه. وهو فارسيّ معرَّب. وقيل هو الذي يسعى بالكتب

(٥) كتاب الفتوح لابن أعثم ١٤٤/١

عبيدة خالد بن الوليد إن « هؤلاء جواسيسنا من أنباط الشام قد جاؤا إليّ خبّروني أنّ أهل بعلبك في عشرين ألفاً.. ». [1] كما كان أبو عبيدة يأتمن الأنباط على البريد، فحين أراد الكتابة إلى الخليفة عمر عن الوضع العسكري في بلاد الشام أرسل الكتاب مع فَيْج سريع من أنباط أهل الشام. [2]

* * * *

وبعد استقرار حركة الفتح الإسلامي أذِن معاوية لجماعةٍ من الروم البيزنطيّين بالنزول في مدينة طرابلس والإقامة فيها بعد أن استأمنوا. [3] ومن ناحيةٍ أخرى، نقل في سنة ٤٩ هـ أو ٥٠ هـ/٦٧٠ م قوماً من زُطّ البصرة والسيابجة، [4] وأنزل بعضهم في أنطاكية، وقد أُطلق اسمُهُم على المحلّة التي نزلوا فيها، فعُرفت بمحلّة الزّطّ. وانتشروا فيما بعد في نواحي أنطاكية، فكان بيُوقا من أعمال أنطاكية قوم من أولادهم يعرفون بالزّطّ، وهم من الهنود. [5]

ولقد طبّق « الوليد بن عبد الملك » سياسة معاوية أيضاً، فنقل إلى أنطاكية قوماً من الزّطّ السنْد في أيامه (٨٦ ـــ ٩٦ هـ/٧٠٥ ـــ ٧١٥ م) مِمّن حملهم محمد بن القاسم الثقفي عامل « الحَجّاج بن يوسف » على السنْد، فبعث بهم الحَجّاج إلى الشام، فنقلهم الوليد إلى أنطاكية مع جواميسهم.

---

(١) كتاب الفتوح ١٧٥/١

(٢) كتاب الفتوح ١٨٧/١

(٣) فتوح البلدان ١٥٠/١، ١٥١

(٤) هكذا في فتوح البلدان ١٩٢/١، وأنساب الأشراف ١٠٦/٤ و١١٢ وذكرها محمد أسعد طلس : « السبابجة » بتقديم الباء على الياء، نقلاً عن « المفحص » إذ مُفردها « سبيجي » (تاريخ الأمة العربية (عصر الاتساق) ٨٠ ـــ بيروت ١٩٥٨، وجاء في « تاج العروس للزبيدي ٧/٦ تحقيق د. حسين نصّار ـــ الكويت ١٩٦٩ « السبابجة » : قوم ذوو جَلَد من السند والهند يكونون مع رئيس السفينة البحرية يبذرقونها، وواحدهم : سبيجي.

(٥) فتوح البلدان ١٩٢/١، التنبيه والإشراف ٣٠٧، ٣٠٨

وهكذا نرى احتواء العروبة والإسلام للعناصر غير العربية منذ وقت مبكر، وكان لبعض تلك العناصر حضور واضح وقويّ في مجريات الأحداث في العهدين الراشدي والأموي، وخصوصاً في ساحل الشام.

* * * *

« لبنان »
في عهد عبد الملك بن مروان
(٦٥ ــ ٨٥ هـ./٦٨٥ ــ ٧٠٥ م.)

الصراع مع البيزنطيين وحلفائهم

تكاد سياسة « عبد الملك » أن تكون مماثلة لسياسة سلفه « معاوية » في لبنان، إن لم تكن استمراراً لنهجه. فقد ورث الصراع مع البيزنطيين وحلفائهم من الجراجمة والأنباط والمَرَدَة، وكان للمدن « اللبنانية » دورها في ذلك الصراع بشكل واضح، حيث بدا خطر « الجراجمة » واضحاً عندما عَاضدوا الروم في حملتهم على ساحل الشام وجبال لبنان في سنتي ٤٩ هـ و٦٠ هـ واستمرّوا يُظهرون العداء للدولة العربية في أيام « عبد الملك »، فكانوا يُغيرون على قُرى أنطاكية والعَمْق،[1] وإذا غزت الصوائف قطعوا على المتخلّف واللاحق ومَن قدِروا عليه ممّن في أواخر العسكر. وأوغلوا في المسلمين فأمر « عبد الملك » ففرض لقومٍ من أهل أنطاكية وأنباطها، وجُعلوا مَسَالح،[2]

(١) العَمْق : بفتح العين، عمق تيزين، سهل ومستنقع بين مدينتي أنطاكية وحماة. (البلاذري ــ ق٧٥٢/٣)

(٢) مَسَالح : جمع مَسْلَحَة. ثغر أو مرقب. والمسلحة : قوم في عدّةٍ بموضع رصدٍ قد وُكّلُوا به بإزاء ثغر. واحدهم : مَسْلحيّ. (لسان العرب)

وأُردِفت بها عسكر الصوائف ليؤدّبوا الجراجمة عن أواخرها، فسُمُّوا « الرواديف » أيضاً، وأجرى على كل امرئٍ منهم ثمانية دنانير.[1]

غير أنّ الجراجمة أقاموا على عصيانهم للدولة العربية، فكانوا يسيرون في فَلَك الإمبراطورية البيزنطية التي سخّرتهم لتحقيق أطماعها في بلاد الشام، إلى جانب جماعات من الأنباط الأراميّين الذين كانوا في سورية،[2] وعبيد أُبّاق من المسلمين ومَوَاليهم الذين انحازوا الى الروم. واستخدم البيزنطيّون في جيوشهم فِرَقاً من المرتزقة على غرار ما كان يجري في الإمبراطورية الرومانية وهم الذين عُرِفوا بالمَرَدة وليس الموَارنة كما يزعم بعضهم.[3]

وحَدَث في سنة ٦٥ هـ/٦٨٥ م ــ وهي السنة التي تولّى فيها عبد الملك الخلافة ــ أنْ تُوُفي الإمبراطور « قسطنطين اللحياني » وتولّى العرش ابنه « يوستنيانوس الثاني » المعروف بـ(الأخرم)، وكان في السادسة عشرة من عمره، فدفعه طَيْشه في سنة ٦٩ هـ/٦٨٩ م إلى نقض اتفاقية الصلح مع العرب بتحريضٍ من بعض رجالات دولته، إذ كانوا قد طلبوا من أبيه أن يبادر إلى غزو بلاد الشام فيما كان عبد الملك منشغلاً بمحاربة « مُصْعَب بن الزبير » فنهاهم عن ذلك وخطّأ رأيهم.[4] ولكنهم نجحوا مع ابنه الصغير هذا الذي جيّش قواته لقتال المسلمين، واتصل بالجراجمة والأنباط وأخذ يستثيرهم ويحرّضهم على مقاومة العرب مغتنماً تفشّي الطاعون في بلاد الشام وانتشار الجوع وتخلّف المسلمين من أهل الشام عن الغزو في ذلك العام، إذ كانوا

(١) البلاذري ــ ق١٩١/١

(٢) تسريح الأبصار ــ ج٥١/٢

(٣) لبنان في محيطه العربي ــ فؤآد قازان ــ ج٣١٩/٢ و١٤٠ ــ بيروت ١٩٧٢

(٤) عيون الأخبار (كتاب الحرب) ــ ابن قتيبة الدينوري ــ مجلّد ١١٦/١ ــ مصوّرة دار الكتب المصرية،والمحاسن والمساوىء ــ البيهقي ــ ص١٣٠ ــ طبعة دار صادر، بيروت ١٩٧٠

يسمّون عام ٦٩ هـ بعام الردغة،[١] ثم كتب إلى عبد الملك يتوعّده بقوله : « إنك أحدثت في القراطيس ما لم يكن، ولئن لم تنته عن ذلك لأشتمنّ نبيّك في كل ما يُعمل في مملكتي.. » وقال ينال منه : « أكلت لحم الجمل الذي هرب عليه أبوك من المدينة، لأغْزُوَنَّك جُنُوداً مائة ألفٍ ومائة ألف »،[٢] ولكنّ عبد الملك أجابه بما لا يرغب، إذ صدّر كتابه بالآية الكريمة : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وذكر النبيّ في ذكر التاريخ.[٣]

وقد ترك لنا المؤرّخون نصوصاً متشابهة لجواب عبد الملك على يوستنيانوس الثاني، نذكر منها هنا نصّ اليعقوبي :

« ... وكتب ملك الروم إلى عبد الملك يتوعّده، فضاق عليه الجواب، وكتب إلى الحجّاج (بن يوسف الثقفي) ــ وهو إذ ذاك على الحجاز، أن ابعثْ إلى عليّ بن الحسين فتوعّدْه وتهدّدْه وأَغْلِظْ له، ثم انظرْ ماذا يجيبك، فاكتبْ به إليّ، ففَعل الحجّاج ذلك، فقال له عليّ بن الحسين : إنّ لله في كل يوم ثلاثمائة وستّين لحظة، وأرجو أن يكفيَنّك في أول لحظة من لحظاته، وكتب بذلك إلى عبد الملك، فكتب به إلى صاحب الروم كتاباً، فلما قرأه قال : ليس هذا من كلامه، هذا من كلام عترة نُبُوَّته ».[٤]

---

(١) تاريخ خليفة ٢٦٥ و٢٦٦

(٢) العقد الفريد ــ ابن عبد ربّه الأندلسي ــ ج٢/٢٠٣، تاريخ دمشق ٢١٩/٥، الحلية ١٧٦/٣

(٣) النقود القديمة الإسلامية ــ المقريزي ــ نشره أنستاس الكرملي، في كتاب: النقود العربية وعلم النُميّات ــ ص٣٥ ــ طبعة القاهرة ١٩٣٩، وانظر كتاب : الأوائل، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ــ طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧هـ./١٩٨٧ ــ ص١٧٤

(٤) تاريخ اليعقوبي ــ ج٢/٣٠٤

أما النصّ عند المسعودي فهو : « حدّثنا نصر بن علي قال : حدّثنا أحمد الزبيري، عن يونس بن أبي إسحاق قال : حدّثنا سهل بن عُبَيد بن عمرو الخابوري قال : كتب ابن الحنفية إلى عبد الملك أنّ الحَجّاج قد قدِم بلدَنا وقد خفْتُه، فأحبُّ أن لا تجعل له عليّ سلطاناً بيدٍ ولا بلسان، فكتب عبد الملك إلى الحَجّاج : إنّ محمد بن عليّ كتب إليّ يستعفيني منك، وقد أخرجت يدك عنه، فلم أجعل لك عليه سلطاناً بيدٍ ولا لسان، فلا تتعرّض له، فلقيه في الطواف، فعضّ

وأخرج الإمبراطور خيل الروم إلى جبل اللُّكام بقيادة « لاو بن فلنط » حتى وصلت « لبنان » وانضوى إليها جماعة كثيرة من الجراجمة والأنباط وعبيد أُبّاق من عبيد المسلمين.[1] ومن ناحية أخرى، خرج الأسطول البيزنطي بقيادة بطْريق يُدعى « قلقط » قاصداً ساحل الشام فأرسى عند وجه الحجر (قرب أنَفَة) جنوبيّ طرابلس، ونزل الجيش إلى الساحل ثم علا جبل لبنان، وانبثّ قادته إلى أقصى الجبل حتى اتصلوا بخيل الروم عند أنطاكية وغيرها من الجبل الأسود، فأعظَمَ المسلمون ذلك، حتى أنهم أصبحوا لا يستطيعون التجوّل في الجبال وغيرها من تلك النواحي إلّا بالساحل، ثم استفحل أمرهم فغلبوا على الجبال كلها، من لبنان، وسنير،[2] وجبل الثلج،[3] وجبال الجَوْلان، وأقاموا المسالح، وقطعوا السُبُل، ووصل الأمر بهم أنهم كانوا ينادون عبد الملك من جبل « دير مُرّان » في الليل.[4] ووصلت بعض السفن البيزنطية إلى قَيْساريّة

= على شفته ثم قال : لم يأذن لي فيك أمير المؤمنين. فقال له محمد : ويْحك، أوَ ما علمتَ أنّ لله تبارك وتعالى في كل يوم وليلة ثلاثمئة وستين لحظة، أو قال: نظرة، لعلّه أن ينظر إليّ منها بنظرة، أو قال : يلحظني بلحظة فيرحمني فلا يجعل لك عليّ سلطاناً بيدٍ ولا لسان، قال : فكتب بها الحجّاج إلى عبد الملك، فكتب بها عبد الملك إلى ملك الروم، وكان قد توعّده، فكتب إليه ملك الروم: ليست هذه سجيّتك ولا من سجيّة آبائك، ما قالها إلّا نبيّ، أو رجل من أهل بيت نبي ». (مروج الذهب ــ ج١٢٣/٣) وهناك نصوص أخرى مشابهة في : الطبقات الكبرى لابن سعد ١١٠/٥، ١١١، وربيع الأبرار للزمخشري ٧٢١/١، ٧٢٢، والعقد الفريد لابن عبد ربّه الأندلسي ٢٠٣/٢، والكشكول للعاملي البحراني ٤٦/١ و٢٤٤/٣

(١) البلاذري ــ فتوح البلدان ــ ق١٨٩/١، وأنساب الأشراف ٢٩٩/٥، والعبيد الأُبّاق كان أصلهم من اليونان، كما جاء في (دائرة المعارف الإسلامية)

(٢) سَنِير : بفتح أوله وكسر ثانيه، جبل بين حمص وبعلبك على الطريق وعلى رأسه قلعة سنير

(٣) جبل الثلج : يُقصد به جبل الشيخ أو جبل حرمون

(٤) دير مُرّان : بضم الميم وتشديد الراء. بالقرب من دمشق. والخبر في : تاريخ دمشق لابن عساكر (المخطوط) ١٢٠/١٥، وتهذيبه ٦٥/٦، والكامل لابن الأثير ٣٠٤/٤، وبغية الطلب لابن العديم ٢١٩/٧

فلسطين فشعّثوها وهدموا مسجدها كما خرّبوا مدينة عسقلان وأخرجوا أهلها منها.[1]

وصادف أنْ كان عبد الملك في ذلك الوقت خارج دمشق، وقد ترك عليها « عبد الرحمن بن أمّ الحكَم »، فبعث إليه يخبره بخروج الروم ووصولهم إلى المصّيصة[2] يريدون الشام. وأتاه مسير « مُصْعَب بن الزبير » من المدينة إلى فلسطين وكان ينازعه على المُلْك، ثم جاءه خبر دمشق، وأنّ عبيدها وأوباشها ودُعّارها[3] قد خرجوا على أهلها، ونزلوا الجبل، ثم أتاه أنّ مَن في السجن بدمشق فتحوا السجن وخرجوا منه مكابرة، وأنّ خيْل الأعراب أغارت على حمص وبعلبك والبقاع، وغير ذلك من الأخبار الخطيرة التي نُمِيَت إليه في تلك الليلة، « فلم يُر عبد الملك في ليلة قبلها أشدّ ضحكاً، ولا أحسن وجهاً، ولا أبسط لساناً، ولا أثبت جناناً منه تلك الليلة، تَجلُّداً وسِياسة للملوك ».[4] وكانت السنوات الأولى من حُكمه قد تميّزت بكثرة الثورات

---

(١) فتوح البلدان ٢٦٩/١

(٢) المَصّيصة : مدينة على شاطيء جيحان من ثغر الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس. (معجم البلدان)

(٣) دُعّار أو دُعّار : جمع ذاعر من أهل الدعارة وهو الخبيث والخائف أيضاً. والدعارة : الخُبْث والفسْق والشرّ أيضاً. والداعر : الخبيث. (محيط المحيط)

(٤) مروج الذهب ١٠٥/٣، ١٠٦، تهذيب تاريخ دمشق ٢٣٤/١، تاريخ الخلفاء للسيوطي — تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد — طبعة السعادة بمصر ١٩٥٢ — ص٢٢
وحُكي أن عبد الملك بن مروان كان من رجال أهله، فورد عليه في يوم واحد ثلاثة أخبار تسُوءه : أحدها أنّ طاغية الروم جاش على الثغور مثل عدد النمل كثرةً، ومنها إن عمرو بن سعيد المعروف بالأشدق خرج عليه في ناحية من الشام، ومنها إنّ مُصْعَب بن الزبير ورد العراق وقتل المختار، فقال الناس : اليوم تُعرف جودة رأي عبد الملك. فقال عبد الملك : أمّا الثغور فإنّ للإسلام ربّاً بنصره، وأمّا مُصْعب بن الزُبير فهو بالعراق وهو بعيد، وأما الأشدق فهو أقربهم مني داراً ورحماً، فهو أولاهم أن أقصده. (لطف التدبير — محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي — (ت٤٢١هـ) — تحقيق أحمد عبد الباقي — طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٩ — ص٢١٩، ٢٢٠)

والفِتَن، ومن ذلك ثورة أهل العراق، وعبدالله ومُصْعَب ابنَيْ الزبير، وعمرو بن سعيد الأشدق. فأقبل عبد الملك مُغِذّاً في سيره حتى دخل دمشق، ورأى أن يُسالم البيزنطيين في ذلك الوقت، حتى يتفرّغ للقضاء على خصومه الأقوياء في الدولة العربية، على أن يعود لمجابهة البيزنطيين في الوقت الملائم.

وأظهر عبد الملك براعة سياسية وحنكة أمام هذا الواقع المضطرب الذي يواجهه، وكان عليه أن يستغلّ ذكاءه مع الإمبراطور الصغير، فكتب إليه وفاتحه في إبرام الصلح، ووجّه إليه « حُمَيْد بن حُرَيث بن بحدل الكلبي » وكان على شرطة يزيد،[1] و« كُرَيْب بن أَبْرهة بن الصبّاح الحِمْيَرِي » بكتاب الصلح ومعهما الهدايا والألطاف، كما فعل معاوية حين أراد إتيان العراق،[2] فكان جواب (الأخرم) بالإيجاب على أن تكون مدّة الصلح عشر سنين. وتحقق ظنّ عبد الملك بضعف بصيرة الأخرم ففاتحَه بخذل الروم الذين في جبل لبنان ومن معهم ليقوم بسحبهم، على أن يتقاسم الاثنان خراج جزيرة قبرس.[3] وضماناً لذلك قدّم (الأخرم) رُهناء من أبناء الروم فأخذهم عبد الملك وصيّرهم في بعلبك، مُقتدياً بما فعل معاوية من قبل.[4] ووادَع القائد « لاو بن فلنط »[5] وبذل له في كل جمعة ألف دينار، على أن لا يُفسد في

(١) أنساب الأشراف ٦/٤

(٢) أنساب الأشراف ٣٠٠/٥

(٣) المنتخب من تاريخ المنجبي ــ بتحقيقنا ــ طبعة دار المنصور، طرابلس ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ــ ص٨٧، ويعلّق المؤرّخ البريطاني « فنلاي » على سحب المردة من جبال لبنان بقوله : لقد كان نقل المردة من الشام من أكبر الأخطاء التي ارتكبها حستنيان الثاني، فطالما بقوا أقوياء في جبال لبنان بالقرب من مركز قوة المسلمين، كان الإمبراطور قادراً على جعلهم عائقاً خطيراً في وجه المسلمين، وإذا كان قد جعلهم يستوطنون آسية الصغرى إلا أنه قضى على بسالة أولئك المحاربين الأقوياء تماماً. History of Grecce - I, P. 387.

(٤) فتوح البلدان ١٩٠/١، أنساب الأشراف ٣٠٠/٥، تاريخ اليعقوبي ٢٦٩/٢

(٥) هكذا يسمّيه المسعودي في « مروج الذهب ».

البلاد.[1] وقد نصّ المؤرّخ الحلبي «العَظِيمي» على أنّ عبد الملك صالح « الروم وجراجمة لبنان » لأنه خافهم.[2]

وفي الوقت نفسه، أوصى عبد الملك عامله على طرابلس « سُحَيْم بن المهاجر الرومي » ـــ وكان من الموالي ـــ أن يترصّد هذا القائد ويمنعه من الإفساد، وكذلك البطريق « قلقط ».[3]

والي طرابلس يتصدّى للروم ومَن والاهم

لبث « سُحَيْم بن المهاجر » يتحيّن الفرصة للانقضاض على قائد الروم، وراح يتسقّط أخباره، وبثّ عيونه بين الروم ليأتوه بالأخبار والمعلومات، ورصدوا « قلقط » حتى بلغه في سنة ٦٩ هـ/٦٨٩ م أنه في جماعة من أصحابه في إحدى النواحي، فأَعْمَلَ « سُحَيْم » الحيلة وتهيّأ بهيئة الروم، وتزيّا بزيّهم، وحمل سلاحهم، وجعل شعره كشعرهم، واتّخذ ملابسهم وتقلّد بالصليب، وتَشَبَّه ببطريق من بطارقة الروم، ثم قام عن طريق أعوانه ببثّ إشاعة في أماكن وجود الروم ومن معهم، مَفَادها أنه قادم من قِبَل الإمبراطور الأخرم إلى جبل اللُّكام في جماعة معه فغلب على ما هنالك. وانتخب « سُحَيم » عشرين رجلاً من ثقات جُنْده وكماتهم لمرافقته، وجهّز معه جيشاً من موالي عبد الملك وبني أُميّة، وخرج بهم من طرابلس ليلاً، فأمر الجُنْد أن يُمْسكوا

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٦٩، فتوح البلدان ١/١٨٩، أنساب الأشراف ٥/٣٠٠ و٣٣٥، تاريخ الطبري ٦/١٥٠

(٢) تاريخ حلب ـــ محمد بن علي العظيمي الحلبي ـــ تحقيق إبراهيم زعرور ـــ دمشق ١٩٨٤ ـــ ص١٨٩

(٣) يسمّيه الأستاذ محمد علي مكي (يوحنا) وهذا خطأ، وهو يعتمد على روايات متأخّرة لمؤرّخين محدثين مثل ابن القلاعي، والدويهي، وغيرهما، ولم يقف على تاريخ دمشق لابن عساكر، ولا مروج الذهب للمسعودي، وهما يصرّحان باسم القائد الروميّ. (أنظر كتاب : لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني، للأستاذ مكي ـــ ص٤٣)

السُبُل على الروم، وتوجّه بمن معه حتى أمسى على مقربة من القرية التي فيها البطريق « قلقط » فأكمنهم عندها في مكان خفِيّ، وأمرهم أن يكمنوا حتى الصباح، وسارَ بمفرده فدخل على البطريق وأصحابه وهم في كنيسة وقد جلسوا إلى الطعام، وقبل أن يجلس إليهم قصد مذبح الكنيسة فصنع ما يصنعه النصارى من التثليث، ثم جلس إلى البطريق الذي راح يسأله عن مهمّته وسبب قدومه، وكان « سُحَيْم » يجيد الروميّة إذ كان مَوْلىً روميّاً، فأخبره أنه أحد بطارقة الضواحي، وذكر بطريقاً يُشبهه، وأظهر مُمالأته، وتقرّب إليه بذمّ عبد الملك وشتمه،[1] ووعده أن يساعده عليه وأن يبذل له ما هو خير من الصُلْح الذي بينه وبين عبد الملك، وراح يخوّفه من غارةٍ قد يشنّها « سُحَيم » في وقت قريب، إذ كان مشهوراً بقتالهم، وقال له : « إني إنما جئت لما بلغني من جهاز « سُحَيْم » وما اجتمع به من الخروج إليك لأخبرك به، وأكفيك أمره إنْ أتاك ». فوثق به البطْريق وأنس إليه وقدّم إليه الطعام، ولكن « سُحَيم » مضى في خطّته فلفت نظر البطريق وأصحابه إلى أنهم لم يأتوا إلى هنا من أجل الطعام والشراب، وإنما لقتال العرب، ثم طلب منه أن ينتدب عشرة من أصحابه ليقوم معهم بحراسته ليلاً خوفاً من غارة مفاجئة يقوم بها عامل طرابلس في ليلته هذه، فانتدب إليه ما أراد، وخرج بهم « سُحَيم » إلى أقصى القرية وأقامهم على طريق أظهر لهم أنه يتخوّف منها، وجعل الحراسة بالتناوب فيما بينهم، فلما جاء دوره وتأكد من نومهم جميعاً امتشق سيفه وقتلهم، ثم دخل الكنيسة فقتل البطريق قلقط وقضى على من معه، وخرج بعد ذلك إلى أصحابه فأتى بهم فوضعوا سيوفهم فيمن بقي من الروم والجراجمة والأنباط وغيرهم، وأمر فنودي أنّ من أتاه من العبيد الذين انحازوا إلى الروم فهو حرّ ويُثَبَّت في الديوان، فانفضّ إليه خلق كثير منهم فكانوا ممّن قاتل معه، ونزل البلاء بالروم، وقتل منهم بشر كثير وفرّ قسم منهم عبر الجبال حتى أتوا

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣٠٤/٤

سُفُنهم عند وجه الحجر فركبوها وأبحروا هاربين إلى بلادهم.. وأمر أن يُنادَى بالأمان فيما بقي من الجراجمة والأنباط، فتفرّقوا في قرى حمص ودمشق ورجع أكثرهم إلى مدينتهم الجرجومة، وأتى الأنباط قُراهم، ورجع العبيد الى مواليهم، وأرسل « سُحيم » إلى عبد الملك يبشّره بسدّ الخلل، ووفى بوعده للعبيد ومن ضَوَى إليه فحرّرهم وثبّتهم في الديوان، وجعل لهم رَبْعاً على حِدَة حتى صاروا يُسَمَّون بـ« الفتيان ». وكانوا حتى القرن الثالث الهجري يُسَمَّون كَذلك. ولم يخرج الروم بعد ذلك في البحر إلى ساحل الشام في زمن عبد الملك، كما يقول « ابن عساكر » في تاريخه.[1]

* * * *

انصرف عبد الملك بعد ذلك إلى تحصين السواحل وتقوية المدن عن طريق زيادة سكانها، فقام ببناء حصن طرابلس الذي في الميناء من جديد وحصّنه.[2] وشملت عنايته حصون كلّ من صور وعكا وقد جدّدهما بعد خرابهما،[3] وقَيْسارية وعسقلان.[4] وكان استردّ قَيْسارية في سنة ٧١ هـ[5] وجدّد عمارة مدينة طرابلس وحصّنها وأسكنها المسلمين « فصارت آمنةً عامرةً

---

(١) فتوح البلدان ١٩٠/١، أنساب الأشراف ٣٠٠/٥، تاريخ دمشق (المخطوط) ١٢٠/١٥ — ١٢٢، و٥٩٥/١٢، تهذيب تاريخ دمشق ٦٥/٦، ٦٦، الكامل في التاريخ ٣٠٤/٤، بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم — (المخطوط) ٢١٣/٧ و٢١٩ و٢٢٠، نهاية الأرب للنويري ١٠٨/٢١، ١٠٩، خطط الشام لمحمد كرد علي ١٤٩/١، ١٥٠، تاريخ الأمة العربية للدكتور طلس ١٠٣، ١٠٤، الحدود الإسلامية البيزنطية لفتحي عثمان ٣٦٢/١

(٢) فتوح البلدان ١٥١/١، الخراج وصناعة الكتابة لقُدامة ٢٩٦، الكامل لابن الأثير ٤٣١/٢

(٣) فتوح البلدان ١٤٠/١ و١٧٠

(٤) من تاريخ التحصينات العربية — د. محمد عبد الهادي شعيرة — ص٤٣١، الخراج ٢٩٠، و٣٠٢

(٥) الكامل لابن الأثير ٣٤١/٤، نهاية الأرب ١٩٦/٢١

مطمئنة ».[1] ووضع لها نظاماً حربياً خاصّاً، فكان يرسل إليها جُنْداً من دمشق فيرابطون فيها خلال الصيف، أما في الشتاء فكان يوجّه إليها جُنداً من بعلبك التي كانت قاعدة رئيسية للمسلمين.

الموارنة في « لبنان »

يختلف المؤرّخون النصارى حول صحّة انتساب الطائفة المارونية الى الراهب مارون، فالسّريان اليعاقبة يقولون إن الموارنة ينتسبون إلى الراهب مارون الأنطاكي الذي عيّنه قاصد بابا رومة مطراناً على البترون وجبل لبنان ليحفظ أهلها وسواحل البحر تحت طاعة الحَبْر الروماني، ويدفع عنهم تعاليم اليعاقبة والروم المقيمين في تلك البلاد.[2]

ويقول « سعيد بن البطريق » المؤرّخ بطريرك الاسكندرية: إن الموارنة أخذوا اسمهم من مارون الراهب الذي كان في دولة « موريق » ملك الروم، وأتى بدعوة جديدة تقول إن للمسيح عيسى ــ عليه السلام ــ طبيعتان ومشيئة واحدة، وأن الذين قالوا بمقالته وتبعوه تكَنّوْا باسمه « مَوارنة »، وعندما مات مارون أقاموا على قبره في حماة ديراً على نهر العاصي سمّوه دير مارون. وقد أخذ بقول « سعيد بن البطريق » أغلب المؤرّخين الذين أتوا بعده،سواء كانوا من اليعاقبة،[3] أو من الملكية،[4] ومن بعض الموارنة أيضاً، الذين ينسبون الموارنة

---

(١) البداية والنهاية في التاريخ لابن كثير ٣١٣/١٣، عقد الجمان لبدر الدين العيني (مخطوط) ج٢٠ ق٧٢١/٤

(٢) أصل الموارنة، للبطريرك إسطفان الدويهي ــ تحقيق أنطوان ضوّ ــ طبعة إهدن ١٩٧٣ ــ ص٥٥

(٣) اليعاقبة : نسبة إلى أحد زعماء هذه الفرقة وهو « يعقوب البراذعي » الراهب، وهم أتباع المذهب الأرثوذكسي الذي يقول بأن للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة، وتقرّر ذلك في مجمع إفسس سنة ٤٣١ وهو مذهب الكنائس الشرقية.

(٤) الملكية أو الملكانية : هو المتواتر في الكتب بإحدى الفرقتين الدينيتين اللتين نشأتا في مصر =

إلى « دير مارون » وليس إلى شخص الراهب مارون. كما ينسبهم البعض الآخر من الموارنة إلى « مدينة مارون » التي بقرب أنطاكية.

غير أن البطريرك « إسطفان الدويهي » ينسبهم إلى القدّيس مارون الذي كان صديقاً ليوحنّا فم الذهب، في بلاد قورس.(١)

ويبدأ ظهور الموارنة في « لبنان » اعتباراً من سنة ٣٩ هـ/٦٥٩ م حين سمح لهم معاوية باللجوء إليه والإقامة فيه.(٢) وكانوا قد احتمكوا في ذلك العام إلى معاوية لفضّ نزاع عقائدي بينهم وبين طائفة اليعاقبة. وعندما استمرّ العداء قائماً بين الطائفتين وقعت حروب ثأرية بينهما أسفرت عن هجرة أقوامٍ من الموارنة من نواحي حماة إلى شمال « لبنان ».(٣) وكان دخولهم إليه للمرة الأولى منتقلين من وادي العاصي، فجعلوا ينتقلون إليه شيئاً فشيئاً في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي.(٤) وكانوا يلجأون إلى السُكْنَى في أعالي الجبال والأماكن الوعرة الصعبة المنال قرب المغاور والكهوف لتوفير الحماية لهم، نظراً لقلّة جمْعهم أمام غيرهم من النصارى الروم الملكية الذين كانوا يستوطنون المدن والأرياف والمناطق السهلية والساحلية إلى جانب العرب المسلمين.

= المسيحية قبل الإسلام، والثانية هي « اليعقوبية » وكان قيامهما نتيجة الخلاف المذهبي الذي قام بها وبسائر بلاد الدولة الرومانية الشرقية حول طبيعة المسيح وجوهره ومشيئته وأقنومه. والملكية على مذهب الكاثوليك وهو مذهب الطبيعتين والمشيئتين الذي اعتنقته كنيسة روما، قرّره مجمع خلقيدونية سنة ٥٤١ الذي حضره زوج الملك فسمّي المذهب بالملكاني.

(١) أصل الموارنة للدويهي — ص٦٩

(٢) أضواء توضيحية على تاريخ الموارنة د. زكي النقاش — ص٣٢ — بيروت ١٩٧٠

(٣) لبنان في التاريخ — د. فيليب حتي — ص٢٠٣

(٤) تسريح الأبصار — ج٢/٥١، أبو جعفر المنصور وعروبة لبنان — عجّاج نويهض — ص٨ — بيروت ١٩٦٢، دور العروبة في تراثنا اللبناني — د. زكي النقاش — ص٢٥،
L'Eglise maronite - Pierre Dib - P. 57 - Paris 1930

ويتّضح ممّا سلف أن المارونية والموارنة لم يظهروا في تاريخ « لبنان » إلا بعد الفتح الإسلامي بمدّة، ولا سبيل إلى المبالغة في دورهم بالتصدّي لحركة الفتح الإسلامي في جبل لبنان، كما تدّعي بعض المراجع المتأخرة، إذ لا وجود لهم في ذلك الوقت، وهم في الأصل من نواحي حماة، ولم يدخلوا لبنان إلّا في عهد معاوية كما مرّ.

وتذهب بعض الروايات إلى أنه في سنة ٤٧ هـ/٦٦٧ م ظهر في أنطاكية شخص يدعى « يوحنّا مارون »، وأن هذا الرجل انتقل إلى « لبنان » كأسقف للبترون في السنة التي هادن فيها معاوية الدولة البيزنطية، أي حول سنة ٥٧ هـ/٦٧٧ م وذلك لرعاية طائفة الموارنة خوف أن يتغلّب عليها الروم الملكيّون. وعندما جاء لبنان وجد أن الروم اتخذوا قرية أميون جنوب شرقي طرابلس مقرّاً لهم، فابتعد عنهم وأقام مع ابن اخته إبراهيم في « سمر جبيل » حيث التفّ حوله السُريان والموارنة في جبل لبنان.[1]

وأنه في سنة ٦٦ هـ/٨٥ ـــ ٦٨٦ م جاء إلى طرابلس الكردينال « هونوريوس » مُوفَداً من قِبَل « سركيس الأنطاكي » بابا روما، فقصده « يوحنّا مارون » بعد أن أصبح بطريركاً[2] واجتمع به فيها وتناظرا في النصرانية، ثم أبحرا معاً من طرابلس إلى روما حيث حصل « يوحنّا » على

---

(١) تاريخ الطائفة المارونية ـــ اسطفان الدويهي، نقلاً عن معتقد اليعاقبة ـــ ج١/٦٢ نشره رشيد الشرتوني، بيروت ١٩٨٠، تاريخ الموارنة ـــ ضوّ ـــ ج١/٣٠٤

(٢) بطرك أو بطريرك : كلمة يونانية مركّبة معناها رئيس القبيلة. وهي لقب يُلّقب به آباء أو رؤوس الأجيال المذكورة في الكتب المقدّسة من آدم إلى يعقوب. ثم بعد خراب القدس كانت لَقبا يلقب به رؤساء الدّين من اليهود في آسيا. وفي الأزمان الأولى للمسيحية صارت لقباً لأساقفة روما والقسطنطينية والإسكندرية وأنطاكية والقدس. ولهم السيادة على الأساقفة والمطارنة أو رؤساء الأساقفة في بطريركيّاتهم، ولكن سلطتهم لا تزيد إلّا قليلاً عن حقّ عقد مجامع ومناظرة عمومية على أعمال من هم تحت سلطتهم من الأساقفة. (دائرة معارف البستاني ـــ ج٥/٤٧٧)

درع التثبيت في بطركية أنطاكية.[1] وأنّ هذا البطريرك صرّح بأن للمسيح عليه السلام طبيعتين : بشريّة وإلٰهيّة، ولكنه ذو مشيئة واحدة، لالتقاء الطبيعتين في أقنومٍ واحد. وأنه لما لم يُرُقْ هذا القول لبعض البطاركة، أوعزوا إلى الإمبراطور البيزنطي ليعقد مجْمعاً عامّاً للكنيسة الشرقية، فاجتمع المجمع سنة ٦٨٠ م. في القسطنطينية، وأصدر قراراً بلعن وطرد كل من يقول بالمشيئة الواحدة أو الطبيعة الواحدة. وأنه لما كان أتباع « يوحنا مارون » ضعيفي الشوكة في ذلك الوقت، فقد نزحوا بأهلهم إلى شمال لبنان[2] فاعتصموا بالجبال، وحرصوا على أن يكونوا متأهّبين للقتال في أيّ وقتٍ، خوفاً من الدولة البيزنطية. ولكنهم في الوقت نفسه قلبوا ظهر المِجَنّ للمسلمين، واستفحل أمرهم ووصلوا في حركاتهم المزعجة إلى البقاع فقتلوا كثيراً من أهلها ونهبوها، وأتوا « وهم أُلوف » فنزلوا قلعة « قُبّ الياس » الواقعة على طريق بيروت ــ دمشق، واتّخذوها قاعدة لهم.[3]

وتواصل تلك الروايات قولها، إنه عندما عقد عبد الملك بن مروان الهدنة مع الإمبراطور « يوستنيانوس الأخرم » كان من ضمن شروطها إخراج هذه الطائفة من لبنان. وقد عمل « يوستنيانوس » على تنفيذ تلك الشروط، فقام بإخراج قواته من الشام ومن والاهم من الجراجمة، وعندما طلب من البطرك « يوحنّا » الحضور إلى بلاده فيمن معه اعتذر عن ذلك، فحنق عليه وأمر أحد قادته أن يسير بجيشه لمقاتلته. وأشاع أنّ الجيش متوجّه لقتال العرب، وأوصى القائد سرّاً أن يسير إلى « قُبّ الياس » متظاهراً بأنه موفد من قِبَل الإمبراطور ويحمل منه رسالة وهديّة من البطرك. فلقي ترحيباً وتكريماً، واجتمع بالبطرك

---

(١) أصل الموازنة ــ ص١٧٦، ١٧٧، أخبار الأعيان للشدياق ٢٠١/١

(٢) محاضرات في النصرانية ــ محمد أبو زهرة ــ ص١٤٢ و١٤٣ ــ القاهرة ١٩٦١

(٣) تاريخ الطائفة المارونية للدويهي ٩٩/١

وفاتحَه بأمر توحيد الجهود ضدّ المسلمين، وعندما واتته الفرصة، أشار إلى جُنْده إشارةً مُتَّفَقة، فوثبوا على « يوحنّا » وأتباعه وفتكوا بهم. واتّبع القائد البيزنطي الخدعة نفسها مع الأمير « سمعان » ابن أخت « يوحنّا »، بأنّ الإمبراطور يطمع في مساعدته، وأغراه على سحب اثني عشر ألفاً من جنوده واصطحبهم إلى القسطنطينية، فقام الإمبراطور « يوستنيانوس » بتوزيعهم في أنحاء آسية الصغرى !!(1)

ومن الواضح أنّ الحيلة التي استعملها القائد البيزنطي في قتل البطرك « يوحنّا » هي المكيدة نفسها التي نفّذها والي طرابلس « سحيم بن المهاجر » في قتل البطريق قَلقط. فهل يمكننا أن نتغاضى عن التشابه العجيب بين الحادثتين، وأن لا نقنع أنفُسَنا بأنهما حادثة واحدة، مع اختلاف الأسماء ؟

ونعود إلى متابعة روايات المؤرّخين النصارى التي تقول : إنه بعد مقتل البطرك « يوحنّا » مباشرة وانكسار عساكره أقام أتباعه عليهم أميراً منهم هو ابن أخت يوحنّا، ويُدعى « إبراهيم »، وزحفوا على عساكر الإسلام وتواقعوا في المروج فوق قبّ الياس فظفر بقائد العسكر وقطع رأسه وفتك بعساكره وشتّتهم وزحف بعسكره نحو بلاد أرمينية وهدم السدّ النحاسي(2) واجتاز من هناك إلى بلاد الأتراك ثم عاد إلى بلاده مظفَّراً.(3)

وهكذا وصل الخيال بتلك الروايات إلى جعل فئةٍ لا وزن لها عسكرياً بعد هزيمتها وتشتيتها في البلاد وقتْل قائدها ــ على حدّ روايات المؤرّخين

---

(1) أخبار الأعيان للشدياق ٣٠٢/١ و٣٠٣، وآراء وأبحاث للدكتور أسد رستم ــ ص٣٨ ــ منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٦٧.

(2) تعبير أطلقه مؤرّخو اليونان على منطقة الثغور المنيعة الحاجزة بين المسلمين والبيزنطيين.

(3) أخبار الأعيان ٢٠٣/١، وتاريخ سورية، للمطران يوسف الدبس ٢٩٢/٥، والروم وصلاتهم بالعرب للدكتور أسد رستم ٢٦٥/١، بيروت ١٩٥٥

أنفسهم ــ منتصرة ومسيطرة على لبنان، فتذهب الرواية المزعومة إلى أن تلك الفئة زحفت على عساكر الإسلام وقطعت رأس قائدها وفتكت بها وشتّتها !!

فمن هو ذلك القائد المسلم المقتول ؟ وكيف يُبرّر قيام تلك الشرذمة بمحاربة دولتين كبيرتين فتهزم المسلمين، ثم تزحف إلى داخل الدولة البيزنطية عبر بلاد الشام العربية فتنتصر على الروم ثم تعود إلى « بلادها » مظفَّرة !!؟

ونظلّ مع تلك الروايات التي تتابع فتقول : إنّ إكليروس[1] القسطنطينية لما بلغهم مُناداة البطرك « يوحنّا مارون » بالطبيعتين والمشيئتين (كذا) التمسوا من الإمبراطور يوستنيانوس أن يتهدّده. فالتجأ « يوحنّا » إلى دير مار مارون عند نهر العاصي، وعندما طلب يوستنيانوس من قائده « ليون » أن يسير للقبض عليه، رفض ذلك بحجّة أنّ الموارنة كانوا أعواناً له في حربه مع العرب، فأمر يوستنيانوس بحبْسه، وأمر قائديه : « موريق » و« مورقيان » بالخروج في الجيش لقتال « يوحنّا » وأشاع أنّ الجيش متوجّه لقتال العرب، ولكن « يوحنّا » لم تنْطل عليه هذه الحيلة إذ أرسل إلى ابن أخته يستنجده فأمدّه باثني عشر ألف مقاتل ونقله إلى « سمرجبيل ».[2] فنقل البطريرك « يوحنّا » معه من دير حماه هامة القدّيس مار مارون وبنى له هيكلاً وديراً في بلدة كَفَرْحيّ شرقي البترون.[3]

---

(١) إكليروس : بالفرنسية Clergé من « كليروس » باليونانية ومعناها قُرعة أو قسْم أو ميراث، اسم يُطلق على خَدَمَة الدين عند النصارى، سُمُّوا بذلك إشارة إلى كونهم قسم الربّ أو ميراثه. (دائرة معارف البستاني ــ ج٤/١٤٦)

(٢) بلدة فيها قلعة بأعمال البترون

(٣) أصل الموارنة، للبطريرك الدويهي ــ ص٨٢ و٨٣، ومن المستهجن أن بعضهم أثبت الرويات الضعيفة نقلاً عن المؤرخين المحدثين دون أن يتثبّت منها أو يناقشها وكأنها حقيقة واقعة، فقد ذكر الأستاذ محمد علي مكي في كتابه (لبنان ٤٦) أن الإمبراطور أرسل القائدين موريق وموريقان لمطاردة الموارنة في لبنان والقبض على البطريرك الماروني مار يوحنا مارون ! وأن القوة البيزنطية لحقت بالبطريرك الهارب، فاصطدمت في أميون بقوات من الموارنة وكانت نتيجة المعركة مقتل القائدين البيزنطيين ! (ص٤٧)

وتضيف رواية للشدياق ما نصّه :

« وسنة ٦٩٤ (٧٤ ــ ٧٥ هـ) وصل « موريق » و« مورقيان » القائدان إلى سورية وحملا مع جيوشهما على دير مار مارون عند العاصي وقتلوا منه خمسماية راهب وهدموا بناءه وجعلوه قاعاً صفصفاً. ثم تحوّلوا من هناك إلى قنّسرين والعواصم وأذاقوا ساكنيها كأس الحِمام واستباحوا ما وجدوه وهدموا المساكن ولم يعفوا عن أحدٍ من تابعي البطرك « يوحنّا ». ولم يزالوا كذلك إلى أن دخلوا طرابلس (كذا) وانتشروا في صحارى المدينة، فاندهش منهم ساكنوا الكورة وخضعوا لرأيهم خوفاً ورهبة، ثم ضربوا خيامهم ما بين أميون والناوس. فوردت لاستقبالهم أكابر تلك النواحي وقتلوهم (كذا) بالترحيب وقدّموا لهم العلايف والعلائق وطلبوا منهم الأمان. واستمهلوهم بينما يتكلّمون مع الأمراء والمقدَّمين في شأن أداء الطاعة، فأجابوهم إلى سؤالهم وأقنعوهم بالأمان رغبة الطاعة.. ». ولما تواصل قدوم العسكر البيزنطي إلى لبنان خاف الموارنة وابتهلوا إلى الله مستغيثين، فاستجاب لهم بأنْ وفد عليهم رسول من قبل « لاون » القائد يخبرهم بخروجه من السجن، وأنه قبض على الإمبراطور وقطع أنفه ونفاه، وأذِن لهم أن يحاربوا الجيش الذي جاءهم. فتشجّعوا ووثبوا على الجيش فحصدوه بسيوفهم وقتلوا قادته ولم ينج منه إلا القليل، « فالذين انقادوا لملك الروم سُمُّوا ملكيّة[1] نسبة إلى الملك يوستنيانوس، والذين انقادوا للبطرك يوحنّا مارون تغلّب عليهم اسم موارنة ».

ويختم الشدياق رواياته بعد ذلك بقوله :

إنه في سنة ٦٩٩ م (٨٠ هـ) أرسل الإمبراطور « طيباريوس » عساكره لغزو بلاد الشام ومحاربة العرب الذين دخلوها، وكتب إلى أمير جبل لبنان « سمعان » !! ليُنجده بعساكر الموارنة، فأجابه إلى ذلك وأرسل

(١) سبق التعريف بالملكية قبل قليل

« جيوشه » !!، واصطدم الجيشان بالعرب واستظهروا عليهم وهزموهم وقتلوا منهم ١٢٠٠ نفر، فرفع الإمبراطور من شأن الأمير سمعان، وأرسل إلى البطرك « يوحنّا » !! هديّة ملكية عربون المحبّة. ولما عاد يوستنيانوس إلى عرشه وشى أصحابه بالبطرك « يوحنّا » لما فعل بجيشه، وما قتله من القادة، فلم يُصْغِ إليهم.. ».[1] إلى آخر تلك الروايات العجيبة.

إنّ المفارقات والتناقضات تكتنف تلك الروايات المتهافتة، ففي إحداها نجد أنّ الإمبراطور يطلب القبض على البطرك « يوحنّا » لمحاكمته على مذهبه. وفي رواية أخرى نجد الإمبراطور يأمر قائده بالإنفراد بالبطرك وقتْله، ففعل !

فأيّ الروايتين نصدّق ؟

ثم نقرأ الرواية الثالثة فنجد فيها أنّ البطرك ما يزال حيّاً وأنه لم يُعتَقَل أو يُقْتَل، بل بالعكس من ذلك فإنه يقوم بالفتك بالجيش الإمبراطوري وقَتْل قائده، وأنّ أتباعه الإثني عشر ألف مقاتل لم يُوزَّعوا في أنحاء الدولة البيزنطية، وإنما كانوا هم الذين فتكوا بجيش الإمبراطور !

والأهمّ من ذلك كله، فإنّ تلك الروايات تبالغ في سطْوة البيزنطيّين، فتراهم يصولون ويجولون في أنحاء الشام، ويضربون خيامهم بالقرب من طرابلس، بل يدخلونها. وهذا يعني فيما يعنيه وجود دولة واسعة السلطان نافذة السطوة والسيطرة في منطقة شاسعة من بلاد الشام إبّان قيام الدولة الأموية تصول وتجول وتعتدي وتُرْهب وتُرْعِب دون أن تقدر هذه الدولة الفتيّة على منعها وإيقافها عند حدّها، وترى نفسها مضطرة إلى الإلتجاء إلى ملوك الروم للقيام بهذه المهمة، ويرسل هؤلاء جيوشهم إلى قلب بلاد الشام ويقومون بالمهمّة

(١) أخبار الأعيان ــ ج١/٢٠٤ و٢٠٥

ويُبْعِدون اثني عشر ألفاً من رجال الحرب من « المَرَدَة » بالحيلة أو بالقوّة، ويعودون كما دخلوا بسلام. ولا يقف الأمر عند هذا الحدّ، فإن ملك الروم يرسل في ظروف خلافٍ دينيٍّ جيشاً يقتل نصارى بلاد الشام ويدمّر أديرتهم في سورية، ويصل إلى طرابلس لإرغام الموارنة على اتّباع مذهب المشيئتين... إذ كيف يُعْقَل أن يدخل جيش بيزنطيّ بلاد الشام فيعيث في شمالها، ثم يصل إلى طرابلس بعد أن يخرّب ويدمّر ويقتل النصارى، ويعمل للقضاء على البقيّة الباقية منهم دون أن يكون قد اصطدم بقوّات الدولة الأموية، ومع ذلك لم يحاول بسْط سلطانه على بلاد الشام كلها ؟[1]

ودحْضاً لتلك الروايات لدينا ردود على بعض ما جاء فيها.

فها هو البطريرك اسطفان الدويهي يقول بعد روايته عن قدوم جيش يوستنيانوس في طلب يوحنّا البطرك، وبصراحة حول الملكيّين والموارنة : إنّ الملكيّين ينتسبون إلى الملك يوستنيانوس وليس إلى موريق ومورقيان القائدَين « لأنهما لم يدخلا معاملة طرابلس وليس لهما بها من عين ولا أثر ». [2]

ويردّ الأستاذ فؤآد قازان على تلك الروايات أيضاً، وخاصّة حول دير مار مارون، وأنّ عساكر يوستنيانوس قتلت هذا أو ذاك العدد من الرهبان (قيل ٣٥٠ وقيل ٥٠٠ راهباً) فيقول : إنّ هذا قول يصعُب تصديقه لسبب واحد، وهو أنّ جيوش الخليفة الأمويّ عبد الملك، بعد مهادنة البيزنطيّين، تمكّنت من دحر جيوش يوستنيانوس الثاني في كيليكيا[3] سنة ٦٩٢ م. فهل من

---

(١) العرب والعروبة، لمحمد عزّة دَرْوَزَة ـــ ج٣/٤٧٣ ، وتاريخ الجنس العربي، له أيضاً ـــ ج٨/٢١٥ ـــ طبعة صيدا ١٩٦٢، وعروبة لبنان ـــ لمحمد جميل بَيْهُم ـــ ص١٨ ـــ بيروت ١٩٦٩

(٢) تاريخ الطائفة المارونية، للدويهي ـــ ج٢/٣٤٥

(٣) كيليكيا : كورة في إقليم الثغور في أرض أرمينية من ثغورها المصّيصة. (معجم الخريطة التاريخية ـــ ص٩٩)

المعقول أنّ هذا الدير العظيم الذي تتجاوز غُرَفه ٨٠٠ غرفة يُعاد بناؤه بسرعة القرن العشرين وأكثر بعد أن أصبح قاعاً صفصفاً ؟

وهل من المعقول كذلك أن يبلغ جيش الملك في أواخر الربيع إلى سوريا للوثوب على الدير ؟

فلو كان الدير على الساحل لهان الأمر باستعمال أسلوب المفاجأة القرصنية. أمّا في وَضَح النهار، فهذا من الصعب تصديقه، خصوصاً وأنّ الجيوش العربية كانت ظافرة.[1]

وها هو الأب بطرس ضوّ يعترف أيضاً بأنّ إمبراطور الروم لم يكن باستطاعته أن يّرسل جيشاً إلى « سوريا ولبنان » جَهْراً بدون موافقة العرب، ويذهب إلى أنّ وصول جيش الروم كان عن طريق مكيدة حبكها الإمبراطور والخليفة معاً، فيقول : « والحقيقة أنّ المكيدة جرت بتواطؤ الروم والعرب معاً، إذ لم يكن باستطاعة ملك الروم أن يرسل جيشاً إلى سوريا ولبنان جهْراً بدون موافقة العرب، وليس من المستبعد أن يكون سُحَيْم بن المهاجر ذاته تظاهر بحيلة حبكها ملك الروم والخليفة معاً بأنه قائد أتى من قِبَل الروم لمساندة المَرَدَة ضدّ عبد الملك ».[2]

وإقرار الأب ضوّ بأنّ سحيم بن المهاجر هو الذي نفّذ المكيدة يُثْبت أنّ عامل طرابلس كان له الدور الرئيس في ضرب الخارجين على الدولة العربية من البيزنطيين الروم، والجراجمة والأنباط والمَرَدَة والعبيد الأُبّاق. وليس صحيحاً دخول القوات البيزنطية إلى بلاد الشام بموافقة عبد الملك بدليل أنّ سُحَيماً قتل قائدهم البطريق قلقط. وهذا ينفي بالتالي دخول الجيوش البيزنطية مدينة طرابلس والانتشار في صحاريها !!

---

(١) لبنان في محيطه العربي — فؤآد قازان — ج١/١٣٣ و١٣٤ — بيروت ١٩٧٢

(٢) تاريخ الموارنة — بطرس ضو — ج١/٢٩٨

والأطرف من هذا كلّه، ما جاء في « زجلية ابن القلاعي » التي لها أهميّة لا تُقدَّر عند مؤرّخي النصارى في « لبنان »، حيث يقول فيها إنّ القادة و« المقدَّمين » من النصارى هم الذين قتلوا قائد الموارنة في بلدة « قبّ الياس » لأنه كان منصرفاً إلى اللهو والمُجُون، بحيث كان سكراناً مخموراً، ويشهد في مجلسه رقصات الصبايا !!

ولا بأس في إيراد بعض أبيات تلك الزجليّة هنا، للدلالة على التناقضات العجيبة في الروايات التي حيكت حول هذا الموضوع، وهي باللهجة العاميّة :

سكن الملك في بسْكنْتا[1] وأرسل العساكر في بَغْته
نهب البقاع في فرْد نكته وقتل رجاله مع النسوان
وطلع سكن في قبّ الياس ورتّب عسكر مع حرّاس
والبقاع تحت حافر خيله انداس وطلعت أخباره للسلطان[2]
بَعَت له خلعه مع قُصّاد واطّمّنْ واكل معهم زاد
عسكر وراهم متجرّد كبسوه[3] في تلك الأطمان
قتلوه وانقتل مع العسكر وانقتل كتير من الأُخر
واعطون في قبّ الياس نار وملكون البقاع من تلك الآن
سبب ذلك كان المسكر ورقصة صبيّة في المحضر
سمعوا مقدّمين العسكر حلّوا الطاعة والأَيمان

(١) بسْكنتا : بلدة جبلية شرقيّ بيروت، تبعُد عنها ٤٥ كيلومتراً، وترتفع عن سطح البحر ١٣٠٠ متراً. (إعرف لبنان — إعداد عفيف بطرس مرهج — ج١ (دون ترقيم للصفحات) قضاء المتن.

(٢) لم يوضح ابن القلاعي من هو المقصود بالسلطان، إن كان ملك الروم، أم خليفة المسلمين.

(٣) في النص المطبوع وردت « بكسوه »، والصحيح ما أثبتناه.

اتخلّون عنـــه حتـــى قتلـــوه وجسده في قبّ اليـاس دفنـوه
واسموا في التاريخ ليس كتبوه لاجل انـه مات وهـو سكـران[1]

* * * *

هذا، ومما يثير الشكّ في صحّة تلك الروايات، أنّ المصادر والمراجع العربية المعتَمَدَة لا تشير من قريب أو بعيد إلى ذلك، وقد درج المؤرّخون المسلمون على إيراد جميع ما يصل إليهم من أخبار وأحداث دون إغفالٍ لأمر، سواء كان للمسلمين أو عليهم، بل إنها على العكس من ذلك تتحدّث عن جولاتٍ من الصراع الحربيّ بين الدولتين في تلك الفترة من التاريخ بالذات.

ففي سنة ٧٣ هـ/٦٩٢ م غزا الروم صيفاً « محمد بن مروان »، كما حدثت في هذه السنة أيضاً معركة كبيرة من ناحية أرمينية خاضها « عثمان بن الوليد » وهو في أربعة آلاف، والروم في ستّين ألفاً، فهزمهم وأكثر القتل فيهم.[2]

وفي سنة ٧٥ هـ/٦٩٤ م ــ وهي السنة التي تزعم الروايات السابقة أنّ البيزنطيّين وصلوا فيها الى طرابلس ــ غزا الروم « محمد بن مروان » في الصائفة في نواحي مرعش.[3]

---

(١) زجليات جبرائيل بن القلاعي، المتوفي سنة ١٥١٦م. ــ دراسة وتحقيق بطرس الجميّل ــ ص٩١ ــ منشورات دار لحد خاطر، بيروت ١٩٨٢

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢٧٢/٢، تاريخ الطبري ١٩٤/٦

(٣) تاريخ الطبري ٢٠٢/٦، وتاريخ خليفة ٢٧٢، ومرعش : مدينة ببلاد الثغور واقعة على نهر جيحان. (معجم الخريطة التاريخية ــ ص١٩٨

وعندما وصل الروم إلى الأعماق[١] خرج إليهم القائدان : « أبان بن الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيْط » و« دينار بن دينار » فقاتلاهم وانتصرا عليهم.[٢]

ولما قام « سُحَيم بن المهاجر » عامل طرابلس بتشتيت الجراجمة والأنباط ومن معهم من الروم، كان بينهم « ميمون الجرجماني » وهو عبد روميّ لبني أمّ الحكم أخت معاوية، فبلغ عبدَ الملك عنه بأس وشجاعة فجعله قائداً على جماعة من الجُنْد يرابطون في أنطاكية. فغزا « ميمون » مع « مَسْلَمَة بن عبد الملك » الطّوّانة[٣] وهو على ألف من أهل أنطاكية فاستُشْهد بعد بلاءٍ حَسَن، فاغتمّ عبد الملك بمُصابه وأغزى الروم جيشاً عظيماً طلباً بثأره.[٤]

وهناك من الحقائق التاريخية التي أُتت عليها المصادر العربية الإسلامية، وسكتت عنها المصادر اليونانية سُكوتاً مُريباً، ما يؤيّد قولنا، وتلك الحقائق لا نجدها في كتب التاريخ البَحْت، فحسب، بل في الكتب التي تُعتبر أكثر مصداقية وثقة، وهي كُتُب السُنَن والحديث.

ففي كتاب « السُّنَن » لسعيد بن منصور نقف على معلومات تاريخية بالغة الأهميّة والدلالة لم نجدها في أيّ مصدر يوناني، خاصّة وأنّ المعلومات تتعلّق بالدولة البيزنطية، أجد من الفائدة أن أعرض لها هنا للدلالة على الدور الخطير

---

(١) الأعماق: جمع عمق. والعَمْق ــ بفتح العين المهملة ــ كورة بنواحي حلب بالشام، وكان أولاً من نواحي أنطاكية ومنه أكثر ميرة أنطاكية. (معجم البلدان)

(٢) تاريخ خليفة ٢٧١، وتاريخ اليعقوبي ٢٨١/٢

(٣) الطّوّانة : بلد بثغور المصّيصة. (معجم البلدان)

(٤) فتوح البلدان ١٩٠/١، وعند الطبري أنّ غزو الطّوّانة كان سنة ٨٧هـ. وهذا يعني أنها بعد وفاة عبد الملك. والصحيح أنّ هذه الغزوة كانت سنة ٥٨هـ. كما قال ابن الكلبي.
وعُرف « ميمون » بالجرجماني لاختلاطه بأهل الجرجومة. (تاريخ دمشق (المخطوط) ٣١٦/٤٤) ويُعرف عند البيزنطيين باسم «Maiouma» (دائرة المعارف الإسلامية ١٥٣/١١)، وانظر تاريخ خليفة ٢٩١هـ. (حوادث سنة ٥٨هـ.)

والمؤثّر الذي مارسته الدولة العربية الإسلامية على عرش الإمبراطورية البيزنطية في أيام عبد الملك، إذ يَدِين الإمبراطور يوستنيانوس بالفضل للمسلمين في عودته إلى العرش البيزنطي بعد خلْعه ونفْيه.

ففي السنة ٧٦ هـ/٦٩٥ م حدثت ثورة ضدّ الإمبراطور، وجُدع فيها أنفُه ولِذا عُرِف بالأخرم، ونُفي إلى جزيرة « خرسون » في شبه جزيرة القرم.[١]

وإذا كانت المصادر التاريخية اليونانية تتحدّث عن إقامته في الجزيرة حتى سنة ٧٩ هـ/٦٩٨ م. ثم عن خروجه منها إلى إمبراطورية الخَزَر حيث استقبَله خاقانها بالترحيب والتشريف وزوّجه أخته، وما أثارت تلك التطوّرات من مخاوف لدى حكام القسطنطينية حيث طلبوا من ملك الخزر إبعاده أو تسليمه إليهم حيّاً أو ميتاً لقاء جائزة سنيّة، وفيما كان الملك ماضياً في تنفيذ المؤآمرة علمت بها أخته، فأخبرت زوجها يوستنيانوس، ففرّ بقارب صَيْد إلى منفاه القديم في الجزيرة، واستطاع بعد مغامراتٍ عدّة أن يبلغ الساحل الغربي للبحر الأسود وأن يقيم علاقات ودّية مع خاقان البلغار كيما يساعده في استعادة ملكه.

فإذا كانت المصادر اليونانية قد ذكرت ذلك، فإنها تقفز فجأة من سنة ٦٩٨ إلى سنة ٧٠٥ م لتتحدّث عن ظهوره أمام أسوار القسطنطينية مع خاقان البُلغار، حيث اقتحم العاصمة البيزنطية واستردّ عرشه في السنة ٧٠٥ م.[٢]

ولقد أغفلت تلك المصادر واقعة مهمّة حدثت في تلك الآونة، وهي مساعدة عبد الملك بن مروان للإمبراطور المخلوع على استعادة عرشه، وهذه المعلومة النادرة لا نجدها في كتب التاريخ المعروفة بالحَوْليّات، بل في

---

(١) الروم وصلاتهم بالعرب ١/٢٦٩، ٢٧٠ Ostrogorowski - P. 123, 124,
الدولة البيزنطية للدكتور السيد الباز العريني ١٤٧

(٢) The History of the Jewish Khazars - Dunlop - P. 172.

أحد كُتُب السُنَن والحديث، انفرد بها « سعيد بن منصور » (من القرن الثالث الهجري) ونصّها :

« حدّثنا سعيد قال : نا[1] إسماعيل بن عيّاش،[2] عن صفوان بن عمرو أنّ الروم حَرَبُوا[3] أصطيبان الأخرم[4] — وكان ملكهم — وألقوه في جزيرة من جزائر البحر، فمرّ به تجّار فعرفوه، فحملوه حتى أخرجوه إلى أرض حَوْران، فأتى محمد بنَ مروان فاستغاث به، وكان يدعوه « أخي »، فقال اصطيبان لمحمد بن مروان : أتأذن لي بالدخول والسير في أرضك حتى أنفذ إلى أرض الروم ؟ فقال : لا أستطيع أن آذن لك حتى يأذن لك أمير المؤمنين. فقال اصطيبان : إني قد عاهدت الله لئِن ردّني إلى ملكي لا أدع في أرض الروم مسلماً يصلّي القِبلَة إلّا أعتَقْتهُ، وجهّزته، على أن يقاتلوا معي، فاستأذن له محمد بن مروان عبد الملك بن مروان، فأذِن له، فعبر في أرضه حتى بلغ أرض الروم نحو أرمينية الرابعة، فاستنصر المسلمين، فقاتلوا معه حتى ظفِر بعدوّه من الروم، وجعل يقتل عدوّه وأصحاب شوكته حتى ظهر عليهم واستمكن من مَلْكهم، ودانت له أرض الروم، فأعتق عند ذلك أسارى المسلمين، أتى بهم من أرض الروم كلها فأعتقهم، وحملهم حتى بلغوا أرض قِنّسْرين، وأعطاهم خمسة دنانير، واستحسن ذلك عبد الملك والمسلمون ».[5]

---

(١) إصطلاح عند المحدّثين، وهو اختصار لكلمة « أخبرنا ».

(٢) محدّث من أهل حمص ومُفتيهم، وُلد سنة ١٠٦ وتوفي سنة ١٨١هـ. أنظر ترجمته ومصادرها في كتابنا : موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي — ج١/٤٧٨، ٤٧٩ رقم ٣١٦

(٣) حَرَبُوا : أي سلبوا ملكهم.

(٤) في المطبوع من سُنَن ابن منصور وردت « الأحزم » وهو تحريف. وأصطيبان يُقصد به « يوستنيانوس » أو « جوستنيان » ملك الروم.

(٥) سُنَن سعيد بن منصور (توفي ٢٧٧هـ.) — تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي — طبعة حيدر أباد ١٣٨٧هـ. — ق٢ من المجلد ٣٢٨/٣، ٣٢٩ رقم ٢٩٢١

وهكذا نرى أنّ الدولة العربية الإسلامية لم تكن في حال ضَعْفٍ إلى درجة أن تتجوّل جيوش الروم في أنحاء بلاد الشام وكأنها في بلادها. وهذا يدلّ على أنّ تلك الروايات التي ساقها المؤرّخون المُحْدَثون مُجافية للحقيقة التاريخية التي قرّرها المؤرّخون العرب والمسلمون في أوثق المصادر والمراجع، القديم منها والحديث.

مناقشة قضيّة انتقاض طرابلس على الأمويّين

لما كانت طرابلس بموقعها البحريّ الهامّ على الساحل الشامي محطّ أطماع البيزنطيّين، فإنّ هؤلاء لم ينقطعوا عن محاولاتهم للإستيلاء عليها، إلى أن انتقضت على الحكم الأمويّ بتحريض من الدولة البيزنطية، كما تقتضيه الوقائع في ذلك العصر.

ولكن، متى كان هذا الانتقاض ؟

حول حادثة انتقاض طرابلس، لدينا ثلاث روايات أَثْبَتَها البلاذُريّ في كتابه وذكرها على التوالي :

الرواية الأولى :

« .. ولي عبد الملك، فقدِم في أيامه بطريق من بطارقة الروم ومعه بشر منهم كثير، فسأل أن يُعْطى الأمان على أن يقيم بها ويؤدّي الخراج، فأُجيب إلى مسألته، فلم يلبث إلّا سنتين أو أكثر منهما بأشهُر حتى تحيّن قفول الجُنْد عن المدينة، ثم أغلق بابها وقتل عاملها، وأسر من معه من الجُنْد وعدّة من اليهود، ولحِق وأصحابه بأرض الروم، فقدر المسلمون بعد ذلك عليه من البحر وهو متوجّه إلى ساحل للمسلمين في مراكب كثيرة فقتلوه، ويقال : بل أسروه وبعثوا به إلى عبد الملك فقتله وصلبه ».

الرواية الثانية :

وسمعتُ من يذكر أنّ عبد الملك بعث إليه من حَصَرَه بأطرابلس، ثم أخذه سِلْماً وحمله إليه فقتله وصلبه. وهرب من أصحابه جماعة فلحِقوا ببلاد الروم ».

الرواية الثالثة :

« قال عليّ بن محمد المدائني،[1] قال عتّاب بن إبراهيم[2]: فتح أطرابلسَ سفيان بن مجيب. ثم نقض أهلها أيام عبد الملك، ففتحها الوليد بن عبد الملك في زمانه ».[3]

أما ابن عساكر الدمشقي فيُورد رواية واحدة تشبه رواية البلاذري الأولى، ولكنها تتضمّن تفصيلات أوفى منها، تقول الرواية :

« دخل رجل روميّ من أرض الروم يقال له « بقناطر » لحَدَثٍ كان منه بالروم، فأقبل بأهله وماله حتى استأمن فأُومن. فنزلها فلم يزل كذلك إلى زمن « عبد الملك بن مروان » فكان يقطع إليها بعثاً من أهل دمشق صيفاً، فإذا

---

(١) محدّث أخباريّ، بصْريّ سكن المدائن. وُلد سنة ١٣٥ وتُوفي سنة ٢٢٥هـ. له كثير من المصنّفات، منها « كتاب فتوح الشام إلى آخر أيام عثمان ». أنظر عنه في :
نور القبس المختصر من المقتبس، للمرزباني ـــ أختصره أبو المحاسن اليغموري ـــ تحقيق رودلف زلهايم، طبعة فيسبادن ١٩٦٤، والفهرست لابن النديم ١١٣، والكامل في ضعفاء الرجال، لابن عديّ ١٨٥٥/٥، وتاريخ بغداد ٥٤/١٢، والأنساب ١٣٧/٧، ومعجم الأدباء ١٢٤/١٤، واللباب ١٣٨/٢ و١٨٢/٣، والكامل في التاريخ ٢٦٢/٥، وسير أعلام النبلاء ٤٠٠/١٠، والعبر ٣٩١/١، وميزان الاعتدال ١٥٣/٣، والمغني في الضعفاء ٤٥٤، وتاريخ ابن الوردي، ومرآة الجنان ٨٣/٢، والبداية والنهاية ٢٩٩/١٠، والوافي بالوفيات ٤١/٢٢ رقم ٧، ولسان الميزان ٢٥٣/٤، والنجوم الزاهرة ٢٥٩/٢، وشذرات الذهب ٥٤/٢

(٢) من المجاهيل، لم أجد له ترجمة في كتب الرجال.

(٣) فتوح البلدان ١٥٠/١ و١٥١

أشتوا قفلوا وشتا بها فُرس بعلبك. فأقام بقناطر زماناً حتى خرج أهل بعلبك منها ولم يبق بها من المسلمين إلّا صاحب خراجها ورجلان معه فبينما هو كذلك إذ أتاه بقناطر في جماعة من أهل بيته فقتله وقتل صاحبيه، وأغلق باب المدينة، وأخرج من كان في الحبس، ثم قعد في مركبين من مراكب الصناعة، وأخذ ناساً من اليهود وانطلق بهم حتى أتى بهم صاحب الروم.. ».

ثم يواصل ابن عساكر روايته فيقول إنّ بقناطر التقى في طريقه بمركب للمسلمين كانت متوجّهة من عكا إلى قبرس بأمرٍ من صاحب الساحل، فاحتال على صاحبيها وأسرهما، فأقاموا في القسطنطينية مدّة من الوقت، حتى علم الإمبراطور بخروج سفن العرب للغزو، فوجّه إليها الروميّ بقناطر ومعه الرجلين المسلمين اللذين ادّعيا التنصّر ومعهم جماعة من أشراف الروم، وعندما التقوا بالسفن الإسلامية اجتمع إليهم المسلمون فأسروا بقناطر وأتوا به عبدّ الملك، فأمر بقتله. وقطع على فُرْس بعلبك خُمس مدينة طرابلس فسكنوها، وأرسلهم إلى غيرها من مدن الساحل، ففُتحت أطرابلس يومئذٍ عنوةً، فليس لأحدٍ ممّن فيها من الأعاجم حقّ ولا عهد ».[1]

ورواية ابن عساكر هذه مع مثيلتها عند البلاذري تُثير عدّة تساؤلات تجعلنا نشكّ في صحّتها، منها :

أولاً : إنّ حركة الانتقاض التي قام بها بقناطر الرومي في أيام عبد الملك هي صورة مكرّرة عن عمليّة التخريب التي قام بها الشابّان النصرانيّان أيام معاوية سنة ٣٢ هـ/٦٥٣ م وهو يستعد لموقعة ذات الصواري. فهل يعني ذلك أنّ العرب لم يتّعظوا من تلك الحادثة، حتى تتكرّر ثانية ؟

ثانياً : هل نستطيع أن نُغفل الإشارة إلى أنّ اسم البطريق، واسم الرجل الذي كان يعمل عنده الشابّان النصرانيان في طرابلس، هو اسم لشخصٍ

---

(١) تاريخ دمشق (المخطوط) ٧٧/١٦ و٧٨، التهذيب ١٨٤/٦ و١٨٥

واحدٍ هو « بقناطر » ؟! إنّ مفهوم رواية ابن عساكر هو : أنّ دخول الرومي « بقناطر » إلى طرابلس كان سابقاً لخلافة عبد الملك، أي في خلافة معاوية، أو « يزيد بن معاوية » (٦٠ ـــ ٦٤ هـ) أو « مروان بن الحكم » (٦٤ ـــ ٦٥ هـ)، فقد جاء في روايته : « ... فنزلها، فلم يزل كذلك إلى زمن عبد الملك بن مروان ».. !

وهذا التناقض مع رواية البلاذري الصريحة بأنّ ذلك تمّ في أيام عبد الملك يدعو للشكّ في صحّة الرواية، إذ أنّ اسم البطريق وتفاصيل حركته التخريبية تجعلنا ننصرف إلى الاعتقاد بأنها كانت في عهد معاوية. وأنّ هناك حلقة مفقودة في روايتي البلاذري وابن عساكر، خصوصاً، وأنّ مؤرّخاً متأخّراً عنهما يذكر صراحة أنّ قدوم البطريق إلى طرابلس كان في أيام معاوية »[1] مما يوحي بأنه اطّلع على نسخة من (فتوح البلدان) للبلاذري تذكر الحادثة في عهد معاوية وليس عبد الملك. وهذا يكثُر حدوثُه في النُّسَخ المتعدّدة ولا يحتاج الباحثون إلى أدّلة على ذلك.

أمّا المؤرّخ « ابن الفُرات » فيأتي برواية أخرى يقول فيها :

« .. وقيل إنّما تغلّب عليها وقتل من بها بعد وفاة أمير المؤمنين « عبد الملك » ! ثم فتحها ولده أمير المؤمنين « الوليد بن عبد الملك ».[2]

وهذه الرواية تتناقض أيضاً مع الرواية الثالثة للبلاذري في أمر تحديد من هو صاحب حركة الانتقاض وخروج طرابلس على طاعة الخليفة الأموي. هل هم أهلها، أم هو البطريق ؟

وإذا كان البطريق هو الذي قام بعملية الغدر بعامل المدينة وفرّ إلى

---

(١) الدُّرّة الزكية في أخبار الدولة التركية ـــ ابن أيبك ـــ ص٢٨٤ و٢٨٥

(٢) تاريخ ابن الفرات ٧٧/٨

القسطنطينية بأهله، فإنّ هذا لا يجعل طرابلس بمنأىً عن سلطة الخليفة، وليست بحاجة للفتح من جديد، إذ ليس فيها من يقاوم الدولة الأموية. والمنطقيّ — إنّ صحّة رواية ابن الفرات — أن يبقى البطريق الروميّ في طرابلس وأن يستمدّ المساعدة من الروم. وحين ذلك يصدُق القول إنّ المدينة انتقضت على الدولة الأموية، فاحتيج لمنازلتها وفتحها.

والدليل على عدم صحّة تلك الرواية هو ما جاء فيها من أنّ البطريق قتل عامل طرابلس عند حركته، وقد مرّ معنا أنّ العامل على طرابلس في عهد عبد الملك كان سُحَيم بن المهاجر، وقد رأينا دوره في أحداث سنة ٦٩ هـ/ ٦٨٩ م وسنرى دوراً آخر له في تاريخ طرابلس في عهد الوليد، فمن هو عامل طرابلس الذي قُتل ؟ وكيف يذكر ابن كثير أنّ طرابلس صارت في عهد عبد الملك « آمنة عامرة مطمئنّة »[1]؟

نتيجة لذلك كلّه، نقرّر أنّ حركة الانتقاض في عهد عبد الملك غير معقولة لتشابهها البيّن مع الحركة التي وقعت في عهد معاوية، فهما حركة واحدة جرت في عهد معاوية كما أسلفنا، وليست حركتين كما ذكر الدكتور سالم في كتابه.[2]

(١) البداية والنهاية

(٢) طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي — أنظر : صفحتي ٣٧ و٣٩

« لبنان »
في عهد الوليد بن عبد الملك
(٨٦ ــ ٩٦ هـ./٧٠٥ ــ ٧١٥ م.)

حركة الجراجمة

عاد الجراجمة في أيام الوليد بن عبد الملك إلى إظهار العداء للمسلمين، واجتمعوا في مدينتهم، واتّصلوا من جديد بالدولة البيزنطية في سنة ٨٩ هـ/٧٠٨ م. فأتاهم قوم من الروم من قِبَل الإسكندرونة وروسّس (Roussos) وتجهّزوا للقيام بغارات على أطراف الدولة العربية، فوجّه الوليد إليهم « مَسْلَمَة بنَ عبد الملك » في جيش كثيف، وحاصرهم حتى فتح مدينتهم[1] وقتل منهم مقتلة عظيمة. ثم أعطى الأمان لمن بقي منهم، على أن :

١ ــ ينزلوا بحيث أحبّوا من الشام.
٢ ــ يُجرَى على كل امرئ منهم ثمانية دنانير.
٣ ــ يُجرَى على عيالهم القوت من القمح والزيت، وهو مُدّيان من قمح وقسطان من زيت.

---

(١) يسمّيها خليفة بن خياط « جرثومة » ويذكر أنّ الموقعة سنة ٨٨هـ. (تاريخ خليفة ٣٠٢)

٤ ـــ لا يُكرَهوا هم ولا أحد من أولادهم ونسائهم على تَرْك النصرانية.
٥ ـــ لا يُكرَهوا على ارتداء لباس المسلمين.
٦ ـــ لا يؤخذ منهم ولا من أولادهم ونسائهم جزية.
٧ ـــ أن يغزوا مع المسلمين فيُنفَّلوا أسلاب من يقتلونه مبارزة.
٨ ـــ أن يؤخذ من تجاراتهم وأموال موسريهم ما يؤخذ من أموال المسلمين.

ثم قام « مَسْلَمَة » بتخريب مدينتهم ونقل من بقي من أهلها وأسكنهم جبل الحوّار وسنح اللولون[1] وعمق تيزين. وانتقل بعضهم إلى حمص فسكنوها. أما بطريق الجرجومة فتحوّل مع جماعة إلى أنطاكية فنزلها، ثم هرب بعد ذلك إلى بلاد الروم.[2]

ويظهر أنّ بعض الجراجمة والأنباط أظهروا صدق عهدهم تجاه المسلمين لبعض الوقت حيث نراهم يشكّلون جزءاً من عسكر « مَسْلَمَة بن عبد الملك » حين خرج بأهل الشام لقتال « يزيد بن المهلّب » في البصرة سنة ١٠١ هـ/ ٧٢٠ م.[3]

البيزنطيّون يهاجمون طرابلس

في الوقت الذي تحرّك فيه الجراجمة مع الروم في عهد الوليد، تعرّضت طرابلس لحملة بحرية، انفرد بذكرها « ابن عساكر الدمشقي » وتفصيل ذلك، أنّ البيزنطيّين جهّزوا أسطولاً ضخماً وسيّروه إلى ساحل الشام بقيادة بطريق

---

(١) اللولون أو ليلون هو جبل سمعان اليوم.
(٢) فتوح البلدان ١/١٩٠ و١٩١، وتاريخ اليعقوبي ٢/٢٨٣
(٣) الكامل في التاريخ ٥/٧٥

يُدعَى « دواميس »، فقصد ساحل « لبنان » وأرسى عند وجه الحجر (رأس الشقعة) وأمر القائد بترتيب (٥٠) خمسين سفينة للمرابطة في ذلك الساحل وحراسته وتأمين مؤخّرة بقيّة أسطوله وقوّاته، وتقوم في الوقت نفسه بضرْب حصار بحريّ لمنع أيّ أسطول قد يأتي من موانىء بيروت وصيدا وصور وعكا، لنجدة أهل طرابلس، وللإستيلاء على أيّة سفينة تحمل الغذاء والقوت. واتّفق مع قادة القوّة المرابطة على إشارةٍ بينه وبينهم، بأن يترقّبوا رؤية نيران مشتعلة في ناحية طرابلس، فإذا بَدَت لهم كان ذلك إيذاناً بفتح المدينة. ثم سار ببقيّة الأسطول إلى طرابلس فوصل إلى المينا دون مقاومة تُذكر من أسطولها، إذ صادف أن وصل في وقتٍ كان فيه أسطول طرابلس قد خرج للغزو في البحر، ولم يكن في المينا سوى عددٍ قليلٍ من المقاتلين وفيهم « سحيم بن المهاجر » ففزع إليه عامل المدينة واستنجد بدهائه وخبرته في مقاومة البيزنطيين، فأمر سحيم مُنادياً ينادي بأن لا يصعد أحد إلى السور حتى لا ترهبهم سفن البيزنطيين وتُوهنهم كثرتهم وجُرأتهم في الدخول إلى المينا، وهم فئة قليلة. ثم نادى بأنّ الصلاة جامعة، فاجتمعوا في المسجد الجامع، فقام فيهم خطيباً وحثّهم على الصبر والجلاد والثبات أمام العدوّ، وأمر فأجرى إحصاءً لعدد الرجال المقاتلين، فبلغوا ١٥٠ مائة وخمسين مقاتلاً، سوى أهل السّوق، والضعاف من الناس. ثم أمر بقياس الشُّرفات الواقعة بين الأبراج، ووضع خطّة لتوزيع عددٍ معَيّن من المقاتلين بين الشُّرفات والأبراج، ومن يقوم على باب الميناء ومن يكون على بابها في البحر.

ورأى سُحيم أنه لا يمكنه دفْع الخطر البيزنطيّ إلّا عن طريق الخديعة وإظهار أنّ المدينة محصَّنة وقويّة بمقاتليها. وتنفيذاً لخطّته هذه أمر بإحضار أنواعٍ من الثياب بألوان مختلفة، وقام بتوزيع الثياب التي من لونٍ واحد على المقاتلين والناس وشحن بهم أحد الأبراج ووزّعهم على شُرفة السّور بينه وبين برج آخر، وأمرهم أن يُظْهروا أنفسهم للعدوّ فيرى كثرتهم، وامتلاء البرج بهم، وبعد قليل أنزل الناس والمقاتلين وأبقَى منهم عدداً قليلاً من المقاتلين

ووضع عليهم قائداً، فرابطوا في البرج، ثم ألبس الناس والمقاتلين ثياباً ذات لون آخر فصعدوا البرج الثاني وأظهروا أنفسهم للعدوّ، ولبثوا فترة ثم نزلوا وبقي فيه عدد آخر من المقاتلين وعليهم قائد منهم، وهكذا فعل في بقيّة الأبراج والشُرُفات. ثم قام بتوزيع من بقي من المقاتلين للدفاع عن باب المينا الشرقي، وباب البحر. وكتب إلى عمّال المدن العربية ليُنجدوه بقوّاتهم.

ونجح سحيم في تدبيره واستطاع أن يخدع البيزنطيّين الذين رأوا أنّ من العَبَث بقاءهم في عرض البحر، إذ كانت المدينة مفتوحة من جهة الشرق حيث تصلها الإمدادات من النواحي القريبة، فنزلوا إلى البرّ حيث كان يقع برج سفيان على مسافة ميلين بين المينا والنهر، ويبدو أنّ البرج لم يكن في حالة جيّدة في ذلك الوقت، ولذلك قاموا بحفر خندق بالقرب منه وبنوا عنده سوراً يحميهم من قذائف المجانيق والنشّاب. وعملوا على محاصرة المدينة من الشرق ومنع الإمدادات عنها. وأمدّتهم الجبال المجاورة بالأخشاب اللازمة فصنعوا منها دبّابات[1] لحماية المهاجمين وزحفوا بها نحو الباب الشرقي للمدينة، وصدموا بها البرج الشرقيّ، واستطاعوا أن يحدِثوا ثغرة فيه، ولكن أهل طرابلس استطاعوا أن يصدّوا المهاجمين بعد معركة طاحنة تمّ فيها أسر البطريق « دواميس »، ولم يتمكّن البيزنطيون من اقتحام المدينة رغم فتح ثغرة في أحد أبراجها، إذ كانت الأبراج محصّنة بحيث يدخل بعضها إلى بعض، ولا منفذ لها إلى المدينة، واضطروا أن يتراجعوا إلى مُعَسكرهم قرب النهر.

---

(١) دبّابات: جمع دبّابة، شبه بُرجٍ متحرك، يتكوّن أحياناً من أربع طبقات من الخشب والرصاص. والحديد والنحاس، يتحرّك على عجلات، ويستقرّ الجنود داخله في طبقاته لمهاجمة الحصون وتسلّق الأسوار. وتتكوّن الدّبّابة في أبسط صُوَرها من الخشب المكسوّ بالجلد المنقوع في الخلّ لوقايتها من الاحتراق.

فشل الحملة البيزنطية

فيما كان البيزنطيّون مقيمين على قتال المدينة وحصارها، أقبل والي بيروت وأمير الساحل « أبو العلاء عبد الرحمن بن سُليم الكلبي »[1] في جماعة من أهلها لنجدة أهل طرابلس، كما قدم « الصقر بن صفوان »[2] في ستّة آلاف من أهل حمص، ونزلوا مرجَ السلسلة غربيّ جبل تُربل، فخرجت فرقة من البيزنطيّين لتقطع الطريق على أهل حمص، وتوجّهت طائفة أخرى إلى الكنيسة القائمة بظاهر طرابلس فوجدوا جماعة من اليهود يختبئون داخلها، فحجزوهم فيها وأشعلوا النيران في جَنَباتها، فمات من فيها حرْقاً، وارتفع لهيب النيران والدخان الأسود في الجوّ حتى رآه البيزنطيّون الذين عند وجه الحجر (رأس الشقعة) وكانوا يقطعون الطريق بين طرابلس وبيروت، فأقبلوا بسُفُنهم نحو طرابلس ظنّاً منهم أنّها سقطت بيد قائدهم، وما إن وصلوا عندها حتى علموا بوقوع البطريق « دواميس » في قبضة المسلمين، فأَعْظَمُوا ذلك وانحلّت عزائمهم، وتمكّن « عبد الرحمن الكلبيّ » والي بيروت من اجتياز العقبة التي كان يحرسها البيزنطيّون بعد أن أُصيبت صفوفهم بالاضطراب، وأمر جماعة

---

(٢) سيأتي التعريف به في البحث عن مدينة بيروت

(٣) ذكره الطبري في حوادث سنة ١٢٦هـ. فقال إنه في هذه السنة اجتمع أمراء أهل دمشق وبايعوا يزيد بن الوليد وخرجوا إلى دمشق وحمص، وأعطاهم يزيد العطاء وأجاز أشرافهم ومنهم الصقر بن صفوان وغيره (ج٦/٢٦٦)

وترجم له ابن عساكر فقال :

« صقر بن صفوان الكلاعي، من وجوه أهل حمص، شهد مرج راهط وعاش حتى جاء في الجيش الذي توجّه إلى دمشق للطلب بدم الوليد بن يزيد، فلما هزم الجيش بنواحي دمشق دخل دمشق مع من دخلها، فبايع يزيد بن الوليد فأجازه وأكرمه، وله ذِكْر وشِعْر. ومن شعره يخاطب مَسْلمة بن عبد الملك :

ألا أَبْلِغ مُسيلمة بن عبدٍ ... مقالة ماجد قلب هجّان
أتزعُمُ ـ لا أبالكَ ـ أنّ سيفي ... بعيد العهد بالمُهج الحواني
ولو ساءلت جدلاً عن شباه ... غداة الزاج في رجح الطعان»

(تهذيب تاريخ دمشق ٦/٤٤٣)

من قوّاته لتسير في الطليعة، وتبشّر أهل طرابلس بوصول النجدة، وجعل على قيادتها « سعيد الحَرَشيّ »، وكان يومئذٍ من جُنْد الديوان بدمشق،[1] فتقدّم بقوّاته نحو المدينة وأشرف على مرتفعٍ قريب، بحيث يراه منه أهلها وأشار إليهم بفتح باب المدينة، ثم قام بتعبئة قوّاته وصدم بهم صفوف البيزنطيّين ففرّقهم، ووجدت قوّاته الطريق مفتوحة أمامهم فدخلوا المدينة وتقوّى بهم أهلها واشتدّت عزيمتهم واستبشروا بمن جاءهم من إخوانهم.

ولما وجد البيزنطيّون أنّ حصارهم بات غير مُجْدٍ، إذ أصبحوا محاصرين من الشمال بجيش حمص، ومن الجنوب بجيش بيروت، وفي الغرب أهل طرابلس، ومن وصل إليهم، آثروا الإنسحاب والعودة إلى بلادهم وتأمين سلامة خروجهم من مواقعهم، فبعثوا إلى « عبد الرحمن الكلبي » رسولاً يعرض عليه أن يتوسّط لهم لإطلاق سراح قائدهم، على أن يرحلوا إلى بلادهم، فوافق بعد أن أخذ منهم عهداً بأن « لا يغيروا على شيءٍ من أرض المسلمين في عامهم هذا، فرحلوا ومضوا ».[2]

تبادل الغزوات البحرية بين العرب والبيزنطيّين في ساحل الشام

وإذا كان البيزنطيّون قد فشلوا في حملتهم على طرابلس ولم يتمكّنوا من أن ينالوا من صمود أهلها رغم قلّة مقاتليها، ولم يُغْنِهم جَمْعُهُم ولا كثْرة سُفنهم ودبّاباتهم التي صنعوها، وحصارهم الذي استمرّ فترة طويلة، فإنهم قد تمكّنوا في سنة ٩٠ هـ/٧٠٩ م من إنزال الهزيمة بأسطول عربيّ بقيادة « خالد بن كيسان »[3] الذي وقع بيدهم أسيراً، فأهداه الإمبراطور « جستنيان الثاني »

(١) سيأتي التعريف به في البحث عن مدينة بيروت.
(٢) الخبر بطوله في : تهذيب تاريخ دمشق — ج٢٢/٥٩٥ — ٥٩٨
(٣) سيأتي التعريف به في البحث عن مدينة بيروت.

إلى الخليفة « الوليد بن عبد الملك ».[1] غير أنّ البيزنطيّين تلقّوا ضربة أخرى عندما قام « العبّاس بن الوليد » أمير البحر بحملةٍ ففتح قبرس سنة ٩٥ هـ/ ٧١٤ م.[2]

في عهد سليمان بن عبد الملك

ولكنّ البيزنطيّين استردّوا نشاطهم في أول عهد الخليفة « سليمان بن عبد الملك » (٩٦ ــ ٩٩ هـ/٧١٥ ــ ٧١٨ م) فقام أسطولهم بالإغارة على مدينة اللاذقية وكانت من جُنْد حمص فأحرقوها وذهبوا بما فيها،[3] ولِذا أصبحت تُعرف بـ« اللاذقيّة المحترقة »[4] وأخذوا من ساحل حمص جملة أسْرى من المسلمين،[5] وفيهم امرأة لها ذِكْر، فغضب « سليمان بن عبد الملك » وقال: « ما هو إلّا هذا، نغزوهم ويغزونا »، وأقسَم ليَفتحَ القسطنطينية أو يموت.[6] ووجّه أخاه « مَسْلَمة بن عبد الملك » ليبَرّ بقَسَمه، فخرج بطريق البرّ، وغزاهم « عمر بن هُبَيرة الفزاري » في البحر سنة ٩٧ هـ/٧١٦ م وشتّى بأرضهم حتى وصل بغزوته خليجَ القسطنطينية، وكان معه في هذه الغزوة « الليث بن تميم الفارسي الطرابلسي » وأخوه « أبو خُراسان ».

---

(١) تاريخ الطبري ٦/٤٤٢، تاريخ دمشق (المخطوط) ١٢/٢٣٧، الكامل في التاريخ ٤/٥٤٨، نهاية الأرب للنويري ٢١/٣١٩

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٩٢

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٩٩

(٤) هكذا ورد اسمها عند « المقدسي » في سنة ١٠٢هـ. حيث يقول: « قال مجاهد بن يزيد: خرجت مع خالد البريديّ » في أيام وُجّه إلى الطاغية سنة ١٠٢ وليس معنا ثالث من المسلمين، فقدمْنا القسطنطينية ثم خرجنا منصرفين إلى عمورية، ثم أتينا اللاذقية المحترقة ». (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ــ ص١٥٣)

(٥) فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ١/٣٦١

(٦) سيَر أعلام النبلاء، للذهبي ٤/٥٠١، ٥٠٢

وقد أغزى « سليمان » أهل الشام والجزيرة في البرّ في نحو من مائة وعشرين ألفاً، وأغزى أهل مصر والمغرب في ألف مركب، وعلى الكلّ « مَسْلَمَة » الذي أمر كلّ فارس أن يحمل على فرسه مُديّين من الطعام حتى يأتي به القسطنطينية، ثم أمر بالطعام فأُلقي في ناحيةٍ حتى صار كالجبل، ومنع المسلمين أن يأكلوا منه شيئاً، بل يكتفوا بما يصيبونه من غاراتهم من الزرع والقُوت. وأقام مُرابطاً عند أسوار القسطنطينية قاهراً لأهلها، حتى نفذ القوت عندهم، وهو يغيظهم بجبل الحنطة الذي في وسط معسكره لا يمسسْه أحد ولا يَنْقُص منه شيء، حتى عرضوا عليه الفدية بعد أن أضرّهم الحصار، فأبى إلّا أن يفتحها عَنْوةً.[1]

ويحكي لنا « اللّيْث بن تميم الفارسي »، وهو من أهل طرابلس، بعض وقائع هذه الغزوة كشاهد عيانٍ، حسب رواية « ابن عساكر » الذي ينفرد بهذا النّص :

« قال الليث : كنت ممّن غزا على اسمه وعطائه ـــ يعني عمر بن هبيرة ـــ إذ ولّاه سليمان غازية البحر، فرافقتُ أخي أبا خراسان في مركب، فسار بنا عمر حتى مررنا بأهل مصر، فتبعونا، ومضينا حتى أتينا أطرابلس إفريقية، وعَلَوْنا أرضَ الروم، حتى إذا حاذَينا القسطنطينية سرنا في بحر الشام حتى دفعنا إلى خليج القسطنطينية، فخرجنا إلى الخليج على باب القسطنطينية لنَجُزْ إلى مَسْلَمة ومن معه من المسلمين. وصفّ مَسْلمة من معه من المسلمين صفّاً لم أر قطّ أطول منه، مع الكراديس الكثيرة. وجلس « ليون » طاغية الروم على برج على باب القسطنطينية وبروجها، يصفّ منهم رجاله فيما بين الحائط والبحر صفّاً طويلاً بحذاء صفّ المسلمين، وأظهرنا السلاح في ألف مركبٍ بين محرّقات وقوارب فيها.. (؟) من كسْوة مصر... والميناء فيها المقاتلة.

قال الليث : فما رأيت يوماً قطّ كان أعجب منه لِما ظهر من عدوّنا في

(١) تاريخ الطبري ٥٣٠/٦ وما بعدها، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٥٠١/٤، ٥٠٢

البرّ والبحر، وما أظهرنا من السلاح، وما أظهر طاغية الروم على حائط القسطنطينية وصفّهم ذلك، والعُدّة، ونصبوا المجانيق والعرّادات، فيكبّر المسلمون في البرّ والبحر، ويظهر الروم قِبَلها، حتى فكّر ابن هبيرة وجماعة من مقدّميّة السفن على الإقدام على باب المينا لِمّا هَابته على أنفسها، فلما رأت ذلك الروم، خرج إلينا من باب مينائهم مركبان، وقال: محرّقان. فمضى مركب منها إلى أدنى من يليه من مراكب المسلمين فألقى عليه الكلاليب بالسلاسل فاجترّه حتى أدخله بأهله القسطنطينية، فأسقط ذلك في أيدينا. وخرجوا إلى مركب [آخر] ليفعلوا ذلك به، فجعل ابن هُبيرة يتحسّر ويقول : « ألا رجل ؟»، فقام إليه أبو خراسان فقال : هذا أنا رجل، ولكنّك صيّرتني في المركب معك، لبعض من أودعني عنده، فقال له ابن هبيرة : فمُرْ بما ترى ومُرْ بما تحبّ. فأشار [أبو خراسان] إلى مركب من الفرس بغزوهم بالشدّة والبأس. فقال : ابعثني في قارب أنا وأخي، ومُرْهم بطاعتي، ففعل، فأمر أبو خراسان بنُوتيّ المركب أن يوجّهه إلى ذلك المركب الذي ذهب بالمسلمين، فكعّ عنه النوتيّ، فأشار إليه أبو خراسان بالسيف فمضى به حتى ألْصق المركب بمركبهم، ثم سار أبو خراسان حتى أوثقهما بسلسلة لئلاّ يفرّ أحدهما عن صاحبه.

قال : فاجتلدْنا بأسيافنا مطالبين السفينتين، فرزَقَنا الله الظفر، فدخلنا سفينتهم ووضعنا السيف فيهم، فانتهينا إلى قومس[1] السفينة الذي فعل ما فعل، وقد ألقى بيضته[2] وجثا على رُكبتيه، شيخ أصلع، فضربه صاحب لنا ضربة لم تُغْن شيئاً، وتقدّم إليه أبو خراسان فضربه ضربة شقّ فيها هامته، حتى نظرتُ إلى السيف قد أجاز إلى الذقن إلى الحنجرة وما يليها، واستسلم من

---

(١) قومس : أو قمص : هو تعريب اللفظ اللاتيني Comes وهو في الفرنسية Comte وفي العربية الدارجة :« الكونت ». أي الأمير.

(٢) البيضة : هي الخوذة التي يضعها المقاتل على رأسه، وتكون غالباً من الحديد.

بقي منهم، فقدناها إلى من يلينا من المسلمين ورجعنا إلى من كان منهم، فدخلوا إلينا، ووقف أبو خراسان موقفاً حسناً يأمن به من مرّ بنا إلى مَسْلَمة ومن يليه حتى مرّوا عن آخرهم، لم يُصَب منهم إلّا ذلك المركب الأول. حتى انتهينا إلى مَسْلَمة ومن معه فأخذناهم في الخليج الى السفح الذي على باب القسطنطينية والبحر.

وقال : الخليج محيط بها إلّا مما يلي برّها، فعسكر عليه مَسْلَمَة، وكنّا في سُفُننا مرْسِيِّين على ساحلها مما يلي العسكر، يخرج من سُفننا عمر بن هبيرة وغيره إلى مَسْلمة، ومن أوردنا من أهل العسكر، ويأتينا أهل العسكر فيدخلون علينا في سُفننا ». [1]

ولقد بقي « مَسْلَمة » مقيماً على حصار القسطنطينية مدّة ثلاثين شهراً حتى هلك الكثير ممن معه من الجوع، وأكل الناس بعضهم بعضاً، ومات الخليفة سليمان دون أن يحقّق حلمه بفتح القسطنطينية.

في عهد عمر بن عبد العزيز

وحين تولّى « عمر بن عبد العزيز » الخلافة في أوائل سنة ٩٩ هـ/٧١٨ م أمر « مَسْلَمة » ومن معه بالعودة، وفي طريق العودة انكسرت مركب للمسلمين، فاستولى البيزنطيّون عليها وأسروا من كان فيها من القبط الذين كانوا يعملون في خدمة المسلمين، واتّخذهم الروم خَدَماً لهم مدّة من الزمن، وحدث أن خرج الروم يوماً إلى عيدٍ لهم فشربوا الخمر وتركوا القبط في المركب، وفيها متاع وسلاح كثير، فاغتنم القبط الفرصة ورفعوا القِلْع وأبحروا دون توقُّف حتى أتوا ثغر بيروت، فكُتب إلى الخليفة عمر بما فعله القبط،

(١) تاريخ دمشق (المخطوط) ١٩٥/٣٦ — ١٩٨

فكتب عمر يأمر بتنفيلهم المركب وما فيه وكلّ شيءٍ جاؤوا به، إلّا الخُمْس، الذي يذهب إلى بيت مال المسلمين.[1]

وعاد البيزنطيّون من جديد فأغاروا في عهد الخليفة عمر سنة ١٠٠ هـ/ ٧١٩ م. على ساحل اللاذقية فهدموا مدينتها وسَبَوْا أهلها، فوجّه عمر الغُزاة في الصائفة من أهل حمص بقيادة « الوليد بن هشام المعيطيّ » و« عمرو بن قيس الكِنْدي »،[2] ولم يزل عمر مهتمّاً بأمر اللّاذقيّة حتى فتحها وأمر بإعادة بنائها قبل وفاته في سنة ١٠١ هـ/٧٢٠ م.

وكان عمر قد كتب إلى الأسرى المسلمين بالقسطنطينية : « أمّا بعد، فإنكم تعدُّون أنفسكم أسارى ولستم بأسارى. مَعاذ الله ! أنتم الحُبَساء في سبيل الله، واعلموا أنّي لست أقسِم شيئاً بين رعيّتي إلّا خصّصت أهلكم بأوفر ذلك وأطيبه. وقد بعثت إليكم خمسة دنانير، خمسة دنانير، ولولا أني خشيت إن زدتكم أن يحبسه عنكم طاغية الروم لزدْتكم. وقد بعثت إليكم فُلان بن فُلان يُفادي صغيركم وكبيركم، ذَكَركم وأنثاكم، حُرّكم ومملوككم بما يُسأل، فأبشروا ثم أبشِروا.[3] ووجّه إلى الإمبراطور البيزنطي يطلب منه فداء الأسرى المسلمين، فرفض.[4] ولذلك خرَج الغُزاة في عهده إلى مرج دابق في نواحي حلب[5] يريدون منطقة الثغور، وفيهم « أبو مسلم الثقفي » وابنه « يزيد

---

(١) انفرد سعيد بن منصور برواية هذا الخبر في سُنَنه — ق٢ مجلد٣/٢٦٤ رقم ٢٧١١ وهو يرويه عن إسماعيل بن عيّاش الحمصي، الذي يرويه عن الإمام الأوزاعيّ، وكان معاصراً لتلك الحادثة مقيماً في بيروت.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٣٠٢/٢، تاريخ خليفة ٣١٩، وتاريخ الطبري ٥٥٦/٦

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز، لابن عبد الحكم ١٤٤، والأغاني، لأبي الفرج ٢٦٦/٩، ومختار الأغاني، لابن منظور ٣٤/٥

(٤) فتوح البلدان ١٥٧/١

(٥) كان مرج دابق مكان تجمُّع الناس حين يريدون الغزو. (سيرة عمر بن عبد العزيز، لابن الجوزي ٦٣)

بن أبي مسلم » وقد خرجا من طرابلس لقتال الروم،[1] مما جعل امبراطور الروم يوافق على الفِداء ويوقّع على الصلح مع الخليفة، على يد « عبد الرحمن بن أبي عمرة ».[2]

في عهد يزيد بن عبد الملك

وفي عهد يزيد بن عبد الملك (١٠١ ـــ ١٠٥ هـ/٧٢٠ ـــ ٧٢٤ م) جرى تقْوية حصون اللاذقية وشحْنها بالمقاتلة،[3] وولّى على بيروت « أبا عثمان أيّوب بن خالد الجُهَني المراغي »[4] وعلى غازية البحر الشامي « المغيرة بن عُمَير (وقيل عمرو، وقيل عُبيد) الأزدي الحرستاني » من أهل حَرَسْتا. واستمرّ في إمارة

---

(١) سيرة عمر لابن الجوزي ١٠٨، وحلية الأولياء، لأبي نُعَيم ٣١٥/٥، وبغية الطلب ١٧٤/٨

(٢) روى سعيد بن منصور في سُنَنه (ق٢ مجلّد ٢٩٣/٣، ٢٩٤ رقم ٢٨٢٢) قال : حدّثنا ابن عيّاش، عن عبد الرحمن بن أنعم، عن المغيرة بن سلمة، عن عبد الرحمن بن أبي عمرة قال : لما بعثه عمر بن عبد العزيز بفداء أسارى المسلمين من القسطنطينية قلت له : أرأيت يا أمير المؤمنين إن أبَوْا أن يُفادوا الرجل بالرجل كيف أصنع ؟ قال عمر : زِدْهم. قلت : إن أبَوْا أن يُفادوا الرجل بالرجل كيف أصنع ؟ قال عمر : زِدْهم، قلت : إنْ أبوا أن يُفادوا الرجل بالرجل كيف أصنع؟ قال عمر: زِدهم. قلت: إنْ أبَوْا أن يُعْطوا الرجل بالإثنين؟ قال: فاعْطِهم ثلاثاً، قلت : فإنْ أبوا إلّا أربعاً ؟ قال : فاعْطهم لكل مسلم ما سألوك، فوالله لَرَجل من المسلمين أحبّ أليّ من كل مُشْرِكٍ عندي، إنك ما فديت به المسلم فقد ظَفِرْتَ، إنك إنما تشتري الإسلام. قلت : النساء : قال : نعم، إفدِهنّ بما تفدي به غيرهنّ، قلت : أرأيتَ إنْ وجدتُ امرأة تنصّرت فأرادت أن ترجع إلى الإسلام ؟ قال : افدها بمثل ما تفدي به غيرها. قلت : أفرأيت العبيد أفديهم إذا كانوا مسلمين ؟ قال : افْدِهِم بمثل ما تفدي به غيرهم. قلت : أفرأيت إنْ وجدتُ منهم من قد تنصّر فأراد أن يراجع إلى الإسلام ؟ قال : فاصنع بهم ما تصنع بغيرهم. فصالحت عظيم الروم على كل رجلٍ من المسلمين رجلين من الروم.

قال اسماعيل[بن عيّاش]: وزاد فيه ناس من أصحابنا عن عبد الرحمن أنه سأل عمر بن عبد العزيز عن أهل الذمّة، فقال : أفْدِهِم بمثل ما تفدي به غيرهم ».

(٣) فتوح البلدان ١٥٧/١

(٤) تهذيب تاريخ دمشق ٢٠٤/٣، تهذيب التهذيب لابن حجر ٤٠١/١

البحر حتى بعد وفاة « يزيد » بسنتين، إلى أن عزله « هشام بن عبد الملك »، وولّى مكانه « يزيد بن أبي مريم الثقفي المصّيصي ».[1]

في عهد هشام بن عبد الملك

وفي أيام هشام بن عبد الملك (١٠٥ ــ ١٢٥ هـ/٧٢٤ ــ ٧٤٣ م) عاد البيزنطيّون فقاموا بغزوة بحرية إلى صور في سنة ١٠٧ هـ/٧٢٦ م وكان هشام قد نقل صناعة المراكب من عكا إليها واتّخذ بها فندُقاً ومُسْتَغَلاً،[2] ووصلت سفن البيزنطيّين إلى باب مينائها، وكان أمير البحر « يزيد بن أبي مريم » « معلولاً[3] عند اللقاء »، فخرج إليهم « خالد بن الحسفان الفارسي » وكان تحت ولاية يزيد، فقاتلهم حتى أجبرهم على الهرب، وطاردهم بسُفنه، فأرست إحدى سفنهم على جزيرة قبالة صور فاستولى عليها وأسر من فيها.[4] وقد ادّعى « يزيد بن أبي مريم » في كتابٍ كتبه الى هشام بن عبد الملك بأنه وجّه إلى الروم ابنه « الشرف » فهزمهم ! ولكنّ صاحب البريد بطبرِيّة أكّد أنّ خالداً الفارسيّ هو الذي خرج إليهم، فكتب هشام إلى يزيد يوبّخه على تهاونه وتهاون ابنه في التصدّي للبيزنطيّين بقوله : « إنه ليس بالشرَف ولكنه الوضيع، كذبْتَ »، ثم عزله ونفّل خالداً وأصحابه ذلك المركب إلّا خُمسه، وولّى إمارة البحر « الأسود بن بلال المحاربيّ ».[5] واجتمع جيش الشام وعليه « ميمون بن مهران »[6] ومعه « معاوية بن هشام بن

(١) هكذا عند ابن عساكر، وعند البخاري « يزيد بن أبي مريم أبو عبد الله » (تاريخ دمشق ١٩٨/٤٣)

(٢) فتوح البلدان ١٤٠/١، الخراج لقُدامة ٢٩٠.

(٣) في النسخة الخطية لابن عساكر « مقلولاً » بالقاف المثنّاة

(٤) تاريخ دمشق (المخطوط) ٧٦٧/٤٦

(٥) تاريخ دمشق ٧٦٧/٤٦

(٦) تاريخ الطبري ٤٠/٧ (حوادث سنة ١٠٧هـ)، والكامل في التاريخ ١٤١/٥ (حوادث سنة ١٠٨هـ) والحدود الإسلامية البيزنطية ١٠٦/٢

عبد الملك » ليردّ على تلك الغزوة، فأبحر بالسفن من سواحل الشام وقطع البحر في سنة ١١١هـ/٧٣٠ م.[١] ولكنّنا لم نتبيّن وجْهَة تلك الغزوة. ولكنّ بعضهم يجعل تاريخ غزوة « ميمون » مع « معاوية » في سنة ١٠٨ هـ ويقول إنها كانت إلى قبرس[٢] وفي هذا القول نظر في رأينا، لأنّ المصادر لا تؤكّده.

وفي سنة ١١١ هـ/٧٣٠ م أيضاً كان « شديد بن قيس بن هانئ اليَزني » يلي بحرَ مصر والشام لآخر مرّة.[٣]

واستمرّت الغزوات البحرية المتَبادَلة بين المسلمين والبيزنطيّين، من وإلى ساحل الشام في عهد هشام، ووصل البيزنطيّون في إحدى غزواتهم إلى بيروت فهاجموا ميناءها واستولوا على سفينة لجماعة من تجار مرسيّة[٤] وتقدّموا بسفنهم حتى قاربوا باب الميناء، فوقف أهل الميناء وهم يمسكون بأيديهم خوفاً ورهبة حتى خرج إليهم أمير البحر « الأسود بن بلال المحاربيّ »[٥]، فصاح بهم، وركب قوارب صغيرة وأجهد نفسه في طلب البيزنطيّين حتى لحِقَ بسُفنهم وأوقع بمقاتليها واستنقذ المركب والتجار.[٦]

---

(١) تاريخ الطبري ٦٧/٧، والكامل في التاريخ ٥١٨/٥، وانظر : حلية الأولياء ٨٢/٤، وتذكرة الحفّاظ، للذهبي ٩٣/١

(٢) أنظر قول الدكتور سليم النعيمي في تحقيقه لكتاب : ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، للإمام الزمخشري ــ ج١١٧/١ ــ طبعة بغداد

(٣) الإكمال، لابن ماكولا ٤٩/٥

(٤) مرسيّة : إقليم في إسبانيا على ساحل البحر المتوسّط، استولى عليها العرب في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي. وجعلوا منها مملكة مستقلّة في القرن ٥هـ./١١م. وكانت مدينة مرسية هي العاصمة، (الموسوعة العربية الميسّرة ــ ص١٦٨٢ ــ القاهرة ١٩٦٥ الطبعة الأولى)

(٥) سيأتي التعريف به في البحث عن مدينة بيروت.

(٦) تاريخ دمشق (المخطوط) ١٨/٦، وتهذيب تاريخ دمشق ٤٧/٣ ويجعل الأستاذ فتحي عثمان هذه الغزوة في سنة ١٢٠هـ. (الحدود الإسلامية ١٠٦/٢)

وبدا واضحاً أنّ أهل جزيرة قبرس كانوا يُظهرون الغدر بين حين وآخر، فكانوا يقدّمون التسهيلات للأسطول البيزنطي ويمدّونه بالعتاد ويزوّدونه بالمعلومات عن تحرّكات السفن الإسلامية، فكان المسلمون يخرجون بين وقت وآخر لردعهم والاقتصاص منهم على عدم طاعتهم والوفاء بعُهودهم. ولذلك غزاهم « الأسود بن بلال » في سنة ١٢٠هـ/٧٣٨م ومعه « عيّاش بن عُقبة » في أهل مصر[١]. ثم قام في سنة ١٢١ أو ١٢٢ هـ بالغزو إلى جزيرة إقريطش (كريت) ومعه « حفص بن الوليد الحضرميّ » على أهل مصر، وكان مرابطاً بالشام[٢]، فهزم أهل الجزيرة ونزل بالمسلمين عليها، وأصاب منها أسرى.[٣] وقد استوجبت حدّة الصراع شحْن المدن الساحلية وتكثيف المرابطين فيها، لتفاقُم خطر الأسطول البيزنطي، فخرج في الصائفة « خالد بن عبدالله القسْري »[٤] مع ابنيه « يزيد » و« هشام »، وخرج ابنان آخران له للمرابطة في ساحل الشام مع عمّهما « اسماعيل بن عبدالله القسْري ».[٥] وكان إسماعيل بن عبدالله، والمنذر بن أسد بن عبدالله، وسعيد، ومحمد ابنا خالد بالساحل لحَدَثٍ كان من الروم.

في عهد الوليد بن يزيد

وعندما آلت الخلافة إلى « الوليد بن يزيد بن عبد الملك » (١٢٥ ــ ١٢٦ هـ/٧٤٣ ــ ٧٤٤ م) قام بزيارة تفقّدية إلى ساحل الشام فنزل بيروت وطوّف بقُراها الجبليّة،[٦] وولّى على بعلبك « محمد بن عبيدة مولى سعيد بن

---

(١) تاريخ دمشق (المخطوط) ١٩/٦

(٢) تهذيب تاريخ دمشق ٣٩٠/٤

(٣) تاريخ دمشق (المخطوط) ١٨/٦ و١٩، تهذيب تاريخ دمشق ٤٧/٣

(٤) كان عاملاً لهشام بن عبد الملك على العراق من سنة ١٠٥ حتى سنة ١٢٠هـ

(٥) تاريخ الطبري ٢٥٥/٧، الكامل في التاريخ ٢٧٧/٥، نهاية الأرب ٤٦٩/٢١

(٦) الأغاني ٤٢/٧، ومعجم البلدان ٥٢٥/١، وتاريخ بيروت، لصالح بن يحيى ــ ص١٥

العاص »،[1] وأمّر « الأسود » على جيش البحر في ساحل الشام كلّه، وأمره أن يسير لغزو قبرس ويأمر أهلها بالجلاء عنها ويخيّرهم بين أن يسيروا إلى الشام أو إلى الروم. فنزل « الأسود » على الجزيرة في سنة ١٢٥ هـ/٧٤٣ م ومعه « عيّاش بن عُقبة » على أهل مصر وخيّر أهلها في الإقامة خارجها أو القتال، فاختارت طائفة منهم جوارَ المسلمين في الشام فنقلهم إليها، وأسكنهم الماحوز على ساحل لبنان بين صيدا وصور.[2] واختار آخرون أرض الروم فانتقلوا إليها،[3] ولكنّ الخليفة « يزيد بن الوليد » (١٢٦ هـ/٧٤٤ م) ردّ النازحين عن الجزيرة إليها بعد أن أنكر الناس ذلك ولم يوافق عليه الفُقهاء، فاستحسن المسلمون ما فعله يزيد.[4]

وظلّت قبضة المسلمين محكمَة على الجزيرة حتى جهّز إليها الإمبراطور « قسطنطين الخامس » في سنة ١٢٨ هـ/٧٤٦ م أسطولاً كبيراً في مياه آسية الصغرى الجنوبية وسيّره إلى قبرس، فهاجم أسطولاً للمسلمين كان عندها وأنزل به الهزيمة، واحتلّ الجزيرة.[5]

في عهد مروان بن محمد

جاء احتلال البيزنطيّين لقبرس في وقتٍ كانت فيه الدولة الأموية قد شارفت على نهايتها. ففي الثامن من شهر صفر سنة ١٢٧ هـ/٧٤٥ م نشب

---

(١) تاريخ الطبري ٢٤١/٧، الكامل في التاريخ ٢٨٥/٥، تاريخ دمشق (المخطوط) ٤١٩/٣٨

(٢) المنتخب من تاريخ المنبجي ــ بتحقيقنا ــ ص٩٥

(٣) فتوح البلدان ١٨٣/١، تاريخ الطبري ٢٢٧/٧، تاريخ دمشق (المخطوط) ١٩/٦، تهذيب تاريخ دمشق ٤٧/٣، الكامل في التاريخ ٢٧٤/٥

(٤) فتوح البلدان ١٨٥/١، الحدود الإسلامية البيزنطية ١٠٨/٢

(٥) الروم وصلاتهم بالعرب، للدكتور أسد رستم ٢٩٤/١، الحدود الإسلامية البيزنطية ١٠٨/٢، موسوعة تاريخ العالم ــ وليم لانجر ــ تُرجم بإشراف د. محمد مصطفى زيادة ٤٨٤/٢ ــ القاهرة ١٩٥٩

القتال بين « مروان بن محمد » و « سليمان بن هشام بن عبد الملك »، وشارك فيه مئتا ألف رجل، وقيل مائة وعشرون ألفاً[1] عند عين الجرّ (عنجر) في البقاع، فكان النصر حليف مروان الذي بُويع بالخلافة وولّى غازية البحر « حُذيفة بن سعيد السلامي »،[2] وأمر بترميم صيدا وصور وعكا.[3] ولكنه ما إن قام بترتيب عمّاله على الأجناد حتى انتقض عليه أهل حمص فسار إليهم وقاتلهم وهدم قسماً من سور مدينتهم.[4] كما انتقض عليه أهل بعلبك فأمر بقتالهم وهدم سور مدينتهم.[5] ثم سار أهل الغوطة عند دمشق، وحدث تمرُّدٌ في فلسطين، وظهر الخوارج في الكوفة، وعاد سليمان بن هشام لإعلان الحرب عليه، وعادت حمص فانتقضت من جديد، فحاصرها مروان عشرة أشهُر ونصب عليها نيّفاً وثمانين منجنيقاً من سنة ١٢٧ إلى سنة ١٢٨ هـ.[6]

وفي سنة ١٢٩ هـ/٧٤٧ م ظهرت الدعوة العباسية بخُراسان على يد أبي مسلم الخراساني، وكان ذلك إيذاناً بأفول نجم الدولة الأموية التي سقطت بمقتل آخر خلفائها « مروان بن محمد » في سنة ١٣٢ هـ/٧٥٠ م حيث سار « صالح بن علي العباسي » في طلبه في ذي القعدة ومعه « أبو عمرو عامر بن إسماعيل » فنزل على ساحل البحر وجمع هناك عدداً من السفن الراسية في

---

(١) العيون والحدائق، في اخبار الحقائق، لمؤرّخ مجهول ١٥٥/٣

(٢) المنتخب من تاريخ المنبجي — ص٩٨، تهذيب تاريخ دمشق ٢٨٨/٦، معجم بني أميّة، للدكتور صلاح الدين المنجّد ٢٧ و٦٩

(٣) الوزراء والكُتّاب، للجهشياري — الطبعة الثانية — ص٨٠

Répertoire Chronologique D'Epigraphie Arabe – ER : Combe, K. A. C. J. Sauvaget, et G. Wiet - Le Caire Imprimerie de L'Institut Français D'Archéologie Orientale - 1931 T. I, P. 29 - N° 37.

(٤) تاريخ الطبري ٣٠١/٧، الكامل في التاريخ ٣٢١/٥

(٥) المنتخب من تاريخ المنبجي ١٠٤

(٦) تاريخ الطبري ٣١٣/٧ و٣٢٦

موانى الشام، وجعل يسير على البرّ بمُحاذاة الساحل والسفن تُقاد معه في البحر حتى أدركه وقتله بمصر.[1]

ومن ناحية أخرى سار « عبدالله بن علي » إلى بعلبك فأقام فيها يومين، وأغلب الظنّ أنه أخذ البَيْعة للبيت العباسي ورتّب بعض أمورها، وقام بتثبيت « يزيد بن رَوْح اللخميّ » عليها، ثم ارتحل فنزل بعين الجرّ (عنجر) التي كانت مقرّ استجمام خلفاء بني أميّة، وفيها قصورهم وحمّاماتهم، فمكث فيها يومين أيضاً، واستوثق من ولاء أهلها للحكم الجديد، ثم تحوّل إلى المِزّة[2] بعد أن تأكد من دخول المدن « اللبنانية » في فَلَك الدولة العباسية.

---

(١) تاريخ الطبري ٤٣٩/٧

(٢) البداية والنهاية، لابن كثير ٤٦/١٠

القسم الثاني

التاريخ الحضاري

- الرباط والمرابطون في ساحل الشام
- المظاهر العمرانية والاجتماعية والثقافية في المدن « اللبنانية ».

الرباط والمرابطون في ساحل الشام

منذ فتح المسلمون سواحل الشام في عهد الخلفاء الراشدين تحوّلت المدن الثغرية إلى رباطٍ للصحابة — رضوان الله عليهم — وللمجاهدين في سبيل الله، وكان الصحابة يفضّلون الرباط على الجهاد لأنّ في الجهاد شروطاً كثيرة ليست في الرباط.[1] وكان ساحل الشام كلّه يُعتبر رباطاً بعد الفتح، إذ عنده تنتهي حدود الدولة العربية الإسلامية على الطرف الشرقي للبحر المتوسّط، وفي الطرف الآخر، حدود دولة الروم البيزنطية بأسطولها البحري الذي يهدّد سواحل الشام في كل وقت. ويؤيّد ذلك ما ذكره الحافظ « ابن عساكر الدمشقي » مرفوعاً عن « أبي الدرداء الأنصاريّ »: « أهل الشام وأزواجهم وذراريهم وعبيدهم وإماؤهم إلى منتهى الجزيرة [الفراتية] مرابطون في سبيل الله، فمن احتلّ منها مدينة من المدائن فهو في رباط. ومن احتلّ منها ثغراً من الثغور فهو في جهاد ».[2]

وكانت نقاط المواجهة مع العدوّ والرُّبط تنتشر على الساحل، ومن أهمّها : جَبَلَة، أنطَرطوس، طرابلس، جُبَيل، بيروت، صيدا، الصرفند، صور، عكا، وعسقلان. والرباط في هذه الثغور الشاميّة يفضل الرباط في السواحل

---

(١) سنن سعيد بن منصور — ق٢ مجلّد ١٥٩/٣ رقم ٢٤١٢

(٢) تهذيب تاريخ دمشق ٥٩/١ وانظر بحثنا بعنوان : « الرباط في ثغور الشام » الذي نُشر في مجلّة (الفكر الإسلامي — بيروت — العدد ٩ — السنة ١٦ — محرّم ١٤٠٨ هـ./أيلول (سبتمبر) ١٩٨٧ — ص٦ وما بعدها)

الإسلامية الأخرى بعدّة أضعاف لتعاظُم الخطر الدائم عليها، وهذا ما تشير إليه رواية أوردها « ابن عساكر » على لسان « إبراهيم اليماني » قال :

« قدِمْتُ من اليمن فأتيت سفيان الثوريّ، فقلت : يا أبا عبدالله، إنّي جعلت في نفسي أن أنزل جُدّة فأرابط بها كل سنة، وأعتمر في كل شهر عُمرة، وأحجّ في كل سنة حَجّة، أفأقْرُبُ من أهلي أحبُّ إليك، أم آتي الشام ؟ فقال لي : يا أخا أهل اليمن، عليك بسواحل الشام، عليك بسواحل الشام، فإنّ أهل البيت مَحَجُّهُ في كل عام مائة ألف، ومائتا ألف، وثلاثمائة ألف، وما شاء الله من التضعيف، لك مثل حَجّهم وعُمْرتهم، ومناسكهم ».[1]

ويُعتبر « أبو الدرداء » أول من قدِم للرباط في ساحل لبنان من الصحابة، حيث نزل بيروت بعد فتحها مباشرة، وهذا ما تفيدنا به رواية « محمد بن المبارك الصوريّ » المتوفّى سنة ٢١٥ هـ التي تقول إنّ سلمان الفارسيّ قدِم دمشق، فلم يبق فيها شريف إلّا عرض عليه المنزل، فقال : إنّي عزمت على بشير بن سعد مرّتي هذه، فسأل عن أبي الدرداء، فقيل : مُرابط فقال : وأين مُرابطكم يا أهل دمشق ؟ قالوا : بيروت. فخرج للرباط معه هناك.[2]

فهذه الرواية تؤكّد لنا أنّ مرابطة أبي الدرداء وسلمان الفارسيّ كانت في وقت مبكرٍ بعد فتح المسلمين لبيروت مباشرة، إذ أنّ « بشير بن سعد » الذي نزل عنده سلمان في دمشق توفي سنة ١٣ هـ.[3] ممّا يعني أن بيروت كانت

---

(١) تاريخ دمشق ــ تحقيق د. صلاح الدين المنجّد ٢٧١/١

(٢) تاريخ أبي زُرعة ــ تحقيق شكر الله القوجاني ــ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق ٢٢٢/١ (١٩٨٠)، أنساب الأشراف، للبلاذري ــ تحقيق د. محمد حميد الله ١٨٨/١، طبعة دار المعارف بمصر ١٩٥٩، تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي ١٦٢/١ ــ ١٧١، الطبقات الكبرى، لابن سعد ٦٦/٢، المعارف، لابن قُتيبة ٢٧٠ و٢٧١، تاريخ دمشق (المخطوط) ٩٢/١٦ و٢٧٨/٢٤، تهذيب تاريخ دمشق ١٩٧/٦، تاريخ الإسلام، للذهبي (عهد الخلفاء الراشدين) ــ بتحقيقنا ــ ص٥١٣ ــ بيروت ١٩٨٧

(٣) تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ٧٨ وفيه مصادر ترجمته.

مفتوحة في تلك السنة، وأنّ أبا الدرداء كان مرابطاً فيها، ثم لحِقَ به سلمان الفارسيّ، ومعه « عبد الملك بن أبي ذَرّ الغِفاريّ ». فقد ذكر « ابن عساكر » أنّ « عبد الملك » قدِم مع « سلمان » إلى الشام مرابطاً، وكان مُرابَط « سلمان » ببيروت. قال عبد الملك : « أمرني أبي بصُحبة سلمان الفارسيّ، فصحِبْته إلى الشام فرابطنا فيها، حتى إذا انتهى رباطنا أقبلنا نريد الكوفة ».[1]

ولكن هذه الرواية لا توضّح لنا كم أمضى أبو الدرداء، أو سلمان، أو عبد الملك، في رباطهم ببيروت، إلّا أننا يمكن أن نقول إنهم أقاموا مرابطين في بيروت ما لا يقلّ عن أربعين يوماً على الأقلّ، إذ كان تمام الرباط بتمام أربعين يوماً، وفي ذلك أحاديث عدّة، منها أنّ أبا هُريرة قال : من رابط أربعين ليلة فقد أكمل الرباط.[2]

ومنها أنّ رجلاً من الأنصار جاء إلى عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فقال : أين كنت ؟ قال : في الرباط. قال : كم رابطت ؟ قال : ثلاثين. قال : فهلّا أتمَمْت أربعين ؟![3]

وكان أبو هريرة يقول : « رباط ليلة إلى جانب البحر من وراء عورة المسلمين أحبّ إليّ من أن أوافق ليلة القدْر في أحد المسجدين، مسجد الكعبة أو مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة. ورباط ثلاثة أيام عدْل السنة. وتمام الرباط أربعون ليلة ».[4]

ويحتمل أن أبا الدرداء عاد إلى سواحل « لبنان » فرابط بها ومعه « أبو أُمامة « الباهليّ » معتزلين الفتنة يوم صِفّين.[5].

---

(١) تاريخ دمشق (المخطوط) ٩٢/١٦ و٣٧٨/٢٤

(٢) المصنّف، لعبد الرزاق الصنعاني ٢٨٠/٥، ٢٨١ باب الرباط رقم ٩٦١٤

(٣) المصنّف ٢٨١/٥ رقم ٩٦١٥

(٤) المصنّف ٢٨١/٥ رقم ٩٦١٦، سنن سعيد بن منصور ــ ق٢ مجلّد ١٥٩/٣ رقم ٢٤١٠

(٥) الأخبار الطوال ١٧٠

وكان سلمان حين نزل بيروت اجتمع عليه المسلمون في مسجدها ليسمعوا حديثه، فقال لهم : يا أهل بيروت، ألا أحدّثكم حديثاً يُذهب الله به عنكم غرض الرباط ؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« رباط يوم كصيام شهرٍ وقيامه، ومن مات مرابطاً في سبيل الله أُجير من فتنة القبر، وأُجري له ما كان يعمل إلى يوم القيامة ».[1]

وهكذا كانت بيروت من أوائل ثغور المرابطين وأهمّها، وذلك لقُربها من دمشق، وكوْنها فُرْضة مدينة بعلبك، وفي ذلك يقول « ابن حوْقَل » : « بيروت على ساحل بحر الروم، وهي فُرْضة بعلبك، وبها يرابط أهل دمشق وسائر جُنْدها، وإليها ينفرون عند استنفارهم ».[2]

وكذلك فإنّ سلمان الفارسيّ رابط بساحل حمص، حيث رآه هناك « شُرَحبيل بن السِّمْط » فقال له : مالك على هذا ؟ قال : مُرابط.[3]

ونحن نعرف أنّ أبا ذَرّ الغِفاري، وعُبادة بن الصامت، وأبا الدرداء الأنصاريّ، وأمّ حَرام بنت مِلْحان، وشدّاد بن أوس، وواثلة بن الأسقع، وأبا أُمامة الباهلي، والمِقْداد بن الأسود، وعبدالله بن بُسْر المازني، وعبدة بن عُبيد السلميّ، وغيرهم من الصحابة، كانوا في مقدّمة الغُزاة إلى جزيرة قبرس، مع معاوية بن أبي سفيان، حين خرج بالأسطول من ثغر عكا سنة ٢٨ هـ/٦٤٩ م ولنا أن نظنّ، مع الترجيح، أنّ هؤلاء الصحابة كانوا من المرابطين في سواحل الشام في تلك الفترة. فقد تأكد لدينا أن أبا الدرداء كان في بيروت، وأنّ عُبادة بن الصامت كان أميراً على اللاذقية مرابطاً بها، وهو فاتح : جَبَلة، وأنطرطوس، وبانياس. كما أنّ أبا ذرّ الغِفاريّ كان يرابط في ساحل « لبنان »

---

(١) التاريخ الكبير، للبخاري ١٣٥/٤

(٢) صورة الأرض، لابن حوقل ـــ طبعة المثنّى ببغداد ١١٦

(٣) المعجم الكبير، للطبراني ـــ طبعة وزارة الأوقاف، بغداد ٣٢٧/٦، وانظر : المصنّف ٢٨١/٥ رقم ٩٦١٧ و٩٦١٩

عند الصرفند بين صيدا وصور، حسب الروايات المتواترة إلى الآن عند أهالي جنوب لبنان. وقد مرّ معنا أنّ ابنه « عبد الملك » صحِب سلمان الفارسيّ ورابط معه في بيروت بناءً لأمره. أما المِقْداد بن الأسود، وشدّاد بن أوس، وواثله بن الأسقع، وغيرهم من الغُزاة إلى قبرس، فيُحتمَل أنهم كانوا يرابطون في مكانٍ ما من ساحل الشام، وإن كانت المصادر التاريخية لم تُسْعِفْنا بشيءٍ عن ذلك.

ولعلّ أبا ذَرّ كان يتّخذ من « صرفندة » أو « الصرفند » رباطاً له، ثم تحوّلت إلى حصنٍ ورباط لأبناء « الأنصار » من ذُرّيته، ومن ذُرّية أبي الدرداء الأنصاري، ومن ذُرّية « النُعمان بن بشير الأنصاري »، وهذا نتبيّنه من تراجم بعضهم حيث يُنسبون إلى الصرفند، على الساحل المعروف بين صيدا وصور بـ« الماحوز »، و« الماحوز » هو الموضع، وأهل الشام يُسمّون المكان الذي بينهم وبين العدوّ وفيه أساميهم ومكاتبهم ماحوزاً. وقد ورد عند « المقدسي » : ماحوز أزدود (أشدود) وماحوز يُبْنا.[1] وهما في شماليّ فلسطين.

ونرجّح أنّ « الماحوز » كان بمثابة مُعَسْكَر أو مكان إقامة من يدخل في حَوْزة المسلمين من أهالي البلاد المفتوحة، حيث تُسَجَّل أسماؤهم وتُقام لهم مكاتب للإشراف عليهم. وقد مرّ معنا أنّ أمير البحر « الأسود بن بلال المحاربي » نقل طائفة من أهل قبرس في سنة ١٢٥ هـ/٧٤٣ م فأسكنهم « الوليد بن يزيد » الماحوز على الساحل بين صيدا وصور.[2]

ومن المرجَّح أنّ المسجِد الذي يُعرف بمسجد أبي ذَرّ في الصرفند ترتبط تسميته بإقامة أبي ذَرّ في الحصن، وكذلك مشهد أبي ذرّ في الصرفند أيضاً.

---

(١) أحسن التقاسيم، للمقدسي ١٧٧

(٢) المنتخب من تاريخ المنبجي ــ بتحقيقنا ــ ص٩٥

وهما يُعرفان باسمه حتى الآن.(١) وإذا كنّا لم نتعرّف على أسماء أحفاد أبي ذَرٍّ الذين نزلوا الصرفند وأقاموا فيها، فإنّنا نعرف أسماء بعض أحفاد أبي الدرداء الأنصاري، ومنهم : إبراهيم بن إسحاق بن عُوَيمر ويُكَنّى أبا إسحاق. ومحمد بن سليمان بن بلال بن أبي الدرداء، ويُكنّى أبا سليمان، ومحمد بن سليمان الجوعي بن أبي الدرداء، ويُكنّى أبا عليّ، ومحمد بن سليمان بن الحسين بن أبي الدرداء. وهم جميعاً يُنسبون إلى الصرفند.

كما نعرف أسماء بعض أحفاد النعمان بن بشير الأنصاري، ومنهم : محمد بن إبراهيم بن محمد بن رواحة، ويُكنّى أبا معن، ومحمد بن محمد بن إبراهيم، ويُكنّى أبا عبدالله، ومحمد بن رواحة بن محمد بن النعمان، ويُكنّى أبا معن، ويُنسبون أيضاً إلى الصرفند.(٢)

الرباط في جزر البحر المتوسّط

لم يقف رباط المسلمين عند حدود سواحل الشام فحسب، بل تعدّاها إلى عُمق البحر المتوسّط، فرابطوا في الجزر التي فتحوها، وخاصّة في أرواد، وقبرس، ورودس، وكريت (أقريطش). وذلك منذ النصف الأول من القرن الأول الهجري. فبعد أن فتح المسلمون جزيرة قبرس في سنة ٣٣ هـ/٦٥٤ م نقل معاوية إليها جماعة من أهل بعلبك فرابطوا فيها، وبنوا فيها مدينة حتى وفاته، حيث أعادهم ابنه يزيد.(٣)

---

(١) خطط جبل عامل، للسيد محسن الأمين ــ ص٨٤ ــ طبعة الدار العالمية، بيروت

(٢) ترجمت لهم جميعاً في « موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي » أنظر على التوالي: ج١/٢١١، ٢١٢ رقم ١٠ و٣/٤٠٥،٤٠٦ رقم ١١٨٢، و٤/٦٣،٦٤ رقم ١٢٦٠ و٤/٨٧ رقم ٣٠٠ و٤/١٨٢ رقم ١٤١٢ و٤/١٩١ رقم ١٤٣٣ و٤/١٩٣ رقم ١٤٣٥ و٤/١٩٤ رقم ١٤٣٦

(٣) فتوح البلدان ١/١٨٣ و١٨٥، وتاريخ الطبري ٧/٢٢٧، وتاريخ دمشق (المخطوط) ٦/١٩، وتهذيب تاريخ دمشق ٣/٤٧، والكامل في التاريخ ٥/٢٧٤، والحدود الإسلامية البيزنطية ٢/١٠٨

وخرج معاوية في الناس من ميناء صيدا إلى جزيرة رودس ففتحوها أيضاً سنة ٣٣ هـ/٦٥٤ م وبقيت خراباً يباباً، حتى تولّى معاوية الخلافة، فعاد وأرسل إليها « جُنادة بن أبي أميّة الأزدي » من جديد سنة ٥٣ هـ/٦٧٤ م وأرسل إليها المسلمين فرابطوا فيها وعمّرها وبنى فيها مسجداً وشحنها بالمقاتِلة وقوّاهم بالسلاح والأموال، وأمرهم بزراعة الجزيرة. وذكر الصحابيّ « مجاهد بن جبر » : « لقد دخلت مدينة رودس في سنة ثلاثٍ وخمسين، فبنَيْنا فيها مسجداً وأقمنا بها مؤذّناً و[كنّا] نصلّي ».[1]

وذكر البلاذُريّ أنّ معاوية أرسل إلى رودس فأنزل فيها قوماً من المسلمين فزرعوها واتّخذوا بها أموالاً ومواشي يرعونها حولها، فإذا أمسَوا أدخلوها الحصن، وأقاموا على الشاطئ حارساً ممّن يريدهم في البحر، فكانوا أشدّ شيء على الروم، يعترضون سفنهم في البحر حتى أخافوهم، وأمدّهم معاوية بالعطايا والأرزاق، فأقاموا في الجزيرة سبع سنين، ومعهم مجاهد بن جبر يُقرئ الناسَ القرآن.[2]

وكان « مجاهد بن جبر » قد ساءته تصرُّفات بعض وُلاة الأمر لأسباب لم توضّحها المصادر لنا، وشكا ذلك إلى عبدالله بن عمر بن الخطاب، فأشار عليه بأن لا يهتمّ بما أحدثه الأمراء وأن ينصرف للغزو، وعرض عليه بعض ماله لينفقه في الغزو والرباط. وقد روى مجاهد فقال :

« قلت لابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ : ما تقول في الغزو، فقد صنع الأمراء ما قد رأيت.

---

(١) كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي ١٢٧/٢

(٢) فتوح البلدان ٢٧٩/١، وتاريخ الطبري ٢٨٨/٥ و٢٩٣، والبدء والتاريخ لمطّهر بن طاهر المقدسي ــ نشره كلمان هوار ــ باريس ١٩١٩ ــ ج٦/٤، والكامل في التاريخ ٤٩٣/٣ و٤٩٧

قال : أرى أن تغزو، فإنه ليس عليك ممّا أحدثوا شيء.

قال [ابن عمر] : فإذا أردتَ ذلك فاجعل طريقك عليّ، فمررْتُ بالمدينة، فقال : إنّي أحبّ أن أعينك في وجهك هذا بطائفة من مالي.

قلت : إذاً لا أقبل. إنّي رجل قد وسّع الله عليّ.

قال : إنّ غِناك لك. إنّي أحبّ أن تكون طائفة من مالي في هذا الوجه.

فانطلق يلتمس القرْض، فلم يجد أحداً يُقرضه. فقال : أتخافون أن لا أقضيكم ؟ ثم كتب إلى قيّم له بالشام أن يدفع إليّ دنانير قد سمّاها أستعين بها على وجهي.

قال : فانطلقت، فلم أزل مرابطاً في جزيرة من البحر سنين، ثم بدا لبعض أمراء المؤمنين أن يخرّب تلك الجزيرة ويُخرج أهلها منها. فوَاللهِ، لكأنّما جيء بي سبْياً حيث رجعت إلى أهلي ».[1]

والمقصود بأمير المؤمنين هنا « يزيد بن معاوية » الذي أمر بعودة المسلمين من رودس وأمر بتخريبها بعد وفاة أبيه معاوية.

الرباط في طرابلس

وضع معاوية نظاماً دفاعيّاً خاصّاً بمدينة طرابلس لخطورة موقعها، وكان هذا النظام يقضي أن يوجّه إليها في كل عام جماعة كثيفة من الجُنْد المسلمين يشحنها بهم ليدفعوا عنها العدوّ في حال إغارته عليها. وولّى عليها عاملاً من قِبَله. وكانت هذه القوّة تُستَبدل مرّتين في العام الواحد لتظلّ معنويّات الجُنْد المرابطين مرتفعة، فإذا انغلق البحر في الشتاء وعَلت أمواجه واشتدّت الريح

(١) شرح السيَر الكبير، للشيباني ١/ ١٥٨، ١٥٩ رقم ١٦٠. وانظر كتاب : الدعاء، للطبراني ٢/ ١١٨٥ رقم ٨٢٨، والمعجم الأوسط له ١/ ٢٨٧ أ و١٢٠ ب.

وتعذّر على المراكب الاستواء على ظهره والسَّير فيه، عاد معظم الجُنْد من حيث أتوا إلى دمشق ولا يبقى في طرابلس سوى عاملها في جماعة يسيرة من الجُنْد، وعندما ينتهي فصل الشتاء وتهدأ أمواج البحر ويصبح الإبحار فيه آمناً، يَقْدَم الجُنْد إلى طرابلس للمرابطة فيها من جديد.[1]

واستمرّ الوضع فيها على هذا المنوال في أيام « يزيد بن معاوية » (٦٠ ــ ٦٤ هـ/٦٨٠ ــ ٦٨٤ م) و« معاوية بن يزيد » (حَكم ٤٠ يوماً) و« مروان بن الحكم » (٦٤ ــ ٦٥ هـ/٦٨٤ ــ ٦٨٥ م) حتى أيام « عبد الملك بن مروان » الذي قام بإعادة حصنها البحريّ،[2] وجدّد عمارة المدينة وحصّنها وأسكنها المسلمين، ووضع لها نظاماً مشابهاً لنظام معاوية، فكان يرسل إليها جُنْداً من دمشق فيرابطون فيها خلال الصيف، أما في الشتاء فكان يوجّه إليها جُنْداً من بعلبك.[3] وقد أقطع لفُرس بعلبك خُمس مدينة طرابلس فنزلوها ورابطوا فيها.[4]

ويبدو أنّ هذا التغيير في نظام مرابطة الجُنْد بطرابلس كان نتيجة العملية التخريبية التي حدثت فيها على عهد معاوية، فرأى عبد الملك أن لا تخلو المدينة من الحامية المرابطة، ولذلك لجأ إلى إرسال الجُنْد صيفاً وشتاءً، من دمشق وبعلبك على السواء.

الأوزاعيّ الإمام المرابط

وكما كانت بعلبك قاعدة خلفيّة ورافداً للمدن الساحلية الأمامية بالجُنْد والمرابطين، فقد أخرجت علماً من أعلام المذاهب الفقهية في الإسلام،

---

(١) فتوح البلدان ١٥١/١

(٢) فتوح البلدان ١٥١/١، الكامل في التاريخ ٤٣١/٢.

(٣) تهذيب تاريخ دمشق ١٨٣/٦.

(٤) تاريخ دمشق (المخطوط) ٧٨/١٦.

وعاملاً مرابطاً في سبيل الله، هو الإمام « أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي » الذي وُلد فيها سنة ٨٨ هـ وأخذ العلم في بلدة الكَرْك التي تُعتبر من أعمال بعلبك، وتُعرف بكَرْك نوح، ثم استقرّ في بيروت مرابطاً ومكتتباً في ديوان الساحل. وهذا التعبير يُقصد به، حسب تعريفنا الحاضر، « دائرة تجنيد حَرَس السواحل ». فكان أحد أفراد الحرس في بيروت، يخرج في الغزوات والبعوث العسكرية التي كانت توجّهها الدولة الأمويّة، فاكتتب مرّة في بعثٍ إلى اليمامة،[1] وكان يأخذ العطاء كغيره من جُنْد الساحل المرابطين، إلى أن أصبح عالماً وفقيهاً ومُفْتياً للجُنْد في العصر الأمويّ.

ويُعتبر المرابطون من أصحاب الديوان المكتتبين أفضل من المرابطين المتطوّعين لارتباطهم الدائم بما نذروا أنفسهم له، وفي ذلك قال « الشَّعبيّ » حين سُئل عن الغزو، وعن أصحاب الديوان أفضل، أو المتطوّع ؟ : بل أصحاب الديوان، فالمتطوّع متى شاء رجع.[2] وهذا ما فعله الإمام الأوزاعي، فقد اكتتب في الديوان.

وقد كانت بيروت حتى نهاية القرن الأول الهجري لا تزال تتمثّل بأخلاق الصحابة والتابعين الذين نزلوها ورابطوا فيها، وتحيا بزُهّادها وحكم أقوالهم، وبلاغة مقصدهم وغاياتهم السامية، وتواضُعهم في الملبس والمظهر، مثل « حيّان بن وبرة المُرّي » صاحب أبي بكر الصِّدّيق، رضي الله عنه، الذي كان يجتمع عليه الناس في مسجدها ليسمعوا منه، وهو يلبس قميص كرابيس (قطن) إلى نصف ساقيه، وعمامة، وقَلَنسُوَة صغيرة، وثياباً رثّة.[3] وهذا ما

---

(١) البداية والنهاية ١١٦/١٠.

(٢) المصنّف ــ ج ٢٧٩/٥، ٢٨٠ رقم ٩٦١٢.

(٣) التاريخ الكبير ٣٥/٢، من حديث خيثمة بن سليمان الأطرابلسي ــ بتحقيقنا ــ ص ١١، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي ٢٤٥/٣، تاريخ دمشق (المخطوط) ١٧/٥ و١٩.

استهوى الإمام الأوزاعي حين فكّر بالنزول فيها، ولقد عزم أن يُيَمِّم نحوها إثْر حوارٍ قصيرٍ دار بينه وبين امرأة سوداء في مقبرة المدينة، حيث قال :

« جئت إلى بيروت أُرابط بها فأعجبني أنّني مررْت بقُبورها، فإذا امرأة سوداء في القبور، فقلت لها :

ـــ أين العمارة يا هنتاه ؟

فقالت لي :

ـــ إن أردت العمارة فهي هذه ـــ وأشارت إلى القبور ـــ وإن كنت تريد الخرابَ فأمامك، وأشارت إلى البلد.

فقلت :

ـــ هذه سوداء تقول هذا !! لأُقيمنّ بها.

فأقمت ببيروت. [1]

ويبدو أنّ الحياة أخذت تتبدّل ملامحها في بيروت بحيث أصبحت تعكّر صفْو المرابطين، وقد عبّر الإمام الأوزاعيّ عن رأيه في أن بيروت لم تعد خير مثال للمرابطين، وهو بات يفضّل الرباط في صور عليها، ونتبيّن ذلك من رواية لـ« حسّان بن سليمان الساحلي » يقول فيها :

« كنت رفيقاً لسُفيان الثّوريّ، فحبَّب إليّ الرباط، فقلت له : إنّي أحببت الرباط، وإنّي لأُحبّ أن ترتاد لي موضعاً أُحبس فيه نفسي بقيّة أيامي، فقال لي : إنّ الأوزاعيّ بالشام، فأتِه، فإنّه لن يدّخر عنك نصيحة، فأتيت بيروت فبتُّ فيها، فلما صلّيت الغداة مع الجماعة قلت لرجلٍ إلى جانبي : أيُّهُمُ الأوزاعيّ ؟ فأشار إليه بيده، وكان مستقبلاً القبلة. وكان إذا صلّى لم يلتفت

ـه

(١) تاريخ دمشق (المخطوط) ١٨٤/٢٣، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ ـــ ١٦٠ هـ) بتحقيقنا ـــ ص ٤٩٠، البداية والنهاية ١١٨/١٠، محاسن المساعي في مناقب الإمام الأوزاعي، لابن زيد الحنبلي.

عن القبلة حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت أسند ظهره إلى القبلة، فمن سأله عن شيءٍ أجابه. فقلت : إنْ يكن عند أحدٍ خير من سفيان فعند هذا الرجل، فتقدّمت فسلّمتُ عليه، فقال لي : كيف تركتَ أخي سفيان ؟ فقلت له : بخير، وهو يُقْرئك السلام، ثم قلت: إنّي كنت رفيقاً له زماناً، وأخبرته بخبري، فقال : عليك بصور فإنها مباركة مدفوعٌ عنها الفِتَن، يصبح فيها الشرّ فلا يُمسي، ويُمْسي فيها فلا يُصْبح. قبر نبيّ في أعلاها، فقلت له : تشير عليّ بصور، وأنت في بيروت ؟! فقال لي : سبق المقدور، ولو أنني استقبلت من أمري ما استدبرتُ ما عدلت بها بلداً ».[1]

المرابطون

يمكن القول إنّ معظم المسلمين الذين كانوا يسكنون ثغور الشام الساحلية يصحّ وصْفُهم بالمرابطين. ولكن المصادر التاريخية وكتب الطبقات وتراجم الرجال وغيرها لم تصرّح إلّا بأسماء العدد القليل من الذين وُصفوا بأنهم من المرابطين، مع جماعة الزُّهاد وأمراء البحر، والغُزاة في البرّ والبحر، ووُلاة المدن الساحلية وعُمّالها وقُضاتها.

ونقتصر هنا على إيراد أسماء الذين نصّت كُتُب التاريخ على أنهم نزلوا ساحل الشام للرباط، في العهد الأموي، غير الذين سبق ذِكرهم في هذا البحث، مرتّبين على الحروف الأبجدية :

• **اسماعيل بن عُبَيدالله بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم** قال الأوزاعيّ : قِدِم علينا مرابطاً ببيروت زمن « مروان بن محمد » آخر خلفاء بني أميّة (١٢٧ ــ ١٣٢ هـ)، وكان اسماعيل متشدّداً ضدّ القَدَريّين ــ المعتزلة،

---

(١) تهذيب تاريخ دمشق ١٤٠/٤ و١٤١.

وحين رأى الأوزاعيَّ ظنّ أنه منهم، فجبذه وقال له : إني أراكنّ من هؤلاء القوم، يعني القَدَريّة، فلعلّك منهم، فقال الأوزاعيّ : لا واللهِ ما أنا منهم.

وكان اسماعيل يؤدّب أولاد عبد الملك بن مروان، واستعمله عمر بن عبد العزيز على إفريقية سنة ١٠٠ هـ فأسلم عامّة البربر في ولايته، وكان حَسَن السيرة. وُلِدَ سنة ٦١ هـ وأدرك معاوية وهو صغير، وتوفي في سنة ١٣٢ هـ.[١]

• **حسّان بن سليمان، أبو علي الساحلي** نزل بيروت للرباط، ثم انتقل إلى صور فرابط فيها.

سمع : سفيان الثوريّ، والإمام الأوزاعيّ. روى عنه أبو حفص عمر بن الوليد الصُّوريّ.[٢] وقد مرّ ذِكره.

• **سعيد بن أبي سعيد البيروتي الساحلي** كان ثقة كثير الحديث، لكنّه كَبُر واختلط قبل موته بثلاث سنين. وكان قدِم الشام مرابطاً وحدّث ببيروت، فسمعه بها عبد الرحمن بن يزيد بن جابر. توفي سنة ١٢٣ هـ.[٣]

(١) أنظر ترجمة ابن أبي المهاجر في كتابنا : موسوعة علماء المسلمين ـــ ج ٤٧٤/١ ـــ ٤٧٦ رقم ٣١٤ ففيه مصادر ترجمته. وانظر أيضاً : أسماء التابعين ومن بعدهم ممّن صحّت روايته من الثقات عند البخاري ومسلم ـــ تخريج الدارقطني ـــ تحقيق عدنان عبد الرحمن الدوري ـــ نشرته مجلّة المجمع العلمي العراقي ـــ مجلّد ٣٣ ج ٤١٣/١ رقم ١٠، وتهذيب الكمال للمزّي ـــ ج ١٤٣/٣ ـــ ١٥١ رقم ٤٦٥.

(٢) تاريخ دمشق (المخطوط) ٣٢٦/٨، تهذيب تاريخ دمشق ١٤٠/٤، ١٤١، الموسوعة ٨١/٢، ٨٢ رقم ٣٩٨.

(٣) أنظر عنه في الموسوعة ٢٧٥/٢ ـــ ٢٧٧ رقم ٦١٢ وفيها مصادر ترجمته، وتهذيب الآثار للطبري ج ١٦١/١ رقم ٣٥٧ وفيه : « سعيد بن أبي سعيد المقبري »، والسنن الكبرى للبيهقي ٢٦٥/٦.

ويذهب بعضهم إلى أنه هو المعروف عند البيروتيين باسم « سعيد الجارح » الذي كان ضريحه في اليسار من مقبرة الصنطية.[1]

• **سعيد بن خالد بن أبي طويل القرشي الصيداوي (ويقال : البيروتي)** محدّث من أهل صيدا، روى عن أنس بن مالك، وواثلة بن الأسقع. روى عنه محمد بن شعيب بن شابور البيروتي، واسماعيل بن عيّاش الحمصي. له في « سُنن ابن ماجة » حديث واحد في الرباط.[2]

• **شُرَحبيل بن السِّمْط بن شُرحبيل الكِنْدي** مختَلَفٌ في صُحْبته. استعمله معاوية على بعض جيوشه، وسكن حمص ورابط بساحلها، وشهد القادسيّة، ووُلّي حمص، وقاتل أهل الرِّدّة وهو غلام شابّ. أورد له الطبراني في « المعجم الكبير » خمسة أحاديث أربعة منها في الرباط،[3] وروى مسلم من طريقه حديثاً في الرباط،[4] وروى النسائيّ من طريقه حديثين في الرباط.[5] وروى البَغَوي حديثاً واحداً من طريقه في الرباط.[6]

وجاء في « سُنَن سعيد بن منصور »[7] أنّ سلمان الفارسيّ مرّ بابن السِّمْط وهو مُرابط مع أصحابه وقد شُقّ عليهم، فقال له سلمان : يا ابن السِّمْط ألا أحدّثك بحديثٍ سمعته من رسول الله ﷺ، سمعته يقول : « رباط يوم في

---

(١) التحصينات العسكرية والجهادية في بيروت في العصور الإسلامية الأولى حتى العهد العثماني ـــ رسالة ماجستير لحنان قرقوطي، بكلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية ـــ ١٤٠٩ هـ. /١٩٨٨ م.ـــ ص٦٠.

(٢) سُنن ابن ماجة ٩٢٥/٢ رقم ٢٧٧٠ وحديثه في : مجمع الزوائد للهيثمي ٢٨٩/٥، وترجمته في الموسوعة ٢٧٨/٢، ٢٧٩ رقم ٦١٦.

(٣) المعجم الكبير للطبراني ٣٢٦/٦ ـــ ٣٢٨ رقم ٦١٧٧ و٦١٧٨ و٦١٧٩ و٦١٨٠.

(٤) صحيح مسلم، رقم (١٩١٣).

(٥) سُنن النسائي ٣٩/٦.

(٦) شرح السُّنّة، للبغوي ٣٥٢/١ رقم ٢٦١٧.

(٧) ج ٢ ق ١٥٨/٣ رقم ٢٤٠٩.

سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه » ومن مات فيه وُقّي فتنة القبر ونما له عمله إلى يوم القيامة ».[1]

وجاء في « فتوح البلدان » أنه رابط في قنّسرين، وكان من الفرسان المعلومين، عمل لمعاوية على حمص نحواً من عشرين سنة. توفي سنة ٦٣ هـ وقيل سنة ٤٠ هـ والأول أصحّ.[2]

• **عطاء بن ميسرة الخُراساني، أبو عثمان** وهوعطاء بن عبدالله، وعطاء بن أبي مسلم الخراساني. أحد الغُزاة المرابطين العابدين، يُعرف بمولى المهلّب بن أبي صُفْرة، كان من أهل بلْخ، سكن الشام، وروى عن الصحابة مرسِلاً، كابن عباس، وأبي هريرة، وأبي الدرداء، وأنس، ومُعاذ بن جبل، والمغيرة بن شُعبة، روى عنه ابنه عثمان، والأوزاعيّ، وعبد الرحمن بن يزيد البيروتي، وغيرهم.

وُلد سنة ٥٠ هـ وقيل ٦٠ هـ ورحل وطوّف البلاد، فقيل هو من سمرقند، وقيل هو من بلْخ، ونزل بيروت وعسقلّان فرابط فيهما، ومات بأريحا، ودُفن في بيت المقدّس سنة ١٣٥ هـ.

حدّث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر في بيروت أنه كان يغزو مع أخيه يزيد، وهشام بن الغاز الصيداوي، وكانوا ينزلونا جميعاً متقاربين مع عطاء

---

(١) ورواه عبد الرزاق في المصنّف ٢٨١/٥ رقم ٩٦١٧، تلخيص المتشابه، للخطيب البغدادي ١١٢/١ كتاب الأربعين حديثاً لأبي بكر محمد بن الحسين الآجُرّي، (ت ٣٦٠ هـ) ــ تحقيق بدر بن عبد الله البدر ــ مكتبة المعلّا، بالكويت ١٤٠٨ هـ/١٩٨٧ م ــ ص ١٠٨.

(٢) ترجمة شرحبيل في : الطبقات الكبرى ٤٥/٧، والتاريخ الصغير للبخاري ٦٧، والتاريخ الكبير ٢٤٨/٤، ٢٤٩ رقم ٢٦٩١، وأنساب الأشراف ٢١٤/١، والطبقات لخليفة ٣٠٧، والجرح والتعديل ٣٣٨/٤ رقم ١٤٨٤، وفتوح البلدان ١٦٣ و١٧٢، وجمهرة أنساب العرب ٤٢٦، والاستيعاب ٦٩٩/١، والجمع بين رجال الصحيحين ٢١٨/١، وأسد الغابة ٣٩١/٢، ٣٩٢، ومعجم البلدان ١٣٠٣/٢ (عن أبيه السمْط)، وتهذيب تاريخ دمشق ٢٩٩/٦ ــ ٣٠١، والوافي بالوفيات ١٢٨/١٦، ١٢٩ زقم ١٤٧.

الخراساني، فكان عطاء يُحيي الليل صلاةً، فإذا ذهب من الليل ثلثه أو نصفه أخرج رأسه من ثيابه ونادانا وهو في فسطاطه يُسْمِعُنا : يا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، ويا يزيد بن يزيد، ويا هشام بن الغاز، ويا فلان ويا فلان، قوموا توضّئوا أو صلّوا فإن قيام هذا الليل وصيام هذا النهار أيسر من شحاب الصديد، ومقطّعات الحديد، وأكل الزّقوم، الوحا، الوحا، النجاء النجاء، ثم يُقبل على صلاته.

وعطاء هو الذي يروي عن أبي هريرة حديثه في الرباط، وحدّث اسماعيل بن عيّاش عن عطاء الخراساني قال : بلغني أن رسول الله ﷺ قال : « رحِم الله أهل المقبرة » ثلاث مرات، فسُئل عن ذلك، فقال : « تلك مقبرة تكون بعسقلان ».[1] فكان عطاء يرابط فيها كل عام أربعين يوماً حتى مات.[2]

---

(١) ورد في فضل الرباط في عسقلان عدّة أحاديث، فقد أفرد « عبد الرزاق » في (المصنّف ٥/٢٨٧) باباً عنها، عن النبيّ ﷺ قال : « رحم الله أهل المقبرة » قالت عائشة : أهل البقيع. قال : « يرحم الله أهل المقبرة » قالت عائشة : أهل البقيع. حتى قالها ثلاثاً. قال « مقبرة عسقلان». وكان الرسول ﷺ يعني بذلك الصحابة ومن يليهم من التابعين الذين يستشهدون وهم مرابطين عند عسقلان ويُدفنون في مقبرتها. (حديث رقم ٩٦٣٥) وروى أبو بكر البيروتي بسنده عن أبي أمامة الباهليّ أن رسول الله ﷺ قال : « من رابط بعسقلان يوماً وليلة ثم مات بعد ذلك بستين سنة مات شهيداً، وإن مات في أرض الشرك ». (تاريخ جرجان للسهمي — ص ٢٩٣، وكان سفيان الثوري يحدّث بعسقلان، فربما حدّث الرجل الحديث فيقول له : هذا خير لك من ولايتك عسقلان وصور. (حلية الأولياء ٦/٣٦٩، ٣٧٠) وكان ابن أدهم يعيب على سفيان الثوري تَرْكه للرباط بعد أن رابط بثغر عسقلان أربعين يوماً. (حلية الأولياء ٧/٢٥) وكان يقدّم الأوزاعي على سفيان، لأن الأوزاعيّ ظل يرابط في بيروت حتى توفي بها سنة ١٥٧ هـ. بيما ترك الثوري الرباط وهو لا يزال صغيراً في السنّ، وحين سُئل ابن أدهم عن تعليل الثوري في ترك الغزو والرباط هو وأصحابه أجاب : إن سفيان كان يقول : إنهم يضيّعون الفرائض. (حلية الأولياء ٧/٨١).

(٢) أنظر عن عطاء الخراساني في : التاريخ لابن معين ٢/٤٠٥، التاريخ الكبير ٦/٤٧٠ رقم ٣٠١٦ و٦/٤٧٤، ٤٧٥ رقم ٣٠٢٧، والتاريخ الصغير ١٥٤، والضعفاء الصغير له ٢٧٢ رقم ٢٧٨، وطبقات خليفة ٣١٣، وتاريخ خليفة ٤١٠، وترتيب الثقات للعجلي ٣٣٤ رقم ١١٣٦، والجرح والتعديل ٦/٢٣٤، ٢٣٥ رقم ١٨٥٠، وحلية الأولياء ٥/١٩٣ — ٢٠٩ رقم ٣١٧، وموضح =

• **الليث بن تميم الفارسي الطرابلسي** من أهل ساحل دمشق ومن غُزاة البحور، نَسَبَه « ابن عساكر » إلى طرابلس وقال إنه من أهلها. وذكره في معرض روايته لفتح طرابلس، وهو والد هشام الذي يروي عنه البلاذري في (فتوح البلدان)، ويظهر أنه فارسيّ الأصل ممّن أتى بهم معاوية بن أبي سفيان وأسكنهم سواحل الشام. وانتقل هو وابنه إلى صور فنُسب إليها، وفي ذلك يقول البلاذري : « حدّثني هشام بن الليث قال : حدّثني أشياخنا قالوا : نزلنا صور والسواحل وبها جُنْد من العرب وخلق من الروم. ثم نزع إلينا أهل بلدان شتّى فنزلوا معنا وكذلك جميع سواحل الشام.[1]

والليث هو أخو « أبي خراسان الفارسي » الذي كان يغزو في البحر، وكان الليث ممّن غزا غازية البحر، فرافق أخاه أبا خراسان في غزوة مَسْلمة بن عبد الملك إلى القسطنطينية. وكان أخوه أبو خراسان يتولّى غزو البحر الشامي في عهد الوليد بن عبد الملك ثم في عهد سليمان من بعده.[2]

* * *

ويُعتبر غُزاة البحر بشكل خاص، من المرابطين، لارتباطهم بالثغور الساحلية وقد مرّ معنا عدّة غُزاة وأمراء للبحر في ساحل الشام سبق الإشارة إليهم،

= أوهام الجمع للخطيب ١٥٣/١ ــ ١٥٦، والضعفاء الكبير للعقيلي ٤٠٥/٣ ــ ٤٠٧ رقم ١٤٤٤، والمجروحين والضعفاء لابن حبان ١٣٠/٢، ١٣١، والأنساب للسمعاني ٦٨/٥، والكامل في التاريخ ٤٥٧/٥، وتهذيب الأسماء واللغات ج ١ ق ٣٣٤/١، ٣٣٥ رقم ٤١٠، واللباب ٤٢٩/١، والكامل لابن عديّ ١٩٩٦/٥ ــ ١٩٩٨، والكاشف للذهبي ٢٣٣/٢ رقم ٣٨٦٠، والمغني في الضعفاء له ٤٣٤/٢ رقم ٤١٢٢، وميزان الاعتدال ٧٣/٣ ــ ٧٥ رقم ٥٦٤٢، وهو يروي في تاريخ الطبري ٢١٠/١ و٤٨١ و١٨٥/٢ و٢٢٧/٣، والمعرفة والتاريخ ٣٢٥/٢، وله حديث في سنن سعيد بن منصور ــ ج ٢ ق ٢٢٧/٣ رقم ٢٥٨٨.

(١) فتوح البلدان ١٤٠/١.

(٢) تاريخ دمشق (المخطوط) ١٢٢/١٥، بغية الطلب ٢٢٠/٧.

ومنهم من لم تذكرهم أو لم تُسعفنا المصادر عن أسمائهم، ولكن يمكننا أن نضيف إلى غُزاة البحر : « عبد الملك بن مروان »، إذْ ذكر أبو الفرج الأصفهاني أن معاوية بن أبي سفيان استعمل : « الحارث بن الحَكَم بن أبي العاصي » على غُزاة البحر، فنكص واستعفى، فوجّه مكانه ابن أخيه عبد الملك بن مروان، فمضى وأبلى وحسُن بلاؤه.[1] وكان في مُقتبَل الشباب.

---

(١) قال عبد الرحمن بن الحكم يهجو أخاه الحارث لتخلّفه عن الغزو وخروج عبد الملك وهو شابّ :

شنِئْتكَ إذ رأيتكَ حَوْتكيّاً ... قريبَ الخُصيَتيْن من التراب
كأنكَ قملةٌ لقِحَتْ كِشافاً ... لبرغوثٍ ببعرةٍ أو صُؤابِ
كفاك الغزوَ إذ أحجمتَ عنه ... حديثُ السّنّ مُقتبَلُ الشبابِ
فليتك حيضةٌ ذهبتْ ضلالاً ... وليتك عند منقطَع السحابِ

(الأغاني ٢٦٦/١٣)

المظاهر العمرانية والاجتماعية والثقافية في المدن « اللبنانية »

بعلبك

استأثرت مدينة بعلبك مع مدينة طرابلس بالأخبار المفصّلة عن حركة الفتح الإسلاميّ لهما، بالقياس إلى بقية جميع المدن « اللبنانية » الأخرى التي لم تجد حركة الفتح لها سوى أسطر قليلة، وليس هذا إلّا دليلاً على أهميّة بعلبك وطرابلس في كتب الفتوح، وبالتالي أهميّة كلٍّ منهما في المصادر التاريخية.

فبعد أنْ فُتحت بعلبك، أصبحت حسب التقسيم الإداريّ الذي وضعه الخليفة عمر بن الخطاب تابعة لولاية يزيد بن أبي سفيان. وحين توفي يزيد بطاعون عَمَواس سنة ١٨ هـ أجرى عمر تعديلاً في التقسيم الإداري، فولّى عمرو بن العاص على فلسطين والأردن، وسعيد بن عامر بن حُذَيْم على حمص، أما بعلبك فكانت مع دمشق والبلْقاء من نصيب معاوية بن أبي سفيان، ثم جمع الشام كلها لمعاوية فيما بعد.[١] وبرزت بعلبك في عهده كقاعدة هامّة في شمال إقليم البقاع، وهي تتوسّط ــ تقريباً ــ الطريق بين كلٍّ من دمشق وحمص، من جهة، ودمشق وطرابلس، من جهة أخرى. كما تتوسّط

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البرّ ٥١١/٢.

الطريق بين حمص وبيروت. فهي إذن حلقة وصْلٍ بين المدن الداخلية والساحل. ومنها تمّ الانطلاق لفتح طرابلس بقيادة الصحابيّ « سفيان بن مجيب الأزدي ».

ويظهر أنّ «سفيان » ولي بعلبك لمعاوية مدّة طويلة ربّما امتدّت إلى سنة ٥٠ هـ حيث كانت وفاته.[1] ولكنّ اسمه يظلّ مقروناً ببعلبك في المصادر العربية حتى سنة ٣٥ هـ على الأقلّ، حيث نجد معاوية يعتمد عليه في القبض على الجماعة الذين قتلوا الخليفة عثمان وفرّوا من سجنهم في مصر، وفيهم « محمد بن أبي حُذَيفة » و« محمد بن أبي بكر » و« ابن حزم » (وقيل) : « كِنانة بن بِشْر التُجَيْبي » و« عمرو بن الحمِق الخُزاعي » و« عبد الرحمن بن عُدَيْس البَلَوي »، و« سَوْدان بن حمران » في نحو ثلاثين نفْساً، فاستدرجهم وحاصرهم عند العريش ونصب عليهم المنجنيق، حتى نزلوا على صُلْح، فحُبس ابن أبي حُذَيفة وجماعة معه في سجن دمشق، وابن عُدَيْس والباقون في سجن بعلبك.[2] وقيل إن سفيان قتل ابن أبي حُذيفة وابن عُديس في جبل لبنان.[3] وواضح أنّ بعلبك كانت معقلاً مهمّاً للدولة الأمويّة، حيث يُعتقل فيها خصوم الأمويّين وأعداؤهم، فبالإضافة إلى سَجْن قتلة عثمان في سجن قلعتها ــ على ما نرجّح ــ إذ بمعاوية يضع فيها أيضاً الرهائن من الروم، حين عقد معاهدة مع الإمبراطور « قنسطانز الثاني » حوالي سنة ٣٧ هـ أثناء الفتنة بينه وبين علي بن أبي طالب.

وكذلك وضع عبد الملك بن مروان رُهَناء من أبناء الروم في بعلبك أيضاً ــ مقتدياً بمعاوية ــ حين عقد صُلحاً مع الإمبراطور « قسطنطين اللحياني »

---

(١) الوافي بالوفيات ٢٨٣/١٥.
(٢) تاريخ اليعقوبي ١٧٦/٢، سير أعلام النبلاء ٤٨١/٣، الإصابة ٣٧٤/٣.
(٣) أسد الغابة ٣١٦/٤، مجمع الزوائد ٢٤٢/٦.

المعروف بالأخرم، حول سنة ٦٩ هـ. رغم أنّ الأعراب كانوا أغاروا على بعلبك والبقاع في تلك السنة.[1]

وتبدو أهميّة بعلبك أيضاً في كونها قاعدة أماميّة لإمداد مدن الساحل وجزر البحر المتوسّط بالسكان والمرابطين، فبعد أن فتح معاوية قبرس في سنة ٣٣ هـ/٦٤٥ م نقل إلى الجزيرة جماعة من أهل بعلبك وبنى بها مدينة، وأقاموا يُعطون الأُعطية إلى أن تُوُفّي، وولي بعده ابنه يزيد فأعاد البعلبكيين وغيرهم من أهل الديوان وأمر بهدم المدينة.[2]

وكما أسهم البعلبكيّون بفتح طرابلس، فقد أسهموا في الدفاع عنها والرباط فيها، حيث كان عبد الملك يبعث الجُنْد من بعلبك ليرابطوا في طرابلس شتاءً، بل إن عبد الملك أقطع خُمْسَ طرابلس لأهل بعلبك من الفُرس، وأرسلهم إلى غيرها من مدن الساحل.[3]

الفرس في بعلبك

إنّ أهمّ ما يسترعي اهتمام الباحث في تاريخ بعلبك الأموي الإشارات الكثيرة حول الوجود الفارسي في المدينة خلال ذلك العهد.

ويبدأ تعاطي المصادر العربية مع المعلومات عن الجالية الفارسية الكبيرة في بعلبك، منذ أخبار فتح المدينة وإبرام كتاب الصلح مع أهلها من الروم والفرس والعرب والنبط، فكتاب الصلح وثيقة رسمية تعترف بالفرس كطرفٍ أساسيّ داخلٍ في أمان أبي عُبيدة بن الجرّاح سنة ١٤ هـ.

---

(١) مروج الذهب ٣/١٠٥.
(٢) فتوح البلدان ١/١٨٢.
(٣) تاريخ دمشق (المخطوط) ١٦/٧٧، ٧٨.

والإشارة الثانية إلى الفرس ترد في حوادث سنة ٣٥ هـ حين خرج « سفيان بن مجيب » بالفرس من بعلبك لاقتفاء أثر قاتلي الخليفة عثمان.

ثم يصبح الوجود الفارسي في بعلبك وغيرها من المدن الساحلية محوراً رئيساً لوقائع سنة ٤٢ هـ حيث يقول اليعقوبي : « بعلبك وأهلها قوم من الفرس، وفي أطرافها قوم من اليمن ».[١] ويقول البلاذري إنّ معاوية نقل إلى أنطاكية جماعة من الفرس وأهل بعلبك، ونقل من فُرس بعلبك وحمص وأنطاكية إلى سواحل الأردنّ وصور وعكا وغيرها.[٢]

وفي سنة ٤٩ هـ/٦٦٩ م خرج يزيد بن معاوية بجماعة من جُنْد بعلبك وغيرها حتى بلغ القسطنطينية وهزم الروم، وكان أولئك الجُنْد من الفُرس أيضاً.[٣]

وفي رواية لابن عساكر أنّ الفُرس من أهل بعلبك كانوا يرابطون شتاءً في طرابلس، وأنّ اثنين من فرس بعلبك يُدعى أحدهما « قابوس » والآخر « سابور » كانا يقودان مركباً وجّههما به أمير البحر من عكا إلى قبرس، فوقعا في قبضة الروم، ثم تخلّصا من الأسر، وتمكّنا من القبض على « بقناطر » الرومي الذي قتل العامل على خراج طرابلس وصاحبيه، وقاما بتسليم الرومي إلى عبد الملك فأمر بقتله، ثم كافأ الفُرس في بعلبك بأنْ أقطعهم خُمْس مدينة طرابلس فسكنوها على سبيل الإقطاع،[٤] وذلك في سنة ٧٠ هـ.

---

(١) البلدان ٣٢٧.

(٢) فتوح البلدان ١/١٧٥.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٢٩ و٢٤٠، وأنساب الأشراف ق ٢ ج ٣/٤، والأغاني ١٥/٢١٠، وجمهرة أنساب العرب ٢٨٣.

(٤) تاريخ دمشق (المخطوط) ١٦/٧٨.

الوُلاة والقُضاة في بعلبك

من الصعوبة بمكانٍ — حتى الآن على الأقلّ — وضْع قائمة متكاملة بأسماء العمّال والوُلاة الذين تعاقبوا على بعلبك في العهد الأموي، ومع ذلك فهذه محاولة أولى في هذا المجال، مع الاعتراف بوجود الثغرات في التسلسل التاريخي للأسماء.[1]

١ — رافع بن عبدالله السَّهْميّ. وقد دخلها بعد الفتح بقليل.

٢ — سُفيان بن مجيب الأزدي. كان بها حول سنة ٢٤ هـ وانطلق منها ففتح طرابلس حول سنة ٢٥ هـ ثم عاد إليها، وبقي إلى سنة ٣٥ هـ وتنقطع أخباره بعد ذلك حتى توفي سنة ٥٠ هـ وليس لدينا ما يؤكد أو ينفي ولايته على بعلبك حتى وفاته.

٣ — رَوْح بن زِنْباع الجذامي، وليها لمعاوية بين سنتي ٥٠ — ٦٠ هـ ظنّاً، وهو الأمير الشريف أبو زُرْعة الفلسطينيّ، سيّد قومه. وكان شبه الوزير للخليفة عبد الملك، ولي جُنْد فلسطين ليزيد، وكان يوم مرج راهط مع مروان.

قال البلاذُريّ : ولّى معاوية رَوْحَ بن زِنْباع بعلبك، فرجم امرأة ورجلاً، فقال الشاعر :

إنّ الجُذاميَّ رَوْحاً في إقامته حدَّ الإله لَمَعْذورٌ وإنْ عَجلا
لو كان رفَّه عن حسناء ناعمةٍ وعن أخي غَزَلٍ لم يُحسن الغَزَلا

فبلغ الشعرُ معاوية، فكتب إلى رَوْح : لا تعجلنّ بإقامة حدٍّ حتى تثبُّت في

---

(١) هذا الموضوع سبق أن نشرناه في مجلّة « الفكر العربي » التي يصدرها معهد الإنماء العربي ببيروت، تحت عنوان « مدينة بعلبك وحضورها التاريخي في المصادر العربية خلال العصر الأموي » — العدد ٢٩، سنة ١٩٨٢ — ص٢٠٥ — ٢٣٠ وقد نقله الدكتور حسن عباس نصرالله — حرفيًا — وضمّنه كتابه (تاريخ بعلبك) — ج٩٦/١ — ١٠٥ — طبعة مؤسسة الوفاء؛ بيروت ١٩٨٤، دون أن يشير إلى دراستنا التي سطا عليها، وذكر مصادرنا وأكثرها لم يطّلع عليها، وله نقول حرفية أخرى من كتابنا « تاريخ طرابلس » وغيره.

أمره، فتكون إقامتك إيّاه بإقرار ظاهر أو بأربعة شهداء مستورين.[1]

توفي رَوْح سنة ٨٤ هـ.[2]

٤ ــ محمد بن هانئ. (قبل سنة ١٠٠ هـ)

٥ ــ إسماعيل بن مَعْدِي كرِب (١٠٠ ــ ١٠١ هـ) قال ابن عساكر : كان على بعلبك في أيام عمر بن عبد العزيز.[3] وجاء عند « ابن الجوزي » بعد ذِكْره لجبل سنير ولبنان أن ابن معدي كرِب هو عامل ذلك المكان.

نقل ابن الجوزيّ بسنده قال : قال عمر بن عبد العزيز : وددْت أنّ عندي عسلاً من عسل سنير أو لبنان، فسمعتْ فاطمةُ بنتُ عبد الملك، فحمَّلت بعض غلمانها، أو بعض مواليها، إلى ابن معدي كرب، وهو عامل ذلك المكان، إنّ أمير المؤمنين قد تشهّى من عسل سنير أو لبنان، فأرسل إليه بعسلٍ كثير. فلما انتهى بالعسل إليها، أرسلت به إلى عمر، فقالت : هذا الذي تشهَّيْتَ. فقال : كأنّي بك، يا فاطمة، قد بعثت بعض مواليكِ إلى ابن معدي كرب! فأمر بذلك العسل. فأخرج إلى السوق، فبيع وأُدخل ثمنه بيت مَال المسلمين. ثم كتب إلى ابن معدي كرب : إنّ فاطمة بعثت إليك تخبرك أني تشهّيت عسلاً من عسل سنير أو لبنان فبعثتَ إليها. وأيْمُ الله، لئن عدتَ إلى مثلها لا تعمل لي عملاً أبداً، ولا أنظر إلى وجهك.

٦ ــ محمد بن هانئ (بعد ١٠١ هـ) ذكرته مرّتين، وهو قد ولي بعلبك مرّة واحدة، ولكن لم أتبين إذا كان قبل إسماعيل بن معدي كرب، أو بعده. قال أبو زُرْعة الدمشقي، والفسوي : إنّ مكحول الشامي (توفي سنة ١١٢ هـ) كتب إليه.[4]

---

(١) أنساب الأشراف ق ٤ ج ٨٦/١ و١٤٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٥١/٤.

(٣) تاريخ دمشق (المخطوط) ٦٠٣/١١، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ١٨٨.

(٤) تاريخ أبي زرعة ٣٢٦/١، والمعرفة والتاريخ ٣٩٩/٢.

٧ ــ محمد بن عُبيدة مولى سعيد بن العاص (١٢٥ ــ ١٢٦ هـ) ولّاه الوليد بن يزيد بن عبد الملك. قال المدائني إنه كان يحمل الحرْبة بين يدي الوليد بن يزيد واستعمله على بعلبك، وكان منقطعاً إليه، فقال لابن عُبيدة : طالما خدمتني فينبغي أن يرى عليك أثر الخدمة، فولّاه إيّاها.[١] وحين تولّى « يزيد بن الوليد » الخلافة قام بعزله، وعيّن :

٨ ــ يزيد بن رَوْح اللّخْمي (١٢٦ ــ ١٣٢ هـ) كان آخر من وليها للأمويّين، وكذلك أول من وليها للعبّاسيين. فقد بقي عليها حتى تولّى « مروان بن محمد » الخلافة، ويبدو أنه كان من مناوئيه حيث انتقضت بعلبك في أيامه على الخليفة الجديد، فأمر مروان بن محمد بقتالهم وهدم سور مدينتهم.[٢] ولذلك سارع يزيد اللّخْمي إلى إعلان ولائه للحكم العباسيّ الجديد، حين قَدِم عبدالله بن علي إلى بعلبك ومكث فيها يومين قام خلالهما بتثبيت يزيد على بعلبك، وهو في طريقه إلى عين الجرّ (عنجر) سنة ١٣٢ هـ.[٣]

ولقد أثبت يزيد اللخمي صدْق ولائه للعهد الجديد حين قبض على « الحكم بن ضَبْعان الجُذاميّ » خصْم العباسيّين. إذ تذكر المصادر أنه حدث تمرُّد في فلسطين في خلافة « مروان بن محمد » قام به « الحَكَم بن ضَبْعان بن رَوْح بن زِنْباع الجُذاميّ » فغلب عليها فترة، فأرسل « مروان » إلى « عبدالله بن يزيد بن رَوْح بن زِنباع » فأجاره. وأمام القوّة الجديدة لم يجد « ابن ضَبْعان » مفرّاً من مبايعة العباسيّين ــ وكان بيت المال بيده ــ ولكنّ صالح بن عليّ لم يطمئنّ إلى ولائه المفاجئ، فبعث قائدين من قوّاده للقبض عليه، هما : « أبو عون عبد الملك بن زيد » و« محمد بن الأشعث

---

(١) الأغاني ٧٧/٧، تاريخ دمشق (المخطوط) ٤١٩/٣٨.

(٢) المنتخب من تاريخ المنبجي.

(٣) تاريخ الطبري ٤٣٩/٧.

الخُزاعي »[1] فهرب منهما إلى بعلبك متنكّراً، فلبث في نواحيها حول ستّ سنين حتى دلّ عليه بعضهم، فأخذه « يزيد بن رَوْح اللّخْميّ » ــ وكان عاملاً لصالح بن عليّ على بعلبك[2] ــ بأرض بعلبك وضرب عُنُقه، وبعث برأسه إلى « صالح بن علي »[3] الذي بعث به بدوره إلى أبي جعفر المـنصور. وتقديراً لموقف « يزيد » هذا، نقله « صالح بن علي » إلى دمشق أميراً عليها في سنة ١٣٨ هـ.[4]

* * *

أما قضاة بعلبك، فقد عرفنا واحداً منهم في ذلك العهد هو : « العباس بن نُعَيم الأوزاعي » ذكره القاضي « وكيع » في أخبار القُضاة وقال : إنه كان يلي قضاءها في خلافة عمر بن عبد العزيز (١٠٠ ــ ١٠١ هـ)[5]

و« ابن نُعَيم » من الأوزاعيّين الذين كانوا ببعلبك، ومنهم الإمام أبي عمرو الأوزاعي. والأوزاع : بطن من همدان، وقيل : من حِمْيَر الشام. وقيل : قرية بدمشق، وقيل : إنما سُمّي الأوزاعيّ لأنه من أوزاع القبائل، وقيل : موضع مشهور بدمشق يُعرف بالأوزاع سكنه في صدر الإسلام بقايا من قبائل شتّى. وقال أبو زُرعة الدمشقي : كان أصله من سبأ السند وكان ينزل الأوزاع فغلب ذلك عليه.[6]

---

(١) تاريخ دمشق (المخطوط) ٣٢٦/١١.

(٢) تاريخ دمشق (المخطوط) ٥٥٧/٤٦، تهذيب تاريخ دمشق ٣٩٦/٤.

(٣) وفي رواية أخرى، أن عبدالله بن إبراهيم الإمام أمير دمشق بعث بالحكم بن ضبعان إلى صالح بن علي فقتله. (تاريخ دمشق ــ المخطوط ــ ٣٢٦).

(٤) تاريخ الطبري ٤٣٩/٧، تاريخ دمشق (المخطوط) ٥٥٧/٤٦، الكامل في التاريخ ٤٢٥/٥.

(٥) أخبار القضاة، لوكيع ٢٦٤/١.

(٦) التاريخ الكبير ٣٢٦/٥، والجرح والتعديل ٢٦٦/٥، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ــ ج ١ ق ٢٩٨/١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٤١ ــ ١٦٠ هـ) ــ ص ٤٨٤، وتهذيب التهذيب ٢٣٩/٦.

لجامع الأموي في بعلبك

تمتاز مدينة بعلبك عن جميع مدن « لبنان » بأنها ظلّت بأيدي المسلمين منذ الفتح الأول في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، ولم تسقط أمام الإفرنج الصليبيّين الذين احتلّوا ساحل الشام وفلسطين، ولذلك احتفظ لمسجد الجامع القديم في بعلبك بموقعه حتى الآن، رغم تعرُّضه للخراب، ولم يبق منه سوى الأعمدة وآثار الأقواس التي كانت تحمل السقف.

وهذا الجامع « الأمويّ » العهد والبناء، أقيم في سنة غير معروفة، ولا يمكن معرفة اسم الخليفة الأموي صاحب الفضل في بنائه، إلّا أنه يمكن القول ن بناء الجامع يعود إلى القرن الأول الهجري، ففي هذا القرن كان الخلفاء : معاوية، وعبد الملك، والوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك، وجميعهم اشتهروا ببناء المساجد والقصور والأبراج والحمّامات وغيرها من لمعالم المعمارية في أنحاء بلاد الشام.

ويقع الجامع على بُعد نحو مائة متر شرق مدخل « الأكروبول » وجاء بناؤه مماثلاً لبناء الجامع الأموي الكبير بدمشق، مؤلّفاً من : باحة تحيطها روقة ذات عُمُد، ومئذنة مرتفعة المقطع لا زال قسم كبير منها يحتفظ بحالة جيّدة، وهي تقوم في زاوية الباحة التي يشغل وسطها حوض للوضوء، وعلى لجانب الشرقي تنفتح قاعات بعضها مُعاصِر لبناء الجامع، وبعضها بُني في وقت لاحق حيث كانت تشكّل على ما نعتقد المدرسة الدينية المعروفة بمدرسة بعلبك.

وعلى طول الناحية الجنوبية، يمتدّ بيت الصلاة بصحونه الثلاثة التي حدّدها ثلاثة صفوف من الأقواس القائمة على أعمدة ذات تيجان كُورنْثيّة مأخوذة من « الأكروبول ».

ويقال إنّ هذا الجامع أقيم على أنقاض كنيسة كانت على اسم القدّيس

« يوحنّا »،[1] وكان في جامع بعلبك ــ كما في جامع صيدا القديم ــ مؤدّب للأطفال يجلس عند باب الجامع.[2] نرجّح أنّ المؤدّب كان يجلس في المدرسة الملحقة بالجامع والتي تقع خارج الحرم القريب من الباب، ولذلك كان يقال : « جلس لتأديب الأطفال في باب الجامع »، ومن الواضح أنّ الحكمة في ذلك هو تأديب الأطفال بعيداً عن حرم الجامع حتى لا يشوّش على المصلّين.

ولا يُعرف بالضبط متى تعطّلت الصلاة في الجامع، وإن كانت أول إشارة وصلتنا عن وجوده في تاريخ ابن عساكر، حيث يذكر أنّ أبا علي الحسين بن أحمد بن المبارك، كان يجلس للحديث في المسجد الجامع ببعلبك سنة ٣٨٧ هـ، وقرأ عليه، في تلك السنة، القاضي أبو علي الحسين بن علي بن أبي المضاء البعلبكي، وهذا بدوره كان يقرئ الحديث في شهر رجب من سنة ٤٤٦ هـ وتوفي في السنة التالية ٤٤٧ هـ.[3]

ومن المحتمل أنّ المؤذّن البعلبكيّ الذي كان من خواصّ « مروان بن محمد » آخر الخلفاء الأمويّين، قد أذّن في جامع بعلبك الأمويّ الكبير، وهو الذي هَمَّ أبو جعفر المنصور بقتله بعد قيام الدولة العباسية، فقال له البعلبكيّ :

« استبْقِني يا أمير المؤمنين فإني مؤذّن منقطع النظير ».

فقال المنصور : « وما بلغ من أذانِك ؟ »

قال : « تأمر جارية فتقدّم إليك طَسْتاً، وتأخذ بيدها إبريقاً، وتصبّ الماء على يدك، فأبتدئ بالأذان فتُدهش ويذهب عقلها إذا سمعتْ أذاني حتى تُلقي الإبريق من يدها وهي لا تعلم ».

---

(١) تاريخ بعلبك ــ ميخائيل ألّوف ٨٣.

(٢) معرفة القراء الكبار، للذهبي ٢٢٥/١، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٣٥/٣.

(٣) تاريخ دمشق (المخطوط) ١٦١/١١ و٥٢٩/٣٨، معجم البلدان ٤٥٤/١.

فأمر المنصور جارية ففعلت ذلك، وأخذ البعلبكّيّ في الأذان، فكانت حالها كما وصف.[1]

ومن آثار بعلبك التي تعود الى العهد الأمويّ :

ــ مزار السيّدة حفصة : قيل قديماً إنه يضمّ ضريح السيّدة حفْصة بنت عمر بن الخطاب زوجة النبيّ ﷺ، والصحيح أنه قبر « الصعبة بنت جبل » أخت الصحابيّ الجليل « مُعاذ بن جبل »، وهي من النساء اللواتي أسلمْن وبايعْن الرسول. تزوّجها ثعلبة بن عُبيد من بني النجّار فولدت له عُبَيد بن ثعلبة.[2]

والمزار بالقرب من قبّة السعدين، كانت معالم قبّته لا تزال قائمة حتى الحرب العالمية الأولى.[3]

ــ مسجد رأس العين، ويُقال له : مسجد الحسين، والمسجد المعلّق. يقال إنه أقيم على أنقاض معبد فينيقيّ قديم بجوار نبع رأس العين في سنة ٦١ هـ/٦٨١ م وكان السبب في بنائه ــ حسب رواية لابن شهر آشوب ــ أنّ الجنْد الأمويّين لما حملوا رأس الحسين بن عليّ رضي الله عنه إلى دمشق، مرُّوا ببعلبك، فاستقبلهم سكانها مهلّلين فرِحين بقتل الخوارج، وأقام الجنْد في رأس العين لطلب الراحة، ولكن السيّدة زينب بنت عليّ كشفت الحقيقة لأهل بعلبك وأخبرتهم أنّ الجُنْد يحملون رؤوس القتلى من آل بيت الرسول، فثار البعلبكيّون على جُنْد يزيد بن معاوية، وعندما فشلوا في أخْذ رؤوس القتلى منهم عبّروا عن وفائهم ببناء مسجد في الموضع الذي نُصبت فيه الرؤوس، وأسْمَوْه مسجد الحسين.[4]

---

(١) تاريخ بعلبك ٦٣٣/٢.

(٢) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، للثعالبي ١٩٩ و٣٥٩.

(٣) أنظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٤١١/٨، والإصابة لابن حجر ٣٤٥/٤ رقم ٦٤٠، وكتاب الزيارات للهروي ــ ص ٩، ومعجم البلدان لياقوت ٤٥٤/١ (وفيه اسمها : حفصة).

(٤) تاريخ بعلبك ــ د. حسن عباس نصرالله ــ طبعة مؤسسة الوفاء، بيروت ١٩٨٤ ــ ج ٦٨١/٢.

ـــ مزار السيّدة خَوْلة : بُني فوق قبر السيّدة خولة بنت الحسين بن علي، عند مدخل بعلبك، وكانت خَوْلة من بين السبايا لما حمل الجُنْد الأموي رأس الحسين إلى دمشق، ولها من العمر ستّ سنوات تقريباً، وتُوُفّيت أثناء مرور القافلة ببعلبك. ومزارها معروف إلى الآن.[1] وليس في المصادر التاريخية ما يؤيّد هذا.

ـــ الجامع العُمَريّ : يُحْتَمل أنه تأسّس بعد فتح بعلبك في عهد الخليفة عمر بن الخطّاب فنُسب إليه، مثل الجامع العُمري ببيروت، والجامع العُمري بصيدا. ولا تزال آثار الجامع العمري ببعلبك قائمة حتى الآن في حيّ المهاجرين.[2]

عسل بعلبك

واشتهرت بعلبك في العصر الأمويّ باستخراج العسل الجيّد الذي عمّت شُهرته البلاد، وكان يُقدّم للخلفاء. وقد روت « فاطمة بنت عبد الملك » أنّ الخليفة « عمر بن عبد العزيز » اشتهى يوماً عسلاً، فلم يكن عندنا، فوجّهنا رجلاً على دابّة من دوابّ البريد إلى بعلبك بدينار، فأتى بعسل، فقلت : إنك ذكرت عسلاً وعندنا عسل، فهل لك فيه ؟ قالت : فأتيناه به فشرب، ثم قال : من أين لكم هذا العسل ؟ قالت : وجَّهْنا رجلاً على دابّة من دوابّ البريد بدينار إلى بعلبك، فاشترى لنا عسلاً، فأرسل الى الرجل فقال : انطلقْ بهذا العسل إلى السوق فبِعْهُ، واردُدْ إلينا رأس مالنا وانظر إلى الفضل، فاجعله في عَلَف دوابّ البريد، ولو كان ينفع المسلمين قَيْئي لَتَقَيَّأْت.[3]

---

(١) تاريخ بعلبك ٦٧١/٢، بعلبك في التاريخ للشيخ قاسم الشمّاعي الرفاعي ـــ طبعة المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤ م ـــ ص ٥٣.

(٢) تاريخ بعلبك ٦٨٢/٢.

(٣) كتاب الورع، لأحمد بن حنبل ـــ تحقيق د. زينب قاروط ـــ ص ٨٥ ـــ طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ١٨٩.

وكانت بلدة القاع القرية من بعلبك تصنع العسل أيضاً.[1]

وقال أحمد بن أبي الحواري : بلغني أنّ نصرانيّاً أهدى إلى الأوزاعيّ جرّة عسلٍ وقال له : يا أبا عمرو، تكتب إلى والي بعلبك ! فقال : إنْ شئتَ رَدَدْتُ الجرَّة وكتبت لك، وإلّا قبِلْتُ الجرّة ولم نكتب لك. قال : فردّ الجرّة وكتب له، فوضع عنه ثلاثين ديناراً.[2]

وروى عبد الغفار بن عفّان ابن صهْر الأوزاعيّ قال : نزل الأوزاعيّ بالقاع بأهل بيت من أهل الذّمّة، فرفقوا به فخدموه، فقال لرجلٍ منهم : أَلَكَ حاجة ؟ قال : فشكا إليه ما أُلزِم من الخراج، فكتب له إلى عامل الخراج ــ وهو ابن الأزرق ــ وكان غلاماً لأبي جعفر على الخراج، قال : فلما دفعت (الرسالة) إليه وضعها على عينيه، فقال : حاجتك ؟ فذكرها، فقضاها له، فلما انصرف (الأوزاعي) ذكر لأمرأته، فقالت : ويْحَك، إهْدِ له هديّة ــ وكان صاحب نحْلٍ ــ فملأ قُمقُماً له من نحاسٍ شَهْداً، وأقبل به إلى الأوزاعيّ، فلما رآه الأوزاعيّ قال : أَلَكَ حاجة ؟ وسأله عن خراجه، فأخبره أنه قد بقي عليه ثمانية دنانير، قال : فتجدُها ؟ قال : قد عسُرت عليّ في أيّامي هذه. قال : فدخل الأوزاعيّ منزله وأخرج إليه الدنانير فقال : إذهب حتى تؤدّيها عنك، فأبى. قال : فخذ قمقمك قال : يا أبا عمرو وأيّ شيء ذاك ؟ إنما ذاك من نحلي. قال : أنت أعلم، إن شئتَ قبِلْنا منك وقبِلْت منّا وإلّا ردذْنا عليك كما رددت علينا. قال : فأخذ النصرانيّ الدنانير وأخذ الأوزاعيّ القُمْقُمْ.[3]

---

(١) تقدمة المعرفة، لابن أبي حاتم الرازي ٢١٠/١.

(٢) حلية الأولياء ١٤٣/٦، صفة الصفوة، لابن الجوزي ٢٥٧/٤؛ التذكرة الحمدونية ١٦٣/١ رقم ٣٦٩

(٣) تقدمة المعرفة ٢١٠/١ و٢١١.

إنّ هذه الأخبار تدلّ على ازدهار صناعة العسل في بعلبك ونواحيها في جبل لبنان، مما يعني وفْرة الأزهار والثمار، والعناية بتربية النحْل في العصر الأموي. وقد مرّت حكاية عمر بن عبد العزيز مع عامل بعلبك ابن معدي كرب بشأن العسل.

نقود بعلبك

أما أهمّ ما تفرّدت به بعلبك دون جميع المدن « اللبنانية »، فهو أنها كانت داراً لضرب النقود في العهد الأموي، حيثُ وصلتْنا بعض قِطَعها، وهي تحمل على وجهٍ منها عبارة :

« لا إله إلّا الله »

« بعلبك »

« محمد رسول الله »[1]

وتحتها اسم المدينة :

وعلى الوجه الآخر :

ومنها قِطَع ظهر على وجهها الأول رسْم للإمبراطور هرقْل وابنه، وعلى الوجه الآخر حرف ــ M ــ يعلوه شارة الصليب، وحروف لاتينية تدلّ على الاسم اليوناني لبعلبك « هليو پولس »، وفي الأسفل نقش اسم « بعلبك » بالعربية.

ومنها قِطَع دراهم، نُقش على الوجه الأول منها رسْمٌ للخليفة معتمراً عمامة مع عبارة « أمير المؤمنين »، وعلى الوجه الآخر : « محمد رسول الله » واسم المدينة « بعلبك ». ومنها قِطَع تحتل على أحد وجهيها عبارة :

« لا إله إلّا الله وحده لا شريك له »

وعلى الوجه الآخر عبارة :

« ضُرب في بعلبك »

---

(١) لبنان في التاريخ، للدكتور فيليب حتي ــ ص ٢٩٥.

حوادث في تاريخ بعلبك

أشارت المصادر التاريخية إلى بعض الحوادث المتفرّقة التي شهدتها مدينة بعلبك في العهد الأموي، والتي لا يمكن أن نُهملها ونُسْقِطها من دراستنا عملاً بالأمانة العلمية، وإن كانت هذه الحوادث لا رابط بينها، فإنّ الرباط الذي يجمع بينها هو مدينة بعلبك نفسها محور هذه الدراسة، وهدفنا أن نحشد مختلف الأخبار التي نجدها في المصادر القديمة عن المدن « اللبنانية »، فذلك يضيئ لنا بعض جوانب تاريخ « لبنان » وساحل الشام، ويعوّض بعض النقص الفادح في المعلومات المدوّنة على يد الباحثين المحدَثين.

• ففي سنة ٣٩ هـ/٦٦٠ م. وجّه معاوية إلى بلاد الجزيرة الفراتية : « عبد الرحمن بن قُباث بن أَشْيَم »، وكان عامل الجزيرة « شبيب بن عامر الكِرْماني » في نصيبيّن آنذاك، فكتب شبيب إلى « كُمَيْل بن زياد » يخبره بذلك، فسار « كُمَيْل » في (٦٠٠) فارس لنجدته، فأدرك « عبدَ الرحمن » ومن معه وهزمه، وحين عاد « شبيب » من نصيبّين ورأى أن « كُمَيْل » أوقع بالشاميّين فرح بذلك، وأراد مطاردة المنهزمين من الشاميّين فلم يتمكّن من اللحاق بهم، ولهذا عبر الفرات وبثّ خيله فأغارت على أهل الشام حتى بلغ بعلبك وأرضها، فوجّه إليه معاوية « حبيبَ بنَ مَسْلَمَة » فلم يدركه، وعاد « شبيب » إلى الرّقّة...[1]

• وفي سنة ٦٩ هـ/٦٨٩ م. أغارت خيل الأعراب على حمص وبعلبك والبقاع،[2] ولم تؤثّر هذه الغارة على توازنُ حُكم « عبد الملك بن مروان »، كما مرّ معنا.

---

(١) أنساب الأشراف (تحقيق محمد باقر المحمودي) ــ ص٤٧٦، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣٧٩/٣.

(٢) مروج الذهب ١٠٥/٣.

• وفي عهد « سليمان بن عبد الملك » ــ على الأرجح ــ كان « عمر بن هُبيرة الفَزاريّ » قد ظلم « عبدَ الله بن الحَجّاج الثقفيّ » حقّاً له واستعان عليه بقومه، فلقَوْه في بعلبك، فعاونوا « عبدالله بن الحجّاج » عليه وفرّقوه بالسياط حتى انتزعوا حقّه منه، فقال « عبدالله » في ذلك أبياتاً، ذكرها صاحب « الأغاني ».[1]

و« عمر هُبَيرة » هو الذي غزا على اسمه وعطائه : « الليث بن تميم الفارسي الطرابلسيّ » إلى القسطنطينية في عهد « سليمان » سنة ٩٧ هـ/ ٧١٦ م. والخبر في « الأغاني » لا يوضّح علاقة « ابن هُبيرة » ببعلبك، ولا علاقة « ابن الحجّاج » بها أيضاً، ويُحتمل أنّ « ابن هبيرة » كان والياً على بعلبك في ذلك الوقت. والمعروف أنّ الخليفة « عمر بن عبد العزيز » عيّن « ابن هبيرة » عاملاً على الجزيرة سنة ١٠٠ هـ وجمع له « يزيد بن عبد الملك » العراق في سنة ١٠٣ هـ وعزله « هشام بن عبد الملك » عن الجزيرة والعراق سنة ١٠٥ هـ وتوفي في تلك السنة.[2]

وأهمّ ما يلاحظ في الأخبار الثلاثة التي أوردناها، هو تفرّد مصدر واحدٍ برواية كل خبر منها، دون أن نجد صدىً لهذه الأخبار في المصادر الأخرى. فالبلاذريّ ينفرد بالخبر الأول، والمسعودي ينفرد بالخبر الثاني، وأبو الفرج الأصبهاني ينفرد بالخبر الثالث.

وهناك خبر انفردت به المصادر اليونانية فقط يقول : إن الوليد بن عبد الملك انتزع من كنيسة بعلبك الفخمة عرشاً مذهّباً، ونقله إلى مسجد عمر في القدس.[3]

---

(١) الأغاني ١٣/١٧٠.

(٢) المعارف ٣٦٥، تاريخ الطبري ٦/٥٥٦ و٦١٧ و٧/٢٦، وتاريخ خليفة ٣٢٨ و٣٣٥، ووفيات الأعيان ٢/٢٢٩، والتذكرة الحمدونية ١/١٠٢.

(٣) تاريخ كنيسة أنطاكية ــ خريسوستمس بابا دو بولس ــ تعريب الأسقف استفانس حدّاد، =

البقاع ونختم الحديث عن بعلبك بالقول إنّ تاريخها مرتبط ارتباطاً وثيقاً بإقليم البقاع، فما كان يجري فيها وحولها ينعكس على الإقليم بكامله، ولهذا فإن الأخبار التاريخية تتمحور دائماً حول عاصمة الإقليم المركزية، غير أنّ هذا لم يمنع من ذكر كلٍّ من :

بلدة القاع[1] التي نزلها الإمام الأوزاعي واستضافه بها بيت من أهل الذّمّة، وهي تُعنى بتربية النحل واستخراج العسل. وتقع هذه البلدة شماليّ بعلبك في الطريق إلى حمص.

وبلدة **كَرْك نوح** التي تعلّم فيها الإمام الأوزاعي،[2] ممّا يعني أنها كانت تشهد حركة علميّة في العشر الأخير من القرن الأول الهجري، وأنه كان بها جماعة من التابعين وتابعي التابعين، فأخذ عليهم اللغة والحديث والفقه وغيره، حتى قيل إنه سُئل عن الفقه واستُفْتي وله ثلاث عشرة سنة.[3] وذلك في سنة ١٠٠ أو ١٠١ هـ أي في خلافة « عمر بن عبد العزيز ».

ذكرها ياقوت في « معجم البلدان » فقال : كَرْك : بسكون الراء، وآخره كاف. قرية في أصل جبل لبنان.[4] وهي شماليّ زحلة والمعلّقة، وقد أصبحت هذه الثلاث بلدة واحدة.

عين الجرّ (عَنْجَر) يرد ذكْرها في المصادر العربية لأول مرة على عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك، حيث كانت منتزهاً له،[5] وللخلفاء الأمويّين من

= منشورات النور، بيروت ١٩٨٤ ــ ص ٥٥٠ نقلاً عن: حوليّات Mednikov II, 185 لأفتيخيُس الإسكندري، وتاريخ ثيوفانس ٣٧٥، ٣٧٦، ومقطع من تاريخ التزيين الشريف عام ١٦٧٧ لنكتاريُس الأورشليمي ــ ص ٢٧٣.

(١) لم يذكرها ياقوت في معجم البلدان.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١١٥/١٠.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات، للنووي ج ١ ق ٢٩٩/١.

(٤) معجم البلدان ٤٥٢/٤، المشترك وضْعاً والمفترق صقْعاً، لياقوت أيضاً ٣٧١.

(٥) تهذيب تاريخ دمشق ٣٧٢/٥.

بعده. قال ياقوت في معجمه : « عين الجرّ : موضع معروف بالبقاع بين بعلبك ودمشق، يقولون إنّ نوحاً، عليه السلام، منه ركب في السفينة ».[1] وهي في وسط الطريق بين دمشق وبيروت.

واسم « عنجر » مركّب من كلمتين : « عين » و« الجرّ »، فالعين تعني ينبوع الماء، و« الجرّ » يُقصَد بها « أسفل الجبل » وبذلك يكون الاسم مأخوذاً من موقع عين الماء المنبجس عند أسفل الجبل.[2] وتُعرف الآن بـ« عنجر » و« مَجْدل عنجر ».[3] وكان اسمها قديماً « كالسيس Chalcis » وذلك حين اتّخذ منها الأيطوريّون أو الطورونيّون،[4] وهم قبائل عربية من حَوْران، عاصمةً لهم، وذلك في القرن الأول قبل الميلاد، بعد انقسامات الدولة السلوقيّة.[5]

وقد جاءت هذه المدينة الأمويّة مربّعة الشكل يحيط بها سور هائل يكاد يكون مربّعاً، يمتدّ كلّ ضلع منه على مسافة ٤٠٠ متر تقريباً. وعلى طول الأسوار المسنَّنة أبراج دائرية ومرائب لقذف الحجارة والحِمَم. وفي وسط جدران الأسوار بوّابات أثريّة كبيرة. ويخترق المدينة طريقان رئيسيّان، يتقاطعان في وسطها، كما يقوم على جانبيها رواقان، يتّجهان شرقاً بغرب، وشمالاً بجنوب. ويقوم عند تقاطع الطريقين مدخل ذو أربعة أبواب، يُفضي إلى جميع الأبواب. وتخترق كل شارع قناة مياهٍ في وسطه وتمتدّ لتصبّ في

---

(١) معجم البلدان ١٧٧/٤.

(٢) دور العروبة في تراثنا اللبناني، للدكتور زكي النقّاش — ص ٣٠ — الطبعة الثانية، بيروت ١٩٧٤.

(٣) إعرف لبنان ١/دون ترقيم للصفحات (أنظر: قضاء زحله) ترتفع عن سطح البحر ٩٧٠ متراً، وتبعد عن بيروت ٥٩ كيلومتراً.

(٤) تسريح الأبصار لهنري لامنس — ج ٣٩/٢، ودواني القطوف للمعلوف — طبعة بعبدا ١٩٠٧.

(٥) مدن بلاد الشام — ترجمة د. إحسان عباس ٦٥، تاريخ لبنان لجواد بولس ١٨٧.

بركة ماء، قريباً خارج السّور. وعلى جانبيْ طُرُق المدينة أعمدة تلتفّ حول سلسلة الأسوار بقناطر معلّقة تكتنف نحو ٦٠٠ متجر. وتبدو القناطر مرتفعة متباينة في أشكالها وأحجامها وجماليّاتها ويبدو معها التأثير الهندسي الروماني والبيزنطي، ولكن الطابع العربي الهندسيّ المميّز بقي طاغياً على مُجمل المدينة. ويحدّد الشارعان الرئيسيّان أربعة تجمّعات حيث يوجد المسجد في الطريق المتّجه شرقاً بغرب. ويقوم تجاه المسجد قصر صغير. ويطلّ على الطريق الآخر، المتّجه شمالاً بجنوب قصر ثانٍ كبير، يحيط بفُسْحةٍ مربّعة طولها (٤٠ متراً) تحفّ بها القناطر شاطرةً القصر إلى قسمين متماثلين. ويقوم بالقرب من مدخل المدينة الشماليّ عدد من الحمّامات. وهناك بقايا قصور أخرى، وحمّامات، ومخازن المحاصيل، ومنازل خاصّة وتجهيزات حِرَفيّة في النصف الغربي من المدينة.[١]

وهناك بقايا مسجد أثريٍّ تقوم على أنقاض مسجدٍ أكبر منه،[٢] نرجّح أنه من بناء « الوليد بن عبد الملك ».

حكاية الساحر اليهودي وبركة عنجر

وقد ورد في « تاريخ دمشق » لابن عساكر رواية طريفة تتعلّق ببركة المياه في عين الجرّ، تقول :

« قال ابن أبي المهاجر ـــ اسماعيل بن عُبيدالله الذي كان مرابطاً في بيروت ـــ : ولّى الوليد بن عبد الملك عمرَ بن عبد العزيز المدينة فأتاه أهلها فذكروا له أنّ بها يهوديّاً قد أفسد النساء على الرجال والرجال على النساء

(١) دور العروبة في تراثنا اللبناني، للدكتور النقّاش ٣٦، الفنّ الإسلامي لدافيد تالبوت رايس ـــ ترجمة د. منير صلاحي الأصبحي ـــ مطبعة جامعة دمشق ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧ م ـــ ص ١٦، لبنان ـــ نشر المجلس الوطني للعلاقات الاقتصادية الخارجية بلبنان ـــ طبعة مانييغو بإيطاليا ١٩٨٣ ـــ ص ٦١ ـــ ٦٣.

(٢) لبنان ـــ نشر المجلس الوطني ـــ ص ٦٢.

بسحره، فبعث إليه عمر فنفاه عن المدينة إلى دمشق، وكان يُقال له (زُرْعة بن إبراهيم) من أهل خيبر، فلما أتى دمشقَ نزل على (جناح) مولى الوليد، فكان في خدمته.

ثم إنّ الوليد خرج إلى عين الجرّ متنزّهاً، فخرج معه (جناح) ومعه (زُرْعة). ثم إنّ الوليد قال ذات ليلة : يا جناح قد أرّقني نقيق الضفادع في هذه البركة، فقال له جناح : إنّ عندي يهوديّاً معه عِلم يذكر أنَّ معه الاسم الأعظم، وأرجو أن يكون عنده في ذلك شيء. فرجع جناح إلى رَحْله فقال له : يا زُرْعة، إنّ أمير المؤمنين شكا إليّ نقيق الضفادع، أفَعِنْدك فيها حكمة ؟ قال : نعم. فأخذ أربع شقاف فكتب فيها كلاماً بالعبرانيّة ثم ألقاها في أربع زواياها، في كل زاوية شقفة، فهدأ النقيق. فأرسل الوليد إلى جناح يسأله : ما هذا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ذلك اليهوديّ الذي عرَّفْتُك فعل كَيْت وكَيْت. فقال : قد أوحشني ذلك، فلو نقّ منها عِداد. فقال ذلك جناح لزُرْعة، فأخذ شقفة فكتب فيها كلَاماً بالعبرانية وألقاها في البركة فنقّ منها عِداد. فكتب وكيل عمر بن عبد العزيز إلى عمر وهو بالمدينة يخبره بقصّة الرجل الذي نفاه وما كان من أمره وقصّته في الضفادع، فكتب عمر إلى الوليد : يا أمير المؤمنين إنّ هذا اليهوديّ قد ضجّ منه أهل المدينة وقد أفسد أهلها ولا آمن أن يفسد الشام. فبعث إليه الوليد فأخبره بكتاب عمر وقرأه عليه وهمّ بقتْله. فقال له زُرْعة : إنّي أتوب يا أمير المؤمنين إلى الله من السحر، وأُسْلِم على يدك.

قال ابن أبي المهاجر: صحّ عندنا إسلامه ولم تصحّ عندنا توبته من السحر ». [1]

* * *

(١) تهذيب تاريخ دمشق ٣٧٢/٥، ٣٧٣ وقد روى الإمام الأوزاعي حكاية أخرى عن هذا اليهوديّ الساحر. أنظر : تاريخ بغداد ٢٩٥/٦، وتهذيب تاريخ دمشق ٣٧٠/٤.

موقعة عنجر

وقد شهدت عين الجرّ والأرض المنبسطة عندها الموقعة الهائلة التي دارت بين آخر الخلفاء الأمويّين « مروان بن محمد » وخصمه « سليمان بن هشام بن عبد الملك » واشترك فيها بين المائة وعشرين ألفاً، والمائتي ألف رجل. وكان سبب هذه الحرب أنّ « مروان بن محمد » أظهر أنه يريد البيعة ليزيد بن الوليد بعد مقتل « الوليد بن يزيد »، وأن « إبراهيم بن الوليد » طلب البَيْعة لنفسه، فخرج « مروان » إلى قنّسرين ودعا أهلها إلى مبايعته، فمال إليه « يزيد بن عمر بن هُبيرة » في القَيْسيَّة، ثم رحل إلى حمص فخرج أهلها وبايعوه، وساروا بأجمعهم معه. ومن جهة أخرى أرسل « إبراهيم بن الوليد » جنوداً مع « سليمان بن هشام » فسار بهم حتى نزل عين الجرّ، وهم يبلغون عشرين ومائة ألف فارس، وجاء « مروان » في نحوٍ من ثمانين ألفاً، فالتقيا « فدعاهم مروان إلى الكفّ عن قتاله، والتخْلية عن ابني الوليد : الحَكَم وعثمان، وهما في سجن دمشق محبوسان، وضمن عنهما ألّا يؤآخذاهم بقتْلهم أباهما، وألّا يطلُبا أحداً ممّن ولي قتله، فأبَوْا عليه، وجَدُّوا في قتاله، فاقتتلوا ما بين ارتفاع النهار إلى العصر، واستحرّ القتْل بينهم، وكثُر في الفريقين.

وكان مروان مجرّباً مُكايداً، فدعا ثلاثة نفر من قوّاده ــ أحدهم أخ لإسحاق بن مسلم يقال له عيسى ــ فأمرهم بالمسير خلف صفّه في خيله وهم ثلاثة آلاف، ووجّه معهم فَعَلَةً بالفؤوس، وقد ملأ الصَّفّان من أصحابه وأصحاب سليمان بن هشام ما بين الجبلين المحيطَيْن بالمرْج، وبين العسكرين نهر جرّار، وأمرهم إذا انتهوا إلى الجبل أن يقطعوا الشجر، فيعقدوا جسوراً، ويجوزوا إلى عسكر سليمان، ويُغيروا فيه. فلم تشعر خيول سليمان وهم مشغولون بالقتال إلّا بالخيل والبارقة[1] والتكبير في عسكرهم من خلفهم، فلما

---

(١) البارقة : السيوف.

رأوا ذلك انكسروا وكانت هزيمتهم، ووضع أهل حمص السلاح فيهم لحَرَدهم عليهم، فقتلوا منهم نحْواً من سبعة عشر ألفاً، وكفّ أهل الجزيرة وأهل قنّسرين عن قتلهم، فلم يقتلوا منهم أحداً، وأتوا مروان من أُسَرائهم بمثل عِدّة القتلى وأكثر، واستُبيح عسكرهم. فأخذ مروان عليهم البَيْعة للغلامَين : الحَكَم وعثمان، وخلّى عنهم بعد أن قوّاهم، بدينار دينار، وألحقهم بأهاليهم، ولم يقتل منهم إلّا رجلين يقال لأحدهما يزيد بن العقّار وللآخر الوليد بن مَصاد الكلبيّان، وكانا فيمن سار إلى الوليد وولي قتْله. وكان يزيد بن خالد بن عبدالله القسْريّ معهم، فسار حتى هرب فيمن هرب مع سليمان بن هشام إلى دمشق، وكان أحدهما ــ يعني الكلبيّين ــ على حَرَس يزيد، والآخر على شُرَطِه، فإنه ضربهما في موقفه ذلك بالسيّاط، ثم أمر بهما فحُبسا، فهلكا في حبْسه ». [1]

وكانت هذه الموقعة في سنة ١٢٧ هـ/٧٤٥ م وحين يتحدّث « المنبجي » عن هذه الموقعة يحدّد مكانها بأنه « قرية فيما بين لبنان وتلّ غزّا »![2].

وفي سنة ١٣٢ هـ/٧٥٠ م جاء « عبدالله بن علي العبّاسي » إلى عين الجرّ، ولبث فيها يومين[3] قبل أن يذهب إلى دمشق. ونرجّح أنه نزل في القصر الأموي وتحَفّظ على مُقتنيات بني أميّة، واستوثق من ولاء أهل المدينة للبيت العبّاسي.

ولا تتحدّث المصادر التاريخية عن أيّ عمليّة تخريب للمدينة في العهد الأموي، ممّا يعني أنها كانت لا تزال قائمة بمعالمها الأموية في العصر العباسي.

---

(١) تاريخ الطبري ٣٠٠/٧ و٣٠٠١، وتاريخ اليعقوبي ٣٣٧/٢، والعيون والحدائق في أخبار الحقائق ١٥٥/٣، وتهذيب تاريخ دمشق ٢٨٨/٦، والكامل في التاريخ ٣٢١/٥ و٣٢٢.

(٢) المنتخب من تاريخ المنبجي (بتحقيقنا) ص ٩٨.

(٣) تاريخ الطبري ٤٠٠/٧، البداية والنهاية ٤٦/١٠.

بيروت

يرتبط تاريخ الفتح الإسلامي لبيروت بتاريخ فتح كلٍّ من : صيدا وعِرْقة وجُبَيْل، حيث جرى فتح هذه المدن كلّها في وقت واحد، حسب رواية « البلاذُري »، وذلك نحو سنة ١٣ هـ على الأرجح، ويظهر أنها كانت صغيرةً وغير محصّنة بما يكفي، ولهـذا كان فتحها فتحاً يسيراً، على يد « يزيد بن أبي سفيان »، وكان في مقدّمة جُنْده أخوه معاوية. ونتج عن الفتح أن أُجلي الكثير من أهلها،[1] من الروم في الغالب.

ومما يُلْفِت النظر أن المؤرّخ « الطبريّ » لا يتحدّث عن فتح بيروت مطلقاً، وليس في تاريخه أيّ خبر عنها، بالرغم من أنه نزلها في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري وقرأ فيها.[2]

ومنذ أن فُتحت، أصبحت بيروت تابعة لولاية « يزيد بن أبي سفيان »، وبعد وفاته في سنة ١٨ هـ أصبحت تابعة لمعاوية والي الشام، وصارت تُعرف بساحل دمشق. ونظراً لموقعها الجغرافي فقد أصبحت الميناء الطبيعيّ لدمشق، ولهذا فإنّ معاوية اهتمّ بها وراح يُرسل إليها الناس لسُكناها وإعمارها والدفاع عنها، خصوصاً بعد أن تمكّن البيزنطيّون من الاستيلاء على ساحل الشام لمدّة سنتين بعد فتحه، فكان أكثر أهلها من الفُرس الذين نقلهم معاوية إليها.[3]

ولقد أسهمت بيروت مثل غيرها من المدن الساحلية في الغزوات البحرية التي قام بها المسلمون إلى جزر المتوسّط، كما أسهمت في الدفاع عن سواحل الشام، فرابط فيها جماعة من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين الذين

(١) فتوح البلدان ١/١٥٠، الخراج، لقدامة ٢٩٥.
(٢) تاريخ دمشق (المخطوط) ٥٧٩/١٩، معجم الأدباء ٥٢/١٨، معرفة القرّاء الكبار ٢١٣/١.
(٣) البلدان لليعقوبي ٢٣٧.

استعرضنا أسماءهم في دراستنا عن الرباط والمرابطين. فكانت مُرابط أهل دمشق منذ عهد الخليفة عمر بن الخطّاب، إذ سأل « سلمان الفارسيّ » الدمشقيّين عن « أبي الدرداء » فقالوا له : إنه مرابط، فقال : وأين مرابطكم يا أهل دمشق ؟ قالوا : بيروت. فخرج للرباط معه هناك.[1]

ويقول « ابن حَوْقَل » : « بيروت على ساحل بحر الروم، وهي فُرْضة بعلبك، وبها يرابط أهل دمشق وسائر جُندها، وإليها ينفرون عند استنفارهم ».[2]

الوُلاة في بيروت

كانت بيروت من جُنْد دمشق يليها عامل من قِبَل واليها على عهد الخليفتين عمر وعثمان، ثم أصبح خلفاء بني أميّة في دمشق يُولُّون عليها الوُلاة.

وقد وصَلَنا اسم اثنين من وُلاتها في العصر الأمويّ، هما : « عبد الرحمن بن سُلَيم الكلبي » و« أيّوب بن خالد الجُهَني ».

١ ــ **عبد الرحمن بن سُلَيْم الكلبي** كنيته : أبو العلاء، عُرف بوالي بيروت وأمير الساحل. أتى ابن عساكر على ذِكْره عَرَضاً في سياق حديثه عن حملة بحرية قام بها البيزنطيّون إلى ساحل الشام وحاصروا طرابلس على عهد « الوليد بن عبد الملك » (٨٦ ــ ٩٦ هـ) حيث يقول إنّ والي بيروت أمير الساحل عبد الرحمن خفّ في جماعة من أهلها لنجدة أهل طرابلس، وسلك الطريق الساحلية عبر « وجه الحجر »، وتولّى بنفسه التفاوض مع البيزنطيّين

---

(١) تاريخ دمشق (المخطوط) ٩٢/١٦ و٣٧٨/٢٤.

(٢) صورة الأرض لابن حوقل ١١٦.

بعد دخوله المدينة لتقرير رفع حصارهم وانسحابهم، وأخذ العهد عليهم أن لا يغيروا على شيءٍ من أرض المسلمين في ذلك العام.[1]

ولقد أفادنا هذا الخبر أمرين مهمّين، أحدهما أنّ النظام الإداريّ في الإشراف على مدن ساحل الشام كان يمنح العامل على المدينة لَقَبَيْ : الوالي وأمير الساحل. إذ كان الوالي يشرف على قيادة الأسطول البحري في ثغر بيروت وما حوله، بالإضافة إلى مهمّاته في المدينة نفسها وما يتبعها من كورتها. وهذا الأمر كان معمولاً به في طرابلس أيضاً، إذ كان عاملها « سُحَيم بن المهاجر » أميراً عليها، وأميراً لغزو البحر، في آنٍ.

أمّا الأمر الثاني، فيؤكّد على دور بيروت وقدرتها في أواخر القرن الأول على إرسال قوّاتٍ لنُصْرة مدينة أخرى تبعد عنها نيّفاً وثمانين كيلومتراً، مما يعني أنّ المسلمين الذين استوطنوها كانوا قد بلغوا درجة من القوّة والكثرة تمكّنهم من إمداد المدن الساحلية الأخرى.

ولما كان « ابن عساكر » لم يضع ترجمة لعبد الرحمن الكلبي ـــ وإنّما أتى على ذِكْره عَرَضاً ـــ فقد لجأنا إلى كتب التواريخ لنلقي الضوء على شخصيّته، فأفادنا « الطبري » أنه كان مع عبد الملك بن مروان ضدّ عمرو بن سعيد بن العاص حين عصى الأخير بدمشق في سنة ٦٩ هـ.[2]

وفي سنة ٨٢ هـ كان على مَيْمنة الحَجّاج بن يوسف الثقفي في حربه مع ابن الأشعث في موقعة الجماجم.[3] ومن المحتمل أنه عاد بعد ذلك ليصبح والياً على بيروت إذ يُلاحظ أنّ جميع المصادر التاريخية تُهمل الحديث عنه بين سنتي ٨٣ ـــ ١٠٠ هـ وهي المدّة التي نرجّح أنه ولي بيروت خلالها.

---

(١) تاريخ دمشق (المخطوط) ٥٩٨/٢٢.

(٢) تاريخ الطبري ١٤١/٦.

(٣) تاريخ الطبري ٣٤٩/٦، الكامل في التاريخ ٤٧١/٤.

ثم نقرأ في حوادث سنة ١٠١ هـ أن يزيد بن عبد الملك أرسله عاملاً على خُراسان، فلما بلغه خلْع يزيد كتب إليه : « إنّ جهاد من خالفك أحبّ إليّ من عملي على خُراسان، فلا حاجة لي فيها، فاجعلْني ممّن توجّهني إلى يزيد بن المهلّب ».[١]

وفي حوادث سنة ١٠٢ هـ نراه عاملاً على البصرة.[٢] ويذكره اليعقوبي في تاريخه ضمن حوادث سنتي ١٠٣ و١٠٤ هـ ويدعو أباه باسم « سليمان » بدلاً من « سُليم »، ويقول : إنه في السنة ١٠٣ غزا مع « عثمان بن حيّان المُرّيّ » فنزلا على حصن ففتحاه.[٣] بمعنى أنه غزا هو في البرّ، وعثمان في البحر، وكان الغزو باتّجاه دولة الروم في شمال الشام. وخرج على الصائفة في غزوة سنة ١٠٤ هـ[٤] وتنقطع أخباره بعد ذلك مما يوحي بأنه تُوُفّي قريباً من ذلك.

٢ ــ أيّوب بن خالد الجُهَني الحرّاني، أبو عثمان وُلّي بيروت في عهد يزيد بن عبد الملك (١٠١ ــ ١٠٥ هـ) وكان محدّثاً. قال أبو عَرُوبة الحرّاني : وُلّي أيّوب بيروت، فسمع من الأوزاعيّ هناك بأحاديث مناكير.[٥]

وقد أخطأ بعضهم فقال إنّ أيّوب وُلّي « بريد بيروت »،[٦] وهو ينقل ذلك عن نسخة خطّية من كتاب « الكامل في ضعفاء الرجال » لابن عديّ.

---

(١) الطبري ٥٨٤/٦.

(٢) الطبري ٦٠٥/٦.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٣١٥/٢.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٣١٥/٢ وانظر عنه في تاريخ الطبري ١٤١/٦ و٣٤٩، وتاريخ خليفة ٣٢٨ و٣٣٠ و٣٣٥، والفتوح لابن أعثم ٢٥/٢ و٢٧، وتاريخ دمشق (المخطوط) ٥٩٤/٢٢.

(٥) تهذيب تاريخ دمشق ٢٠٧/٣.

(٦) ذكر ذلك الصديق الدكتور بشّار عوّاد معروف في تحقيقه لكتاب « تهذيب الكمال » للمزّي ــ ج ٤٧١/٣ بالحاشية رقم (١) حيث نقل عن « ابن عديّ » : « ولي بريد بيروت فسمع من الأوزاعيّ هناك.. ».

ونقول : إنّ عبارة « ابن عديّ » في كتابه المطبوع : « ولي يزيد بيروت ».[1] وهذه العبارة خاطئة أيضاً، والصحيح ما جاء في « تهذيب التهذيب »[2] لابن حجر : « ولي ليزيد بيروت ». أما عبارة « ابن عساكر » في تاريخ دمشق فهي : « ولي أيوب بيروت ».[3] فيتّضح إذاً أنّ التحريف والغلط وقع في اسم « يزيد » وهو الخليفة (يزيد بن عبد الملك)، فأصبح « بريد » ! والطريف أنّ لأيّوب حكاية مع الأوزاعيّ لها علاقة بالبريد، حيث قال :

« خرجت إلى الأوزاعيّ فوافَيْته بدمشق، فقال لي : من أين جئتَ ؟ قلت : من حَرّان في ثمانية أيام. فقال لي من حَرّان إلى دمشق في ثمانية أيام! قليل على أيّ شيء جئت؟ فقلت: على البريد. فقال لي والله لا أحدّثك بحرفٍ أو ترجع إلى حَرّان وتجيْ على راحلتك أو على كذا حتى أحدّثك. قال: فرجعت إلى حَرّان واكْتريت منها وجئت إليه إلى البيت ومعي المكاريّ[4] حتى يشهد لي. ثم حدّثني ».[5]

* * *

نستطيع أن نتبيّن يقيناً من اسمَيْ الواليَيْن الأمويَّين المذكورَين هويّة القبيلة العربية التي كانت بطونٌ منها قد نزلت بيروت. فعبد الرحمن الكلبي من اليمنيّين، وأيّوب الجُهَني من جُهَينة وهي قبيلة يمنية أيضاً من قُضاعة،[6] منهم كلْب وجُهَينة.[7] ونحن نعرف من شِعْرٍ للقطاميّ التغلبيّ إبّان الصراعات

(١) الكامل في الضعفاء لابن عدّي ـــ ج ١/٣٥٠.
(٢) ج ٤٠١/١.
(٣) تهذيب تاريخ دمشق ٢٠٧/٣.
(٤) المكاريّ : هو صاحب الدّوابّ الذي يسوقها أو يؤجّرها. والمكاريّ من الكراء.
(٥) تهذيب تاريخ دمشق ٢٠٧/٣.
(٦) اللباب لابن الأثير ٣١٧/١.
(٧) اللباب ٤٣/٣.

القَيْسيّة ــ اليمنيّة بالجزيرة عام ٧٠ هـ، أنّ بُطوناً من قبيلة كلب اضْطرّت تحت ضغط القبائل القَيْسيّة إلى مغادرة مواطنها الأصليّة على ضفاف الخابور إلى البقاع ومشارف بيروت.[١]

* * *

غزوة البيزنطيين إلى بيروت

وفي عهد « هشام بن عبد الملك » (١٠٥ ــ ١٢٥ هـ) قام البيزنطيون بغزوة بحرية إلى بيروت فهاجموا ميناءها واستولوا على سفينة لجماعة من تجّار مرسية، وتقدّموا بسُفُنهم حتى قاربوا باب الميناء، فوقف أهل الميناء وهم يُمسكون بأيديهم خوفاً ورهبة، حتى خرج إليهم أمير البحر « الأسود بن بلال ــ ويقال : ابن هلال ــ المحاربي »[٢] فصاح بهم وركب قوارب صغيرة وأجهد نفسه في طلب البيزنطيّين حتى لحِق بسُفُنهم وأوقع بمقاتليها واستنفذ المركب والتجّار.[٣]

وتدلّ هذه الحادثة على أمرين مهمَّيْن :

أحدهما : أنّ ثغر بيروت أظهر في هذه الفترة قابليّة لاستقبال السفن والقبض على الخطوط التجارية الطويلة، فعندما كان الأسطول البيزنطي يغير على بيروت كانت ترسو في مينائها سفن من مرسيّة بالأندلس.

---

(١) ديوان القطاميّ ١٨، ١٩.

(٢) وقع التحريف في اسم أبيه وفي نَسَبه، فقيل « ابن بلال » بالباء (في تاريخ الطبري ٦٧/٧، وتاريخ دمشق (المخطوط) ٧٦٧/٤٦، والكامل في التاريخ ١٥٨/٥) وقيل « هلال » بالهاء (في : التاريخ الكبير للبخاري ــ مجلد ١ ت ٤٤٩/١، وهو « المحاذي » بدل « المحاربي » في : الكامل في التاريخ، وهذا تصحيف. وهو عند ابن حجر : أبو سلام الأسود الكوفي. مخضرم ثقة جليل. ــ(تقريب التهذيب ــ نشره عبد الوهاب عبد اللطيف ٧٧/١ بيروت ١٩٧٥).

(٣) تاريخ دمشق (المخطوط) ١٨/٦، وتهذيبه ٤٧/٣.

ثانيهما : عدم وجود قطع بحرية كبيرة في ميناء بيروت أثناء الغارة البيزنطية، مما جعل أمير البحر يخرج في قوارب صغيرة لمطاردة البيزنطيّين.

ويبقى سؤالٌ هنا نطرحه : هل كان « الأسود بن بلال » أميراً على البحر في بيروت، لأنه خرج منها لقتال البيزنطيين ؟ أم كان أميراً للبحر في غير بيروت ؟

هذا ما لا توضّحه الرواية. ولكنّنا نعرف أنّ « هشام بن عبد الملك » أنشأ دار صناعة السفن في ثغر صور، وولّى الأسود إمارة البحر، فيُحْتمل أن الأسود جاء من صور إلى بيروت لمساعدة أهلها ضدّ البيزنطيّين، كما فعل « عبد الرحمن الكلبي » حين خرج من بيروت إلى طرابلس، كما مرّ.

الوليد بن يزيد يذكر بيروت في شِعْره

يكاد أن يكون « الوليد بن يزيد بن عبد الملك » (١٢٥ ــ ١٢٦ هـ) الخليفة الأمويّ الوحيد الذي زار بيروت والقرى المشرفة عليها، وصارت له ذكريات فيها فأنشد يذكرها في شِعْره، وكان المغنّون يتغنَّوْن بقوله :

رُبَّ بـيتٍ لـيس لنـا ببـلادٍ ... سوف تأتيه من قُرى بيروتِ
من بلادٍ ليس لَنَـا ببـــلادٍ ... كلّما جئتُ نحوها حُيـيتِ
أُمَّ سلّامَ لا بَرِحْت بخيـــرٍ ... ثمّ لا زلت جنّتي ما حييتِ
طرباً نحوكـم وتَوْقـاً وشوْقـاً ... لادّكاريْكُـمُ وطيبِ المبيـتِ
حيثما كنتِ من بلاد وسرتـم ... فوقـاك الإلــه ما قد خشيتِ[1]

وقوله :

إذا شئتُ تصابـــــرتُ ... ولا أصبُـــــر إن شيتُ

(١) الأغاني ٤٢/٧ وقد تغنّى بالأبيات عمر بن داود بن زاذان المعروف بعمر الوادي (٨٥/٧).

ولا واللهِ لا يصبر في البرّية الحوتُ
ألا يا حبّذا شخصٌ حَمَتْ لُقْياهُ بيروتُ[1]

وما دُمنا في هذا المجال، يحسُن أن نذكر أنّ بعضهم رأى منقوراً على صخرةٍ ببيروت :

جُدْ فقد أسمعك الصوت بادِرْ ألا فهو الفَوْت
والْهَجْ بما شئت وعِشْ آمناً آخر هذا كلّه الموت[2]

الحياة العلمية في بيروت

في ظلّ الأجواء الضاغطة التي كانت تحياها الثغور الساحلية كمدن مواجهة بين الدولة الأموية والدولة البيزنطية، وفي حمأة الصراع المستمرّ بين القوّتين، لم يكن منتظراً أن تشهد بيروت ولا غيرها من المدن « اللبنانية » حياة علميّة مستقرّة بالمعنى المفهوم الآن، بل كان عليها أن تنتظر الوقت المناسب، وهذا ما حصل لاحقاً.

وإذا كانت هناك من حركة علميّة ما، فقد بدأت بواكيرها مع ما كان يحمله الصحابة والتابعون في صدورهم من علوم قرآنية وحديثيّة وأدب قصصي وأخباريّ، وربّما لم تتحوّل هذه الحركة إلى مدرسة لها حلقاتها المنتظمة إلى حدٍّ ما إلّا مع الإمام الأوزاعيّ، الذي أسّس أول حلقة دراسية في بيروت بعد أن نزلها في أول القرن الثاني الهجري، وأخذت المدينة تستقطب المشتغلين بالفقه والحديث والأُصول والسِّيَر التي هي أُسّ علم التأريخ عند المسلمين. ومن ثمَّ انتشر المذهب الفقهيّ للإمام في بلاد الشام قاطبة، حتى وصل إلى الأندلس وعُمل به هناك.

---

(١) الأغاني ٨٥/٧، معجم البلدان ٥٢٥/١، تاريخ بيروت لصالح بن يحيى ١٥.

(٢) تاريخ دمشق (مخطوط التيمورية) ــ مجلّد ١١٤/٤٨

وفي الواقع، إنّ معرفتنا بطبيعة أغراض الصحابة والتابعين الذين نزلوا بيروت وغيرها من مدن الساحل، كفيلة بإطْلاعنا على الطبيعة العلمية لساحل الشام، فقد كان الغرض الأساس هو الرباط والجهاد ضدّ البيزنطيّين، ولهذا نجد التركيز الواضح على أحاديث الرباط والغزو في البرّ والبحر لدى المرابطين من الصحابة ومن بعدهم. وفي هذا انطباع قويّ بأنَّ هذه الجِلّة أرادت أن تُقرن القول بالعمل، فحدّثت عن الرباط والجهاد وحثّت عليه، ومارستْه عمليّاً. وكان في مقدّمة روّاد هذه المدرسة « الرباطية » ــ إن جاز التعبير ــ :

أبو الدرداء الأنصاريّ، وسلمان الفارسيّ، وعبد الملك بن أبي ذرّ الغِفاريّ، وقد سبق الحديث عنهم. ونضيف إلى شيوخ هذه المدرسة في بيروت :

حسّان بن عطيّة وهو أبو بكر المحاربي، مولاهم، وأحد أئمّة الشاميّين، ومن شيوخ الإمام الأوزاعي. كان من أهل بيروت من الفرس من موالي محارب، روى عن أبي أُمامة الباهليّ، وسعيد بن المسيّب، ونافع، وغيرهم. قال الأوزاعيّ : ما رأيت أحداً أكثر عملاً في الخير منه، وكان إذا صلّى العصر يذكر الله في المسجد حتى تغيب الشمس. ووثّقه يحيى بن مَعِين، والإمام أحمد بن حنبل. وقال ابن حِبّان : من أفاضل أهل زمانه ثقة وإتقاناً وفضلاً وخيراً.

تُوُفّي في حدود سنة ١٣٠ هـ.[1]

حيّان بن وبرة المُرّي، أو عثمان له إدراك وليست له صُحبة، ولكنه كان صاحباً لأبي بكر الصِّدّيق، رضي الله عنه. نزل بيروت وحدّث بها عن أبي

(١) التاريخ الكبير للبخاري ٣٣/٣، مشاهير علماء الأمصار لابن حبّان ١٨٠، موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان ٨٢/٢، ٨٣ رقم ٣٩٩.

هُرَيرة، وكان الناس يجتمعون عليه في مسجدها ليسمعوا منه.[1] وذلك في القرن الأول الهجريّ.

حيّان مولى أمّ الدرداء حدّث ببيروت على الأرجح، وقد سمعه وروى عنه سليمان بن أبي كريمة البيروتي. وكان حيّان يحدّث عن مولاته أمّ الدرداء.[2]

عطيّة بن معبد المحاربي الداراني تابعيّ من أهل داريّا، كان أمير الساحل. روى عن عثمان بن عفّان. روى عنه الإمام الأوزاعيّ وغيره. وحديثه في الجزء الثالث من كتاب « الجهاد » لابن وهْب.[3]

عمرو بن شراحيل العنْسي أبو المغيرة ويقال: أبو الجهم العنْسيّ الداراني. نزل بيروت مع عمير بن هانئ العنْسي فأدرك بها حيّان بن وبرة صاحب أبي بكر.

روى عن : عمرو بن حرّ الخَوْلاني من ساكني داريّا الذي غزا مع بُسْر بن أبي أرطاة بأرض الروم.

سمعه وروى عنه : محمد بن شعيب بن شابور البيروتي، وغيره. وثّقه أبو زُرْعة. وكان قَدَرياً.[4]

---

(١) تاريخ أبي زرعة ٦٠٦/١ ؟٦٠٧، تاريخ داريّا ٩٣، المراسيل للرازي ٢٩ رقم ٥٠، بيان خطأ البخاري ٢٥/٩ رقم ١٠٥، جامع التحصيل ص ١٩ رقم ١١٦، الكنى والأسماء لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) مخطوط مصور بالمكتبة المركزية ببغداد ورقة ٧٩أ، موسوعة العلماء ١٩٠/٢، ١٩١ رقم ٥٤٣.

(٢) تاريخ دمشق (المخطوط) ١٤/١٢، التهذيب ٢٠/٥، موسوعة العلماء ١٩٢/٢ رقم ٥٤٤.

(٣) تاريخ دمشق (المخطوط) ١٢٨/٢٨، موسوعة العلماء ٢٨٧/٣، ٢٨٨ رقم ١٠١٨.

(٤) التاريخ الكبير ٣٥/٣، الجرح والتعديل ٢٤٥/٣، تاريخ دمشق (المخطوط) ٢٦٦/٣٢، الموسوعة ٣٩٣/٣، ٣٩٤ رقم ١١٧٢.

عمير بن هاني العنْسي، أبو الوليد الداراني شيخ معمّر. أدرك ثلاثين من أصحاب رسول الله، ﷺ، نزل بيروت مع عمرو بن شراحيل، وروى عن: أبي هريرة، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبدالله بن عمر بن الخطّاب.

استنابه الحَجّاج على الكوفة، ثم ولي خراج دمشق لعمر بن عبد العزيز، ثم ولّاه على التنيّة وحَوْران، وبقي إلى أن قُتل بداريّا أيام فتنة الوليد بن يزيد سنة ١٢٧ هـ.[١]

غيلان القَدَريّ شيخ من المعتزلة، نزل بيروت ولقي بها الإمام الأوزاعيّ وحسّان بن عطيّة المحاربي. قال الأوزاعيّ: قدم علينا غيلان في خلافة هشام بن عبد الملك، فتكلّم، وكان رجلاً مُفَوّهاً، فلما فرغ من كلامه قال لحسّان: ما تقول فيما سمعت من كلامي؟ فقال له حسّان: يا غيلان، إن يكن لساني يكلّ عن جوابك، فإنّ قلبي يُنكر ما تقول. أما واللهِ لئن كنت أُعْطِيتَ لساناً لم تُعْطَه، إنّا لَنَعْرف باطلَ ما تأتي به.[٢]

القاسم بن مُخيمِرَة، أبو عُروة الهمْداني الكوفي الإمام القُدْوة الحافظ نزيل دمشق. كان يرابط في بيروت. وحدّث عن: عبدالله بن عمرو بن العاص، وأبي سعيد الخُدْريّ، وأبي أُمامة الباهليّ، وغيرهم.

حدّث عنه: الأوزاعيّ، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر البيروتي، وسعيد بن عبد العزيز التنوخي البيروتي، وحسّان بن عطيّة، وغيرهم.

قال الأوزاعيّ: كان القاسم بن مُخَيْمِرة يَقْدَم علينا ها هُنا متطوّعاً، فإذا أراد أن يرجع استأذن الوالي، فقيل له: أرأيتَ إنْ لم يأذنْ لك؟ قال: إذاً

---

(١) مشاهير علماء الأمصار ١١٢، تاريخ الإسلام للذهبي (بتحقيقنا) حوادث ووَفيات ١٢١ ــ ١٤٠ هـ ــ ص ١٩٥، الإصابة لابن حجر ٦٨/٢، موسوعة علماء المسلمين ٤٠٣/٣، ٤٠٤ رقم ١٢٧٩.

(٢) حلية الأولياء ٧٢/٦، موسوعة علماء المسلمين ١٠/٤ رقم ١١٩٧.

أقيم. ثم قرأ: ﴿ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾[1]

وقال الأوزاعيّ: أتى القاسم بن مخَيْمرة عمرَ بن عبد العزيز ففرض له وأمر له بغلام، فقال: الحمد لله الذي أغناني عن التجارة.

مات في خلافة عمر بدمشق سنة ١٠٠ أو ١٠١ هـ.[2]

محمد بن موسى أو ابن أبي موسى هو مولى أبي أميّة، فارسيّ الأصل، ممّن نقلهم معاوية إلى بيروت. تابعيّ، حدّث عن: القاسم بن مُخَيْمرة.[3]

موسى بن سليمان بن موسى أبو عمرو الأموي الدمشقيّ محدّث سكن بيروت. وروى عن القاسم بن مُخَيْمرة. وهو شيخ للأوزاعيّ لا يُعرف من روى عنه غيره، ووثّقه ابن حبّان.[4]

* * *

السَّلفيُّون والقَدَريّون

ويتّضح من تراجم الشيوخ الذين ذكرناهم أنّ بيروت بدأت في العقْد الأخير من العصر الأموي تشهد تفاعل حركة فكرية تمثّلت بجماعة المعتزلة الذين عُرفوا بالقَدَريّة، فقد نزلها بعضهم، وكانوا يبثُّون فكرهم بين أهل بيروت

---

(١) سورة النور، الآية ٦٢.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٠٣/٦، تاريخ خليفة ٣٢٥، طبقات خليفة ١٥٧ و٣١١، الأسامي والكنى، للحاكم ــ ج ١ ورقة ٧أ، المعرفة والتاريخ ٤٠٧/٣، حلية الأولياء ٨٠/٦، التاريخ الكبير ١٦٧/٧، الجرح والتعديل ١٢٠/٧، الثقات لابن حبّان ٣٣٢/٧ سير أعلام النبلاء ٢٠١/٥، تهذيب التهذيب ١٥٢/٣، شذرات الذهب ١٤٤/١، موسوعة العلماء ٢٥/٤ ــ ٢٧ رقم ١٢١٧.

(٣) حلية الأولياء ١٤٧/٦، موسوعة علماء المسلمين ٢١/٥ رقم ١٦١٧.

(٤) تاريخ دمشق (المخطوط) ٥٢٦/٤٣، تهذيب التهذيب ٣٤٧/١٠، خلاصة تذهيب التهذيب للخزرجي ٣٩١، موسوعة علماء المسلمين ١٠١/٥، ١٠٢ رقم ١٧١٧.

من المتردّدين على مسجدها الجامع، كما فعل غيلان : وكان السَّلفيّون ينشرون فكرهم أيضاً دون صِدام بين الفريقين، ويبدو أنّ حركة القَدَريّين تفاقمت في بيروت حتى طالت الظنون الإمام الأوزاعيّ نفسه، مما دفع باسماعيل بن عُبيد الله بن أبي المهاجر، الذي نزل بيروت مرابطاً في أيام « مروان بن محمد »، لأن يغضب ويجبذ الإمام الأوزاعيّ حين رآه، وقال له : « إني أراكم من هؤلاء القوم، يعني القَدَريّة، فلعلّك منهم »! ممّا حدا بالأوزاعيّ لأن يُقْسم : « لا واللهِ ما أنا منهم ».[1]

كان الأوزاعيّ متشدّداً في مذهبه السلفيّ، مناوِئاً للقَدَريّة الذين لا يؤمنون بالقدَر، ويروي « البخاريّ » في تاريخه أن ثَوْراً بن يزيد الكلاعي ــ ويقال : الرَّحبيّ الحمصيّ ــ لقي الأوزاعيّ، فمدّ ثور يده ليُصافحه، فأبى الأوزاعيّ مصافحته وقال له : لو كانت الدنيا كانت المقاربة، ولكنَّه الدين. يقول : لأنه كان قَدَريّاً. قال أبو مسلم الفَزاريّ : قلت للأوزاعيّ : حَدَّثنا ثور بن يزيد.. فغضِب غضبة شديدة ثم قال :

قال رسول الله ﷺ : « ستّةٌ لَعَنْتُهُم ولَعَنَهُمُ الله وكلّ نبيٍّ مُجاب الدعوة : الزائد في كتاب الله، والمكذّب بقدر الله ».

وثور بن يزيد أحدهم. ثم قال لي : لا تأخذ دِينك عنه ولا عن محمد بن إسحاق فإنه كان يرى الاعتزال. قال أبو مسلم : فمحوت كتابي الذي سمعته من ثور وألقيته في التنّور.

وكان الأوزاعيّ يُسيء القول في ثلاثة من القَدَريّة : ثور بن يزيد، ومحمد بن إسحاق، وزُرعة بن أبي إبراهيم. قال محمد بن الحجّاج : خرجت أريد الساحل، فقال لي زُرعة : إذا أتيت الأوزاعيّ فاقرئْهُ منّي السلامَ وقُلْ له : يقول لك زُرعة، من علَّمَكَ عِلْمك الذي تُحْسِنُه ؟ قال : فاجتمعت بالأوزاعيّ وأخبرته بذلك. فقال الأوزاعيّ : إذا لقِيتَه فاقْرِئْهُ السَلام وقل له : صدقْتَ.

---

(١) موسوعة علماء المسلمين ٤٧٤/١ رقم ٣١٤.

تعلّمنا منك، فلما أحدثْتَ تركنا عِلْمك. يعني كان يضع الحديث.[1]

وكانت المناظرات الفقهية والعقيدية تجري في مجالس الخلفاء، فقد ناظر الأوزاعيّ: غَيْلانَ القَدَريّ بحضرة الخليفة هشام بن عبد الملك، فانقطع غَيْلان، ولم يَتُب.[2]

هذه هي أهمّ الملامح الثقافيّة التي ظهرت في بيروت خلال العصر الأمويّ، وكان أبرزها قيام واحد من أوائل المذاهب الفقهية في العالم الإسلامي في ذلك الوقت المبكر. وهي خصوصيّة فكرية تفرّدت بها بيروت عن بقيّة المدن « اللبنانية » الأخرى، وإنّ كان الإمام الأوزاعيّ من مواليد بعلبك، فإنّ عِلْمه وفِكره نضج في بيروت، وبها كانت مدرسته الفقهيّة والحديثيّة، وبين جَنَباتها كانت مواقفه وسيرته، وبديوانها اكتتب، وفيها رابط، وبها توفّي.

وسيرة الأوزاعيّ في كثيرٍ من جوانبها تُعتبر جزءاً مهمّاً من تاريخ « لبنان » بلْه ساحل الشام، وأخباره تسدّ ثغرة لا بأس بها من حلقات تاريخ هذه المنطقة، وهذا ما سنتناوله في دراستنا التالية ــ إن شاء الله ــ عن تاريخ « لبنان » في العصر العباسي.

الحياة الاجتماعية

من المسلَّم به لدى الباحثين أنّ الحياة الاجتماعية لم تأخذ الاهتمام الكافي من أكثريّة المؤرّخين الذين أرّخوا، ليس للدولة الأمويّة فحسب، بل للدولة العباسيّة، أو للدولة الفاطمية أو غيرها من الدول اللاحقة، إذ كانت الكتابة التاريخية في غالبيّتها تتناول الحياة السياسية وأخبار الخلفاء والملوك

---

(١) تهذيب تاريخ دمشق ٣٨٤/٣ و٣٧٢/٥.

(٢) تاريخ الإسلام، للذهبي (بتحقيقنا) ــ حوادث (١٠١ ــ ١٢٠ هـ).

والسلاطين والأمراء، وأخبار الحروب والغزوات والفتن والمؤامرات والدسائس والكوارث البشرية والطبيعية، وغير ذلك.

وإذا كان هذا الفقر في الدراسات الاجتماعية حول الدول والأُمم يشمل عالم الشرق وعالم الغرب على السواء، فكيف يمكن أن نجد ضالّتنا في وصف الحياة الاجتماعية في بقعة ضيّقة، أو في مدينة متواضعة، يكاد يكون تاريخها العامّ مَنْسِيّاً ؟

هذا مِثال من أمثلة المُعاناة في كتابة تاريخ « لبنان » وتاريخ مدنه وقُراه، في فترة من أكثر الفترات التاريخية ضحالةً في المعلومات.

ونعود الى سيرة الإمام الأوزاعيّ مجدَّداً، لنستقي من أخباره بعض الملامح الاجتماعية في بيروت خلال العهد الأمويّ.

ففي خبر عنه نقف على معلومات طريفة تصوّر لنا بعض طُرق الباعة في الترويج لبضائعهم منذ نحو ألف وثلاثمئة سنة، لا تختلف بأيّ شكلٍ عمّا تشهده أسواق بيروت الآن.

فقد خرج الأوزاعيّ يوماً من باب مسجد بيروت، وهناك دُكّان فيه رجل يبيع الناطف[١] بحذاء دَرَج المسجد، وإلى جانبه دُكّان يبيع البصل، وهو يقول : يا بصل أحلى من العسل، أو قال : أحلى من الناطف ! فقال الأوزاعيّ : سبحان الله أَيَظُنُّ هذا أنّ شيئاً من الكذب يُباح ؟ فكأنّ هذا ما يرى في الكذب بأساً ؟![٢]

وهذه المعلومة البسيطة تفيدنا عن وجود الدكاكين عند مسجد بيروت، وأنّ دكّان بائع البصل يجاور دُكّان بائع الحلوى، مما يُعطي انطباعاً بأنه لم يكن هناك نظام الأسواق المتخصّصة بالسِّلَع أو الحِرَف المتجانسة، حتى ذلك الوقت على الأقلّ.

---

(١) نوع من الحلوى.

(٢) تاريخ دمشق (المخطوط) ١٨١/٢٣، البداية والنهاية ١١٩/١٠.

أمّا عن الزّيّ في اللباس، فقد كان الناس في بيروت يلبسون الأردية، ثم تركوا هذا اللّباس ولبسوا السّيجان.[1] فكان الأوزاعيّ يساير الناس في أزيائهم.[2] وكأنّ ظاهرة الأزياء وتبدُّلها من عام إلى آخر في بيروت اليوم، ليست وليدة عصرنا الذي نعيشه الآن، بل هي ظاهرة موروثة منذ العصر الأمويّ.

وكان الشيوخ والعلماء وطلبة العلم يتّبعون تقليداً خاصّاً بيوم الجمعة، وهو وضع العمامة عند الخروج لصلاة الجمعة، وكان الأوزاعيّ إذا أراد أن يعتمّ يوم الجمعة يكره أن يُرَى معتمّاً وحده خوف الشُهْرة، فيبعث إلى أصحابه : الهقل بن زياد، وعلقمة بن يزيد، وابن أبي العشرين أن اعتمُّوا فإنّي أكره أن أعتمّ اليوم.[3]

طرابلس

إن كان من شيءٍ يميّز طرابلس عن غيرها من المدن « اللبنانية » فهو تضارب الروايات حول فتحها، وقد بحثنا لهذا الموضوع في موضعه، وهي تشاطر بعلبك بالكمّ الوفير من المعلومات عن حركة الفتح، وكذلك بحضورها التاريخي على مسرح الأحداث في العهدين الراشدي والأمويّ. ووضوح دَور الموالي في تاريخها المبكر، والمعلومات عن بعض الأماكن الجغرافية والعمرانية التي تحدّد بعض ملامحها وخصائصها.

فقد فُتحت طرابلس في سنة ١٨ هـ/٦٣٩ م، حسب الرواية المنسوبة

---

(١) السيجان : جمْع ساج. وهو الطيلسان الأخضر والأسود.
Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les arabes – rinhart dozy – librairie du Liban, Beirut – p.211

(٢) بهجة المجالس وأُنْس المُجالِس وشحذ الذاهن والهاجس، لابن عبد البرّ (٣٦٨ ــ ٤٦٣ هـ) ــ تحقيق محمد مرسي الخولي ود. عبد القادر القطّ ــ طبعة دار الكاتب العربي، مصر ــ ج ٥٩/٢.

(٣) مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، لأبي يوسف يعقوب بن شيبة بن الصلت (ت ٢٦٢ هـ) ــ تحقيق كمال يوسف الحوت ــ مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥ م ص ٧٤.

للواقدي، وفُتحت حول سنة ٢٥ هـ/٦٤٦ م، حسب رواية البلاذريّ. وقبل الفتح الأول وصلت سرايا الفاتحين المسلمين إلى أطراف طرابلس الشمالية بقيادة « عبدالله بن جعفر »، وبالتحديد في شهر شعبان من سنة ١٣ هـ/٦٣٤

المعالم القديمة

ومن خلال وقائع هذه السرايا عرفنا مواقع عدّة معالم وَصَلَتنا أسماؤها، ولا يزال بعضها قائماً يحمل الأسم نفسه من أيام الفتح إلى الآن، وهي :

- مرج السلسلة بين عِرْقة وطرابلس
- حصن أبي العدس أو أبي القدس شماليّ طرابلس على ساحل البحر.
- سوق كبير عند الدير.
- جبل طربل (تُربُل) في الشمال الشرقيّ من طرابلس
- حصون ثلاثة في المدن الثلاث التي تتألّف منها طرابلس في اللسان البرّي الداخل في البحر.
- كنيسة خارج المدينة في جهتها القبليّة (أي الشرقية).
- حصن سفيان على بُعْد ميلين شرقيّ المدينة.
- نهر طرابلس بين مرج السلسلة وحصن سُفيان.

ومن وقائع الحملة البيزنطيّة وحصار طرابلس في عهد الوليد بن عبد الملك نعرف أنه كان للمدينة حيث الميناء اليوم :

- سور وأبراج لها شُرُفات.
- باب الميناء الشرقي.
- باب البحر.
- خندق وسور عند نهر طرابلس.
- وكنيس اليهود بظاهر المدينة.
- جامع طرابلس في الميناء.

ومن حركة الانتقاض على عهد معاوية نتعرّف على وجود :

- سجن طرابلس.
- دار عامل المدينة.

• مرفأ السفن بالميناء.

السكّان

أما عن سكان المدينة، فقد كان بها الروم البيزنطيّون، جالية من اليهود قبل الفتح. وبعد الفتح الإسلامي أتى معاوية بجماعة كبيرة من يهود الأردن وأسكنهم فيها.[١] فلم يسكنها غيرهم لبضع سنوات،[٢] مما يعني أنّ « سفيان الأزدي » عاد بعد فتحها إلى بعلبك بمن معه من جُند المسلمين. ثم جاءت جماعة مستأمنة من الروم إلى معاوية فأسكنهم في طرابلس مع اليهود، ولم يكن بها من العرب المسلمين إلّا جماعة يسيرة، ولهذا نجح الروم في حركتهم حين قتلوا عامل المدينة وأصحابه من المسلمين، وعاونهم النصارى الذين كانوا بها،[٣] وقلّ سكانّها من جديد، فوضع معاوية سياسة جديدة لإسكان طرابلس وغيرها من مدن الساحل الشامي، فنقل جماعات من الفرس إليها، حتى أصبحت الأكثرية الساحقة منهم، وظلّت هذه الغالبية قائمة حتى القرن الثالث الهجري، إذ يقول « اليعقوبي » المتوفّى سنة ٢٨٤ هـ : « ومدينة أطرابلس وأهلها قوم من الفرس، كان معاوية بن أبي سفيان نقلهم إليها »[٤] ومع ذلك لم يكن على المدينة عامل منهم، بل إن العامل الوحيد الذي وصلنا اسمه من

---

(١) فتوح البلدان ــ ق ١٥١/١، تاريخ دمشق (المخطوط) ٧٧/١٦، التهذيب ١٨٣/٦.

(٢) تاريخ دمشق (المخطوط) ٧٧/١٦،

Encyclopaedia Judaica – Eliyaho Ashtor – Vo 15 – P. 1396 – Jerusalem 1971.

وطرابلس تُدعى في المصادر العبرية « سينيم SINIM ».

(٣) المنتخب من تاريخ المنبجي ٦٠.

(٤) البلدان ٢٣٧، وجاء في كتاب « آكام المرجان في ذِكر المدائن المشهورة في كل مكان » لابن المنجّم، طبعة المثنّى ببغداد ــ ص ٢٦ وهو يقصد طرابلس الغرب، ما نصّه : « مدينة طرابلس » وهي على البحر الشامي، وفيها مرسى عظيم، فيه ألف مركب، وأهلها من قريش !! نقلهم اليها معاوية بن أبي سفيان.. ». وهذا النصّ منقول عن كتاب « البلدان » لليعقوبي كما هو واضح. ووقع الخلط عند ابن المنجم بين طرابلس الشام وطرابلس الغرب، إذ يذكرها على أنها الغربية، كما خلط بين « قريش » و« الفرس » وهو تحريف.

تلك الفترة هو من الموالي الروم يُدعى « سُحَيم بن المهاجر الروميّ »، ولم نعرف هويّة العامل الذي قُتل في حركة الانتقاض على معاوية. كما لم نعرف هويّة عاملٍ آخر كان بطرابلس في عهد عبد الملك، وسيأتي الحديث عنه في حكاية ننقلها عن « ابن عساكر » عمّا قليل.

وفي عهد عبد الملك جرى المزيد من إسكان الفرس المسلمين بحيث أقطعهم خُمس المدينة، ثم تكاثر المسلمون بها واتّسع عمرانها، وقام عبد الملك ببناء حصن الميناء وحصّنه،[1] « فصارت آمنة عامرة مطمئنة ».[2] وبقيت فيها الجالية اليهودية، حيث يمرّ ذكرهم في عهد الوليد بن عبد الملك، وتعرّض كنيسهم للتخريب حين أحرقه البيزنطيون عند حصارهم للمدينة.[3]

عامل طرابلس

وفي أول القرن الثاني الهجري نتعرّف على عامل طرابلس وقائد جُنْدها وهو عربيّ من ثقيف يُدعى : « أبو مسلم الثقفي »، ويرد ذِكره في عهد « عمر بن عبد العزيز » (١٠٠ ــ ١٠١ هـ) ولكننا نعتقد أنه كان بها قبل ذلك أيضاً في عهد « سليمان بن عبد الملك » إلّا أنّ المصادر المتوفّرة لا تعطينا تاريخاً لبدء ولايته.

وتقول المصادر التاريخية إنّ الخليفة « عمر بن عبد العزيز » وجّه إلى الإمبراطور البيزنطي في سنة ١٠١ هـ يطلب منه فداء الأسرى المسلمين، فرفض،[4] ولذلك خرج الغُزاة في عهده إلى مرج دابق في نواحي حلب، حيث كانت تتجمّع جيوش المسلمين إذا أرادت مهاجمة منطقة الثغور

---

(١) فتوح البلدان ١/١٥١، الخراج لقدامة ٢٩٦، الكامل في التاريخ ٢/٤٣١.

(٢) البداية والنهاية ١٣/٣١٣، عقد الجمان، لبدر الدين العيني (المخطوط) ــ ج ٢٠ ق ٤/٧٢١.

(٣) تاريخ دمشق (المخطوط) ٢٢/٥٩٧.

(٤) فتوح البلدان ١/١٥٧.

الشمالية، وكان فيمن خرج من الغُزاة « أبو مسلم الثقفي » من طرابلس، وحين علِم الخليفة عمر بخروجه أمر بردّه من دابق وقال : « ليس بمثله يستعين المسلمون في قتال عدوِّهم ».[1]

فمن هو « أبو مسلم » هذا ؟ ولماذا ردّه عمر إلى طرابلس ؟

إنّ المصادر المتوفّرة لا تقدّم لنا ترجمة لأبي مسلم لنعرف اسمه، ومتى ولّي طرابلس، ولكنّها تجيب على السؤآل الثاني فتقول إنّ الخليفة عمر ردّه بعد خروجه للغزو « لأنه كان سيّافاً للحَجّاج، وكان ثقفيّاً ».[2] وكان عطاؤه ألفين، فرّده عمر إلى ثلاثين درهماً.[3] ونحن نعرف أنّ الخليفة عمر لم يكن راضياً عن سياسة الحَجَّاج في العراق.[4]

وروى الأوزاعيّ قال : « حدّثنا عبدالله (وقيل : عُبيد الله) بن يزيد بن أبي مسلم الثقفي أنّ أباه خرج في بعث الصائفة على ديوانه، قال : وخرجت معه، قال: فلما كان بمرج اللاج لقيه كتاب عمر بن عبد العزيز أن انصرف من حيث يلقاك كتاب أمير المؤمنين، فإنّ الله لا ينصر جيشاً أنت فيهم ». وقال غيره: إنّ عمر كتب إلى صاحب الصائفة: إنه بلغني أنّ ابن أبي مسلم اكتتب في بعض الصائفة، فارْدُدْهُ خاسئاً فإنّي أكره أن أدعو للقوم في أمرٍ وفيهم ابن أبي مسلم، فردّه من الدرب.[5]

وهاتان الروايتان تجعلان الذي خرج للغزو يُدعى « يزيد بن أبي مسلم » ومعه ابنه « عبدالله » أو « عبيد الله »، فيُحتمل أنّ « يزيد بن أبي مسلم » كان يُكنّى « أبا مسلم »، وإذا كان كذلك، فإنّ لدينا وفرة في المعلومات عنه، منها

---

(١) حلية الأولياء ٣١٥/٥، سيرة ومناقب عمر لابن الجوزي ١٠٨، بغية الطلب ١٧٤/٨.

(٢) الحلية ٣١٥/٥، السيرة لابن الجوزي ١٠٨، بغية الطلب ١٧٤/٨.

(٣) المصادر السابقة.

(٤) سيرة عمر ومناقبه لابن الجوزي ١٠٨ و١٠٩ (تحقيق زرزور)، وطبعة مصر ـــ ص ٨٨.

(٥) المعرفة والتاريخ، للفَسَوي ـــ ج ٦٠٦/١ و٦٠٧، سيرة ومناقب عمر ١١٠.

أنّه كان «كاتب الحَجّاج والمستولي عليه»[1]، وكان الحجّاج ولّاه على خراج الكوفة والبصرة، وكان يُجري عليه ثلاثمائة في الشهر،[2] وقيل إنه أخاه من الرضاعة،[3] فأقرّه الوليد بن عبد الملك على ذلك بعد موت الحجّاج سنة ٩٥ هـ/٧١٤ م[4] وبعد ذلك تنقطع أخباره حتى نعرف أنه خرج مع الغزاة في عهد عمر، فلعلّه وُلّي طرابلس في عهد سليمان بن عبد الملك وبقي إلى سنة ١٠١ هـ. ويظهر أن عمر عزله عن طرابلس وسجنه،[5] وحين تولّى يزيد بن عبد الملك الخلافة أخرجه من السجن وعيّنه أميراً على إفريقية، فلم يطُل به الأمر إذ قُتل في السنة التالية ١٠٢ هـ/٧٢١ م لسوء أفعاله وظُلْمه.[6]

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ١٣٠/٣، مروج الذهب ١٨٦/٣.

(٢) تاريخ الطبري ٩٦/٨.

(٣) الحلّة السيراء، لابن الأبّار — ج ٣٣٦/٢ — نشره د. حسين مؤنس — القاهرة ١٩٦٣.

(٤) تاريخ الطبري ٤٩٣/٦، الكامل في التاريخ ٥٨٤/٤ و٧٧/٥ و٨٨.

(٥) جاء في سيرة عمر بن عبد العزيز — لابن عبد الحكم — ص ٣٧ أن عمر كتب بعزل يزيد بن أبي مسلم عن إفريقية.. »، وأقول: ليس في المصادر ما يؤكد أن ابن أبي مسلم كان على إفريقية في عهد عمر، بل كان بطرابلس، وما ورد في السيرة لابن عبد الحكم هو وهْم.

(٦) قال ابن عبد الحكم: «كان عالم سوء يُظهر التألّه والنفاذ لكلّ ما أمر به السلطان ممّا جلّ أو صَغُر من السيرة بالجور والمخالفة للحقّ، وكان في هذا يكثر الذِكر والتسبيح، ويأمر بالقوم فيكونون بين يديه يعذّبون وهو يقول: سبحان الله والحمد لله، شُدَّ يا غلام موضعَ كذا وكذا، لبعض مواضع العذاب وهو يقول: لا إله إلّا الله، والله أكبر، شُدَّ يا غلام موضع كذا وكذا، فكانت حالته تلك شرَّ الحالات. فكتب بعزله». (سيرة عمر بن عبد العزيز — ص ٣٧).
وكتب عمر إلى بعض بني الوليد كتاباً وفيه: بلى إن شئت نبّأتك بمن هو أظلم منّي وأترك لعهد الله، أبوك إذ ولّى يمزيد بن أبي مسلم عبد بني أبي عقيل على ثلاثة أخماس المغرب، يقتل ويصلب ويقطع، وفيه أكثر من هذا وأكره. (سيرة عمر لابن عبد الحكم ١٣٣، ١٣٤، وانظر حلية الأولياء ٣٠٩/٥).
وقال وضّاح بن خيثمة: أمرني عمر بن عبد العزيز بإخراج من في السجن، فأخرجتهم إلّا يزيد بن أبي مسلم فنَذَر دمي، قال: فوالله إني لبإفريقية قيل لي: قدِم يزيد بن أبي مسلم، فهربت منه، فأرسل في طلبي، فأُخذت، فأُتي بي، فقال: يا وضّاح. قلت: وضّاح. قال: أما والله لطالما سألت الله أن يمكّنني منك، فقلت: أنا والله لطالما استعذت بالله من شرّك. قال: فوالله =

ويمكن أن نقرّر، حسب ما توفّر لنا حتى الآن، أنه كان بطرابلس عامل في عهد معاوية نجهل اسمه، قُتل في حركة الانتقاض سنة ٣٢ هـ وكان بها « سُحَيم بن المهاجر الرومي » الذي قضى على البطريق الرومي « بقنطر » سنة ٦٩ هـ/٦٨٩ م في عهد عبد الملك بن مروان، وبقي بطرابلس في عهد الوليد بن عبد الملك، ولكن ليس عاملاً عليها بل أميراً للغزو، إذ يُفيدنا ابن عساكر عن وجود عامل لطرابلس أثناء الحملة البيزنطية التي استهدفتها حول سنة ٨٩ هـ/٧٠٨ م وهذا العامل استنجد بسُحَيم ليتصدّى للروم، ومن هنا يتّضح أنّ مهمّة « سُحَيم » في عهد الوليد لم تكن ولاية المدينة بل قيادة جُنْدها، وإمرة البحر. قال ابن عساكر : « ... سُحيم بن المهاجر، من سكان أطرابلس، وولي إمرتها في أيام عبد الملك بن مروان، وكتب إليه عبد الملك أن يكيد بعض الروم، وولّاه الوليد غزْو البحر »،[1] ومن هذا النصّ نتبيّن أنّ الأمويّين اعتمدوا تنظيماً إداريّاً للمدن « اللبنانية » يقضي بوجود عامل = والٍ لكل مدينة، وهؤلاء العمّال يتبعون الخليفة في دمشق مباشرة. وتمتّعت المدن الساحلية بوجود عامل للمدينة، وأمير للبحر، وهذا ما نراه في طرابلس، وبيروت، وصور.

وفي عهد عمر بن عبد العزيز كان بطرابلس « ابن أبي مسلم الثقفي »، ولا نعرف من كان بها بعده حتى سقوط الدولة الأموية.

* * *

= ما أعاذك الله، والله لأقتُلنّك ثم والله لأقتلنّك ثم واللهِ لأقتلنّك، لو سابقني مَلَك الموت إلى قبض روحك لسبقته، عليَّ بالسيف والنطْع، قال : فجيء بالنطْع، فأُقعدت فيه، وكُتِّفت، وقام قائم على رأسي بسيف مشهور، وأُقيمت الصلاة، فخرج إلى الصلاة، فلما خرّ ساجداً أخذته سيوف الجُنْد فقُتل، فجاءني رجل فقطع كتافي بسيفه ثم قال : انطلق. (الفرج بعد الشدّة لابن أبي الدنيا ــ ص ٧٠، ٧١ رقم ٧١ وانظر أيضاً ص ٧١ ــ ٧٢ رقم ٧٢. وانظر : الحلية ٤ /٣٦٤). وانظر عنه في: المحبّر لابن حبيب ٤٦٢، والبرصان والعرجان للجاحظ ١٠٠.

(١) تاريخ دمشق ١٢٠/١٥، بغية الطلب ٢٢٠/٧.

علماء من طرابلس

أما فيما يتعلّق بأهل العلم الذين عرفتهم طرابلس في العهد الأموي، فقد وَصَلَنا اسم اثنين منهم :

مجاهد فرقد، ويُكَنّى أبا الأسود، ويُنسب إلى صنعا القرية من دمشق، كما يُنسب إلى طرابلس. روى عن : واثلة بن الخطاب، وأبي منيب الحرشيّ. روى عنه : اسماعيل بن عيّاش الحمصي، ومحمد بن إسحاق الرملي، ومحمد بن يوسف الفريابي. ذكره الذهبي في عداد الشيوخ المتوفّين بين سنة ١٥٠ و ١٦٠ هـ.[١]

معاوية بن يحيى الأطرابلسي ويُكنّى أبا مطيع. من أوائل المحدّثين والأخباريّين الرُّواة، الذين أخرجتهم طرابلس، وأحد مصادر السِيَر والتواريخ، فهو الذي يؤرّخ لفتح طرابلس بقيادة « سفيان بن مجيب الأزدي »،[٢] وَفي إسناده ثلاثة محدّثين وهو يروي عن النبيّ ﷺ، وله رواية في الرقائق، والفوائد. وحديثه في « سُنن الدارمي »[٣] و« سُنَن الدارقُطْنيّ »[٤] و« مُسْنَد الشهاب » للقُضاعيّ،[٥] و« المعجم الصغير »[٦] و« المعجم الأوسط »[٧] و« المعجم الكبير »[٨] للطبراني، و« السُنَن الكبرى » للبيهقي،[٩] و« كتاب

---

(١) تاريخ دمشق (المخطوط) ٥٢١/٤٠، تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث ووفيات ١٤١ ــ ١٦٠ هـ) ص ٥٨٦.

(٢) تاريخ دمشق (المخطوط) ٧٦/١٦.

(٣) سُنن الدارميّ ٢٩/١ و٢٠٦/٢.

(٤) سُنن الدارقطني ٣٢٠/١ رقم ١٤ و٧/٢ رقم ١ و٢٠٣/٤ رقم ٤.

(٥) مسند الشهاب للقضاعي ١٨٨/١ رقم ٢٧٩ و٣٨٨/١ رقم ٦٦٤ و١١١/٢ رقم ٩٩٢ و٣٠٩/٢ رقم ١٤٢٤.

(٦) المعجم الصغير، للطبراني ٨/١.

(٧) المعجم الأوسط للطبراني ٦٧/١ رقم ٥٨ و٣٥٥/١ رقم ٦٠٢.

(٨) المعجم الكبير للطبراني ٦٧/٢ رقم ١٣١٣ و٩٧/٦ رقم ٥٥٧٦ و٧٩/٧ و١٣٧/٧ و١٨٦/٨ و٣٨٢/١٢ و٢٥/١٧ و٨٥/١٨ و٢٥٦/١٨ و٣٥٠/٢٢ و١٦/٢٥ رقم ١٠.

(٩) السُنن الكبرى للبيهقي ١٧٩/٣.

السُّنَّة » لأبن أبي عاصم الشيباني،[1] و« كتاب الشريعة » للآجُرّي،[2] و« سُنَن ابن ماجه »[3] و« كتاب السِّيَر » للفزاريّ،[4] وغيره.

أصله من حمص، ونشأ في طرابلس فكان شيخها في عصره، ودخل مصر. روى عن شيوخ كثيرين، وروى عنه كثيرون أيضاً، ومنهم : محمد بن المبارك الصّوري، واسرائيل بن رَوْح الجُبَيْلي، وحصن بن حسّان القُرشي الجُبَيلي، وبقيّة بن الوليد الحمصي، والوليد بن مسلم الدمشقي، ومنهم شيوخ مصر وغيرها.[5]

ذكر « الذهبيّ » وفاته بعد سنة ١٧٠ هـ[6] وهذا يعني أنه كان مخضرماً عاصر الدولتين : الأمويّة والعبّاسيّة.

وهو الذي روى أنّ أبا أيّوب الأنصاريّ مرّ بالسبي يوم رودس وهم يبكون، قد فُرّق بين الوالدة وولدها، فردّ الولد إلى والدته، فصمتوا، فجاء صاحب المغنم فقال : من صنع هذا بمقاسمنا ؟ فقال أبو أيوب : سمعت

---

(١) كتاب السُّنّة لابن أبي عاصم ٣٦١/٢.

(٢) كتاب الشريعة للآجُريّ ٣٨٦.

(٣) سُنن ابن ماجه ٦٣٥/١ رقم ١٩٧٥ و٩٣٨/٢ رقم ٢٧٧٧.

(٤) كتاب السِيَر لأبي إسحاق الفزاري ١٤٣ رقم ١٠٩.

(٥) أنظر عنه أيضاً في : علل الحديث لابن أبي حاتم ١٢٥/١ و٣٦٠ و٤٧٢ و١٢٦/٢ و١٣٣ و٢٧٩ و٣٣١ و٣٤٢، والرحلة في طلب الحديث للخطيب ٨٦ رقم ٩، والأسامي والكنى للحاكم ــ ج ١ ورقة ٧٨أ، والضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ١٣٠/١ و١٢٨/٣، وسيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ٣١، والفرج بعد الشدّة لابن أبي الدنيا ٢٦ رقم ٥ و٤٤ رقم ٢٨. وشعار أصحاب الحديث للحاكم ٣٠، والضعفاء والمتروكين للدارقطني ١٦١، ومعرفة التذكرة لابن القيسراني ٨٤ رقم ١٠، ومجمع الزوائد للهيثمي ٨٩/٨، وموسوعة علماء المسلمين ٧٧/٥ ــ ٨٥ رقم ١٦٩٢ وفيها مصادر أخرى عنه.

(٦) تاريخ الإسلام ــ طبعة القدسي ٢٩٣/٦.

رسول الله ﷺ يقول : من فرّق بين والدة وولدها، فرّق الله بينه وبين أحبّته يوم القيامة، فقال صاحب المغنم : لأذرنّهم على ما صنعت.[1]

قصّة الإخوة الثلاثة

وفي ختام بحثنا عن طرابلس ننقل عن « تاريخ دمشق » لابن عساكر هذه القصّة التي تتحدّث عن أحد وُلاة طرابلس في عهد عبد الملك بن مروان وأخويه، عملاً بالأمانة العلمية، وحشد كل ما نقف عليه من معلومات وأخبار تساعد في إثراء المادّة التاريخية عن ساحل الشام والمدن « اللبنانية » في تلك الحقبة.

قال ابن عساكر في ترجمة « صدقة بن يزيد »، وهو أحد الرُّواة المجاهيل الذين لم أجد لهم ذِكراً في أيّ مصدرٍ آخر، قال صدقة :

« نظرت إلى ثلاثة قبور على شَرَفٍ من الأرض بناحية أطْرابلس، أحدها مكتوب عليه :

وكيف يَلَذّ العيش من هو مُوقِنٌ ... بأنّ المنايا بغتةً ستُعاجله
وتسلبه مُلْكاً عظيماً ونجدةً ... وتُسْكنه القبرَ الذي هو آهله

وعلى القبر الثاني مكتوب :

وكيف يَلَذّ العيش من هو عالمٌ ... بأنّ إلٰه الخلْق لا بُدّ سائله
فيأخذ منه ظلمه لعباده ... ويجزيه بالخير الذي هو فاعله

وعلى القبر الثالث مكتوب :

وكيف يَلَذّ العيش من هو صائرٌ ... إلى جَدَثٍ تبلي الشبابَ منازلُه

(١) (السِيَر لأبي إسحاق الفزاري ـــ ص ١٤٣ رقم ١٠٩ برواية محمد بن وضاح القرطبي، عن عبد الملك بن حبيب المصّيصي ـــ تحقيق د. فاروق حمادة ـــ طبعة مؤسسة الرسالة بيروت ٤٠٨ هـ/١٩٨٧ م) وانظر مسند أحمد ٤١٣/٥، والترمذي ٢٥٩/٢ و٣٨٥، والدارمي ٢٤٨٢، والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ـــ ج ٥٥/٢، والسُنن الكبرى للبيهقي ١٢٩/٩.

ويذهب حُسْنُ الوجه من بعد ضوئه سريعاً ويبلى جسمه ومَفاصلُه

قال : فنظرت إليها فإذا هي قبور مسنَّمة على قدْرٍ واحدٍ بعضها إلى جنْب بعض، فنزلت بالقرب منها فقلت لشيخ بها : لقد رأيت عجباً. قال : وما ذاك ؟ قلت : هذه القبور. قال : حديثها أعجب ممّا رأيت عليها. قلت : فحدّثني. قال : كانوا ثلاثة إخوة، أحدهم يصحب السلطان ويؤمَّر على الجيوش والمدن، وآخر تاجر مُطاع في تجارته، وآخر زاهد قد تخلّى وانفرد لعبادة ربّه، فحضرت العابدَ الوفاةُ فأتاه أخوه صاحب السلطان، وكان عبد الملك بن مروان قد ولّاه بلادنا، وأتاه التاجر فقالا له : توصي بشيء ؟ فقال : والله مالي مال أوصي به، ولا عليَّ دَيْن فأوصي به، ولا أخلّف من الدنيا عَرَضاً. فقال ذو السلطان : هذا مالي يا أخي فاعْهَدْ إليّ بما أحْبَبْتَ. فأمسك عنه. وقال التاجر: قد عرفت مكسبي، ولعلّ في قلبك غصّة من الخير لم تبلغها إلّا بالإنفاق، فاحكم بمالي بما أنفذه لك. فقال: لا حاجة لي بمالكما، ولكنْ أعْهَد إليكما عهداً فلا تخالفاه، إذ مِتُّ فادفناني على نَشَزٍ من الأرض واكتبا على قبري :

وكيف يَلَذّ العيش من هو عالمٌ بأنّ إلٰه الخلْق لا بُدّ سائله
فيأخذ منه ظلمه لعباده ويجزيه بالخير الذي هو فاعله

ثم زورا قبري لعلّكما تتّعظان، ففعلا ذلك، وكان أخاه يركب في جنوده حتى يأتي قبره فيقرأ عليه ويبكي. فلما كان اليوم الثالث أتى القبر فأراد الانصراف سمع داخل القبر هدّة أرعبته وأفزعته، فانصرف مذعوراً وجِلاً، فلما كان الليل رأى أخاه في منامه فقال : أي أخي ما الذي سمعت في قبرك ؟ فقال : تلك هدّة المقمعة، قيل لي : رأيت مظلوماً فلم تنصرْه، فأصبح فدعا أخاه وخاصّته فقال : ما أرى أخي أراد بما أوصانا أن نكتب على قبره إلّا لنعتبر ونراجع ونتوب، وإنّي أُشهدُكم أنّي لا أقيم بين ظهرانيكم أبداً، فترك الإمارة ولزم العبادة، وبلغ ذلك عبد الملك، فقال : خلّوه وما اختار لنفسه، وكان مأواه البراري والجبال وبطون الأودية، فحضرته الوفاة وهو مع بعض

الرعاء، فأتى الراعي أخاه فأعلمه، فأتاه فحمله إلى منزله قبل موته، فقال : يا أخي ألا توصي إليّ ؟ فقال : ما لي مال ولا عليّ دَيْن فأوصيك، ولكنْ أعهد إليك إذا أنا مِتُّ فاجعل قبري إلى جنب قبر أخي واكتب عليه :

وكيف يَلَذّ العيش من هو مُوقِنٌ ... بأنّ المنايا بغتـةً ستُعاجلـه
وتسلبه مُلْكاً عظيماً ونجدةً ... وتُسْكنه القبرَ الذي هو آهلـه

ثم تعاهدْ قبري وادْعُ الله عزّ وجلّ لي لعلّه أن يرحمني. فلما مات فعل به أخوه ذلك. فلما كان اليوم الثالث من إتيانه القبر أراد أن ينصرف فَسمع وَجَبة من القبر كاد أن يذهل عقله منها. فرجع مرعوباً. فلما كان الليل رأى أخاه في منامه، فوثب إليه لِما تَدَاخلَه من السرور، فقال له : أتيتنا زائراً أم راغباً ؟ فقال : هَيْهات، بَعُد المزار واطْمأنّت بنا الدار، فليس لنا قرار. فقال له : كيف أنت ؟ فقال : بكل خير وما أجمع التوبة لكل خير. فقال له : فكيف أخي ؟ قال : مع الأبرار. فقال : فما أمرنا قبلكم ؟ قال : من قدّم شيئاً وجده، فاغتنمْ وجْدك قبل فقرك. فأصبح أخوه الثالث معتزلاً للدنيا، وفرّق ماله وقسّم متاعه، وأقبل على طاعة الله عزّ وجلّ، وأقبل ابنه على المكاسب. فلما أتت أباه الوفاة قال : يا أبي، ألا توصي ؟ قال : يا بُنَيّ ما لأبيك مال يوصي به، ولكنْ أعهدُ إليك إذا أنا مِتُّ أن تدفنني مع عَمَّيْك، وأن تكتب على قبري :

وكيف يَلَذّ العيش من هو صائرٌ ... إلى جَدَثٍ تبلي الشبابَ منازلُه
ويذهب حُسْنُ الوجه من بعد ضوئه ... سريعاً ويبلى جسمه ومَفاصلُه

ثم تعاهَدْ قبري ثلاثاً وادْع الله عزّ وجلّ لي. ففعل ذلك الفتى. فلما كان اليوم الثالث سمع من القبر صوتاً هاله وانصرف مهموماً، فلما كان الليل رأى أباه في المَنام فقال له : يا بُنَيّ أنت عندنا عن قليل، والأمر جدّ فاستعدّ وتأهّب لرحيلك وطول سفرك، وحوّل جهازك من المنزل الذي أنت عنه ظاعن، إلى المنزل الذي أنت له قاطن، ولا تعتَزّ بما اعتزّ به البطّالون من طول آمالهم فقصّروا في أمر مَعادهم فندموا عند الموت، وأسِفوا على تضييع العمر، فلا الندامة عند الموت نفعتهم، ولا الأسف على التقصير أنقذهم. أيْ بُنَيّ فبادِر، ثم بادِرْ، ثم بادِرْ.

قال الشيخ : فدخلت على الفتى صبيحة ثالثة رؤياه فقصَّها عليّ وقال : ما أرى الأمر الذي قال والدي إلّا وقد أظلّني، فجعل يفرّق ماله، ويقضي دَيْنه، واستحلّ من بينه وبينه معاملة، وودَّعه وداع من أيقن أمراً فهو يترقّبه، وكان يقول : قال أبي : بادِر، ثم بادِر، ثم بادِر، ولا أحسبها إلا ثلاث أشهر أو ثلاثة أيام، ولعلّي لا أدركها لأنه ابتدرني المبادرة ثلاثاً. فلما كان في آخر اليوم الثالث دعا أهله وولده فودّعهم، ثم استقبل القِبلة وتشهّد وجعل يدعو ويستغفر. فلما وجد الموت سجَّى نفسه ومدّ الثوب على وجهه، ثم مات من الليل، رحمه الله. فمكث الناس ثلاثاً يزورونه.

فهذه قصّة القبور، وإنّ فيهم يا ابن أخي لمُعْتَبراً ».[1]

* * *

صيدا

يرتبط تاريخ فتح صيدا بتاريخ فتح كلٍّ من : عِرْقة وجُبَيل وبيروت، حيث قال البلاذريّ: « إنّ يزيد بن أبي سفيان أتى بعد فتح دمشق: صيدا وعِرقة وجبيل وبيروت ــ وهي سواحل ــ وعلى مقدّمته أخوه معاوية، ففتحها فتحاً يسيراً، وجلا كثيراً من أهلها ».[2] وليس لدينا ما يؤكّد حركة الفتح للمدن الساحلية بهذا الترتيب الذي ورد عند البلاذريّ، وإذا أخذنا بهذا الترتيب تكون « صيدا » أول مدينة ساحلية يفتحها « يزيد بن أبي سفيان »، وهذا يدلّ على أنّ فتحها كان يسيراً مثل بيروت وجبيل وغيرها.

ويظهر أنّ ميناءها كان صالحاً في العهد الراشديّ، ولذلك اتّخذ منها معاوية قاعدة انطلاق للأسطول الإسلامي حين أراد غزو جزيرة رودس في

---

(١) تهذيب تاريخ دمشق ٦/٤١٤ ــ ٤١٦.

(٢) فتوح البلدان ١/١٥٠، الخراج ٢٩٥.

عهد الخليفة عثمان، فاجتمع المسلمون فيها مع المراكب سنة ٣٣ هـ/٦٥٤ م وخرج بهم معاوية وفتح الجزيرة عَنْوةً.[١]

وقد خلت المدينة من سكانها بعد الفتح، واقتضى ذلك أن تجري عمليّة ملء الفراغ السكاني، فقام معاوية، عند تولّيه الخلافة حول سنة ٤١ هـ باستقدام جاليات من الموالي الفرس من داخل بلاد الشام والعراق وأنزلهم في صيدا ومدن الساحل الشامي.[٢]

الجُرَشيّون في صيدا

ولقد سبق ذلك أن وقف جماعة من العرب المسلمين يراقبون تفاقم الأمور بين الإمام عليّ بن أبي طالب ومعاوية، وآثروا عدم الخوض في الصراع حول السلطة والخلافة، ورأوا أن يبتعدوا عن مواطن الأحداث في الداخل ويَنْأَوْا عن مواضع الفتنة، فخرجوا إلى ساحل دمشق، وأقاموا هناك، ومنهم : « يزيد بن الأسود الجُرَشيّ » ـــ وهو من الطبقة العليا في التابعين بعد الصحابة ـــ رضوان الله عليهم، ويظهر أنه استوطن الساحل مع جماعة من قومه الجُرَشيّين حوالي سنة ٣٧ هـ/٦٥٨ م وهي السنة التي شهدت الفتنة وموقعة صفّين. فقد ذكر المحدّثون أنه لما وقعت الفتنة قال الناس : ننظر إلى هؤلاء النفر، فما صنعوا اقتدينا بهم : يزيد بن الأسود الجُرَشي، ويزيد بن نمران، وربيعة بن عمرو الجُرَشي. فأمّا ربيعة فقُتل بمرج راهط في تلك السنة. وكان مع الضّحّاك بن قيس الفِهْريّ، وأما يزيد بن نمران فكان مع مروان بن الحكم فسلم، وأما يزيد بن الأسود فلحِق بالساحل، وكان من عُبّاد أهل الشام وزُهّادهم، وبقي إلى أيام عبد الملك.[٣]

---

(١) الفتوح لابن أعثم ١٢٤/٢ ـــ ١٢٧.

(٢) البلدان ٢٣٧.

(٣) التاريخ الكبير للبخاري ٢٨١/٣.

ونرجّح أنّ « ربيعة بن عمرو الجُرَشي » نزل بمدينة صيدا قبل أن يُقتل في مرج راهط سنة ٣٧ هـ إذ بها نشأ أبناؤه وأحفاده : الغاز بن ربيعة، وهشام بن الغاز، وبشْر بن الغاز، وربيعة بن الغاز. ممّا يعني أنّ صيدا كانت موطناً للجُرَشيّين ــ بضم الجيم، وفتح الراء، وكسر الشين المعجمة ــ، وهذه النسبة إلى بني جُرَش، وهم بطن من حِمْيَر. وقد قيل إنّ « ربيعة » صحابيّ، وفي صُحْبته نظر. خرج حفيده « بشْر بن الغاز » في غزاة مع « يزيد بن الأسود الجُرَشي ».[1] ووجود اليمنيّين في صيدا يؤكّده « اليعقوبي » حيث يقول : « .. ولبنان صيدا وبها قوم من قريش ومن اليمن.. ».[2]

وفي سنة ٥٨ هـ/٦٧٩ م قام البيزنطيّون بحملة بحريّة كبيرة وصلوا فيها إلى صيدا وصور واستولوا عليهما، ومن ثمّ تسلّقوا جبال لبنان ومعهم الجراجمة، واضطرّ معاوية أن يعقد هدنة مع الإمبراطور « قسطنطين اللحياني ».[3] وعادت صيدا للمسلمين من جديد.

وتنقطع أخبارها في المصادر التاريخية بعد ذلك، حتى سنة ١٢٥ هـ/٧٤٣ م.حين يأتي ذِكْرُها عَرَضاً عند « المنبجي » الذي يقول إنّ « الأسود بن بلال المحاربي » نقل جماعة من أهل قبرس إلى ساحل الشام وأسكنهم

---

(١) أنظر التاريخ الكبير للبخاري ٢٨١/٣ و٣١٨/٨، وتاريخ أبي زرعة ٢٣٥/١ و٦٠٢، ومشاهير علماء الأمصار لابن حبّان ١١٥ و١١٨، والإكمال لابن ماكولا ٢٣٥/٢، ٤/٧، وتاريخ دمشق (المخطوط بالظاهرية) ٦٥/٨أ، وتاريخ دمشق ــ تحقيق محمد أحمد دهمان ١٠٦/١٠، واللُّباب لابن الأثير ٢٧٢/١ (وفيه أن يزيد بن الأسود هو الذي قُتل بمرج راهط، وهذا وهْم، والصحيح أنّ الذي قُتل هو ربيعة بن عمرو)، ومشتبه النسبة لعبد الغني بن سعيد (مخطوطة المتحف البريطاني) ١٠أ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٣٦٥/١١، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان، في تراجم الجُرَشيّين الصيداويّين : ج ١٨/٢ ، ١٩ رقم ٣٤١ وج ٢٥٠/٢ رقم ٥٨٣ وج ٢٥١/٢ رقم ٥٨٤ وج ١٤٦/٥ ــ ١٤٨ رقم ١٧٧١ وج ٢٠٩/٥، ٢١٠ رقم ١٨٣٨، وج ٢١٠/٥ رقم ١٨٤٠ مع المصادر في الحواشي.

(٢) البلدان ٣٢٧.

(٣) المنتخب من تاريخ المنبجي ٧٢.

« الماحوز » بين صيدا وصور، وذلك في عهد « الوليد بن يزيد بن عبد الملك ».[1]

* * *

ترميم ميناء صيدا

وفي عهد « مروان بن محمد » آخر خلفاء بني أميّة جرى ترميم ميناء صيدا على يد « زياد بن أبي الورد الأشجعيّ » ونستدلّ على ذلك من عبارة عُثر عليها منقوشة بالميناء، نصُّها : « ... ما أمر بإصلاحه أمير المؤمنين مروان وجرى على يدي زياد بن أبي الورد ».[2] وهذا النصّ عثر عليه المستشرقون، وهو تماماً ما أورده « الجهشياري » عن ميناء صور وعكا.

قال « الجهشياري » في تعريفه بابن أبي الورد :

« وكان يكتب لمروان على النفقات زياد بن أبي الورد الأشجعي، واسمه مكتوب على ميناء صور وميناء عكا : ما أمر بإصلاحه أمير المؤمنين مروان وجرى على يد زياد بن أبي الورد ».

« وذكر عليّ بن سراج المحدّث أنه رأى على بيت مالٍ بأذْرَبِيْجان : ممّا أمر به عبدالله المنصور أمير المؤمنين، وجرى على يد زياد بن أبي الورد، لأنه تقلّد أيضاً للمنصور ».[3]

وذكره « الطبريّ » بين كُتّاب « مروان »،[4] ويبدو أنه كان آخرهم عنده،

---

(١) المنتخب من تاريخ المنبجي ٩٥.

(٢) Répertoire Chronologique D'Epigraphie Arabe - T.I, P. 29, N° 37, (Acre et Sidon) - Le Caire 1931

(٣) الوزراء والكُتّاب للجهشياري ــ تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، والشلبي ــ طبعة مصطفى البابي الحلبي، الثانية ١٤٠١ هـ/١٩٨٠ م ــ ص ٨٠.

(٤) تاريخ الطبري ١٨٢/٦ (حوادث سنة ٧٢ هـ).

وبقي في مهمّته حتى سقطت الدولة الأموية وقامت الدولة العباسية، حيث عمل لأبي جعفر المنصور.

وقد وضع « ابن عساكر » ترجمة انفرد بها عن « ابن أبي الورد »، وفيها : « المشجعيّ الكاتب، كان من أمراء دمشق »، وأن الروم خرّبوا حصن مرعش فيما كان الخليفة « مروان » نازلاً على حمص سنة ١٢٧ هـ/٧٤٥ م فلما قفلوا إلى بلادهم وفرغ « مروان » من أهل حمص قطع بعثاً على أهل الشام إلى بنيان مرعش وجعل الرئيس على البنّائين زياد بن أبي الورد.[١] وهذا يعني أن « ابن أبي الورد » أسهم أو أشرف على بناء عدّة معالم وأماكن في بلاد الشام وغيرها، وليس في صور وعكا فقط مما قد توحيه رواية الجهشياري السابقة.

من أعلام صيدا

نزل جماعة من الصحابة مدينة صيدا وهم في طريقهم إلى غزوة رودس، فيما استوطنها جماعة من التابعين، كان منهم : « ربيعة بن عمرو الجُرَشي » جدّ الجُرَشيّين الصيداويّين، الذي قُتل في مرج راهط سنة ٣٧ هـ.

ــ **الغاز بن ربيعة** ذكره « الطبريّ » في حوادث سنة ٦١ هـ/٦٨١ هـ وقال إنه من حِمْيَر، روى عنه « يزيد بن رَوْح بن زِنباع الجُذامي »، وكان يحضر مجلس « يزيد بن معاوية » وحكى عنه خبراً.[٢] وهو يحدّث عن أبيه ربيعة. حدّث عنه ابنه « هشام ».[٣] وقال « اليعقوبي »: كان الغاز هو الغالب على الخليفة « الوليد بن عبد الملك ».[٤]

---

(١) تهذيب تاريخ دمشق ٤٣٧/٥.

(٢) تاريخ الطبري ٤٥٩/٥، العقد الفريد ٣٨١/٤.

(٣) الكنى والأسماء للحاكم ٥٢/١.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢٩١/٢ وقد تحرّف اسمه إلى « الغازي » و« الحرشي ». بالحاء المهملة.

ـ **بِشرْ بن الغاز بن ربيعة** أخو : هشام وربيعة بن الغاز. حدّث عن مولىً له. روى عنه أبو مسعود أيّوب بن سُوَيد الرملي الحِمْيَري. كان مع « يزيد بن الأسود » في غزاة.(1)

ـ **هشام بن الغاز بن ربيعة بن عمرو بن عوف بن زهير الجُرَشِي، أبو هشام العباس الصيداوي** أخو : بِشْر وربيعة. روى عن مكحول الشاميّ وعُبادة بن نسيّ،ونافع مولى ابن عمر، وغيرهم. روى عنه : عبدالله بن المبارك، والوليد بن مسلم، ووكيع بن الجرّاح، وابن غُنَيْم البعلبكّي(2) وغيرهم. وكان محدّثاً حافظاً ثقة، نزل بغداد وحدّث بها في السنوات الأولى من قيام الدولة العباسية، وولّاه أبو جعفر المنصور بيت المال. مات في سنة ١٥٣ هـ.(3)

ـ **سليمان بن أبي كريمة، أبو سَلَمَة الصيداوي** محدّث مؤرّخ، تعلّم اليونانية. روى عن : حيّان مولى أمّ الدرداء، ومكحول الشاميّ، وغيرهما. روى عنه : صدقة بن عبدالله المعروف بالسمين المتوفي ١٦٦ هـ، وعمرو بن هاشم البيروتي، والوليد بن مسلم، وغيرهما.

قال الطبري في تاريخه : « روى الوليد بن مسلم عن سليمان بن أبي كريمة، والليث بن سعد، وغيرهما من مشيخة ساحل دمشق أنّ صُلح قبرس وقع على جزية سبعة آلاف دينار يؤدّونها إلى المسلمين في كل سنة، ويؤدّون إلى الروم مثلها، ليس للمسلمين أن يحولوا بينهم وبين ذلك على ألّا يغزوهم ولا يقاتلوا من وراءهم ممّن أرادهم من خلفهم، وعليهم أن يُؤْذِنوا المسلمين

---

(1) تاريخ دمشق ـ تحقيق دهمان ١٠٦/١٠، موسوعة علماء المسلمين ١٨/٢، ١٩ رقم ٣٤١.

(2) الإكمال لابن ماكولا ١٤١/٦.

(3) طبقات ابن سعد ٤٦٨/٧، تاريخ أبي زرعة ٤٣/٤أ، مشاهير علماء الأمصار ١٨٣، الإكمال ٤٣٥، وتاريخ بغداد ٤٢/١٤ ـ ٤٤، ذكر أسماء التابعين ٤٤١/١، الأنساب ٢٢٨/٣، البدء والتاريخ ٢ /١٧٦، اللباب ٢ /٢٥٣، معجم البلدان ٣ /٤٣٨، موسوعة علماء المسلمين ٥ /١٤٦ ـ ١٤٨ رقم ١٧٧١.

بمسير عدوّهم من الروم إليهم، وعلى أن يُبَطْرَق إمامُ المسلمين عليهم منهم ». [1]

وذكر ابن أبي كريمة أنه نظر إلى عمود من حجر عليه مكتوب كتاباً، فلم يُحسن أن يقرأه، فتعلّم بعد ذلك قراءة اليونانية فقرأه، فإذا عليه : بنى صيدا صيدون بن سام بن نوح، وهي رابع مدينة بُنيت بعد الطوفان. [2]

ـــ **سعيد بن خالد بن أبي طويل القرشي الصيداوي** محدّث من أهلها. مرّ ذِكْره في حديثنا عن المرابطين ببيروت، فليُراجع هناك.

ـــ **بولس الأنطاكي** أسْقُفّ صيدا، وُلد في أنطاكية، ودخل سلْك الرهبنة، ثم سِيم أُسقُفاً على صيدا، وكان عالماً. تُوُفّي ودُفن في صيدا سنة ١٥٤ هـ/ ٧٧٠ م.

من آثاره المصنَّفَة : الكتاب الخمسون وهو يشتمل على موجز في اللاهوت، وعلى مقالة في مجيء السيّد المسيح عليه السلام فنّد فيها مزاعم اليهود وتخرُّصاتهم.

وكتب رسالة إلى أحد معارفه المسلمين من سكان صيدا بيّن فيها ما يقوله النصارى في الرسول محمد ﷺ وسُنَّته، منها نسخة وصلتنا في ١٥ صفحة. [3]

وكتب مقالة في التثليث والتجسُّد أنفذها إلى رجل صيداويّ اسمه أبو

(١) تاريخ الطبري ٢٦٢/٤.

(٢) معجم الشيوخ لابن جُمَيْع الصيداوي ـــ بتحقيقنا ـــ ص ٣٠٧، ٣٠٨ رقم ٢٧٣، تاريخ دمشق (المخطوط) ٢١٥/٤٢.

(٣) في مكتبتي نسخة مصوّرة عن النسخة الخطّية المحفوظة في دائرة الآثار ببغداد، الملحقة بمكتبة المتحف العراقي، برقم ٢/٨٧٣٧.

سرور. وكتب مقالة أخرى في البِدَع المنتشرة في عصره يفنّد فيها آراء المبتدعين.

وله خطبة في تفسير بعض آيات الإنجيل، ولا سيما قول : « من نظر امرأة ليشتهيها... »، وخطبة أخرى في الإيمان.

وله كتاب في الفضائل المسيحية وممارستها، وكتاب لاهوتي في الشرع النصرانيّ كُتب باللغة العربية في ١٦٤ صفحة.[١]

المعالم الأثرية

ومن معالم صيدا التي تعود إلى عهد الخلفاء الراشدين : المسجد الجامع المعروف بالجامع العمري الكبير، وهو منسوب إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ونرجّح أنه بُني في عهده بين سنتي ١٤ و٢٤ هـ وقد طرأت عليه كثير من التغييرات بعد ذلك.

ومن معالمها أيضاً : « مقام الصحابيّ شرحبيل بن حسنة » رضي الله عنه، وهو في المنطقة المعروفة بالحبابية في الجهة الشرقية الجنوبية المشرفة على المدينة.

وإذا كانت المصادر التاريخية لا تحدّد مكان وفاة « شُرَحْبيل » بل تقول إنه مات في طاعون عَمَواس سنة ١٨ هـ بالشام،[٢] فإن اصطلاح الشام عند المؤرّخين المسلمين في ذلك الوقت كان اصطلاحاً مطلقاً عن الصّقع بكامله، وليس عن موضع محدّدٍ بعينه، ولهذا نميل إلى الأخذ بقول أهل صيدا الذي

(١) صيدا عبر حقب التاريخ ــ منير الخوري ــ منشورات المكتب التجاري، بيروت ١٩٦٦ ــ ص ١٣٥، ١٣٦.

(٢) أنظر مصادر ترجمته في تحقيقنا لتاريخ الإسلام للذهبي (عهد الخلفاء الراشدين) ــ ص ١٨١.

ينقلونه بالتواتر عن آبائهم وأجدادهم، رغم أنّ أحد المؤرّخين ينفرد بقوله إن النبيّ ﷺ أرسل شرحبيل إلى مصر فمات بها.[1]

صور

تُعتبر مدينة صور داخلة في قطاع جُنْد الأردنّ، ولذلك كان المكلّف بفتحها القائد الصحابيّ « شُرَحبيل بن حسنة » الذي انيطت إليه مهمّة فتح هذا القطاع، وتمكّن من فتحها في أواخر سنة ١٣ هـ[2] وتزعم رواية منسوبة للواقديّ أنّ فتحها كان بطريق الخديعة على يد راهب نصرانيّ اعتنق الإسلام يُدعى « يوقنا » بينما كان يحاصرها « يزيد بن أبي سفيان ».[3]

ووجدت المدينة العناية مبكراً من المسلمين، حيث قام معاوية بترميمها[4] واهتمّ بملء الفراغ السكاني الذي أصابها بعد نزوح الروم عنها، فأتى بالفرس وأنزلهم فيها كما فعل بغيرها من المدن الساحلية، فقد ذكر البلاذريّ أن معاوية نقل من فُرس بعلبك وحمص وأنطاكية إلى سواحل الأردن صور وعكا وغيرها سنة ٤٢ هـ.[5] وروى هشام بن الليث الصّوريّ عن أشياخه قالوا : نزلنا صور والسواحل وبها جُنْد من العرب وخلْق من الروم. ثم نزع إلينا أهل بلدان شتّى فنزلوها معنا، وكذلك جميع سواحل الشام.[6] ولذلك قال اليعقوبيّ عن صور : « وكان أهلها أخلاطاً من الناس ».[7]

وفي سنة ٥٩ هـ/٦٧٩ م تمكّن البيزنطيّون من الاستيلاء عليها وعلى صيدا

(١) الإصابة ــ ١٤٣/٢ رقم ٣٨٦٩.
(٢) فتوح البلدان ١٣٩/١، الخراج ٢٩٠.
(٣) فتوح الشام للواقدي ١٨/٢ ــ ٢١.
(٤) فتوح البلدان ١٤٠/١.
(٥) فتوح البلدان ١٧٥/١.
(٦) فتوح البلدان ١٤٠/١.
(٧) البلدان لليعقوبي ٣٢٧.

وتسلّقوا جبال لبنان بمساعدة الجراجمة،[1] إلى أن عقد معاوية الهدنة مع الإمبراطور واستعاد المدينة.

دار الصناعة البحرية

وفي عهد عبد الملك جرى تجديد بنائها بعد أن كانت خربة،[2] وارتفع شأنها بين المدن الساحلية حين نقل إليها « هشام بن عبد الملك » دار الصناعة البحرية، وكانت الصناعة في الأردنّ بعكا، فذكر أبو الخطّاب الأزديّ أنه كانت لرجل من ولد أبي مُعَيْط بعكا أرْحاء ومستغلّات، فأراده هشام بن عبد الملك على أن يبيعه إيّاها، فأبى المُعَيطيّ ذلك عليه. فنقل هشام الصناعة إلى صور، واتّخذ بصور فندقاً ومستغَلّاً. وقال الواقديّ : لم تزل المراكب بعكا حتى وُلّي بنو مروان فنقلوها إلى صور، فهي بصور إلى اليوم.[3]

إمرة البحر

وفي أيام هشام قام البيزنطيون بغزوة بحرية إلى صور سنة ١٠٧ هـ/٧٢٦ م فتصدّى لهم « خالد بن الحسفان الفارسيّ » وأجبرهم على الفرار بعد أن استولى على سفينة لهم كانت رست على جزيرة قبالة صور، وأسر من فيها.[4] ومن المحتمل أن « ابن الحسفان » كان من غُزاة البحر في ثغر صور، وأنّ أمير البحر بها كان « يزيد بن أبي مريم » الذي عزله هشام لتهاونه في مواجهة الغُزاة، وولّى إمارة البحر مكانه « الأسود بن بلال المحاربي »،[5] فقطع « الأسود » البحر في سنة ١١١ هـ/٧٣٠ م ردّاً على تلك الغزوة.[6]

---

(١) المنتخب من تاريخ المنبجي ٧٢.
(٢) فتوح البلدان ١/١٤٠ و١٧٠.
(٣) فتوح البلدان ١/١٤٠.
(٤) تاريخ دمشق (المخطوط) ٤٦/٧٦٧.
(٥) تاريخ دمشق ٤٦/٧٦٧.
(٦) تاريخ الطبري ٧/٦٧، الكامل لابن الأثير ٥/٥١٨.

وكانت تُناط بأمير البحر مهمّة الدفاع عن طول الساحل الشاميّ، ولذلك نرى « الأسود » يخرج لمطاردة الغزاة البيزنطيّين حين هاجموا سفينة تجارية عند ثغر بيروت.[1] وقام بغزوة إلى قبرس في سنة ١٢٠ هـ/٧٣٨ م[2] ثم بغزوة إلى جزيرة أقريطش في السنة التالية أو التي بعدها (١٢١ أو ١٢٢ هـ).[3]

وفي عهد « الوليد بن يزيد » زادت سُلُطات « الأسود » فأصبح أميراً على جيش البحر في ساحل الشام كله، وقاد حملة كبيرة إلى جزيرة قبرس فنزل عليها في سنة ١٢٥ هـ/٧٤٣ م وأتى بطائفة من أهلها وأسكنهم « الماحوز » بين صيدا وصور.[4]

وفي عهد « مروان بن محمد » تمّ ترميم ميناء صور على يد كبير البنّائين « زياد بن أبي الورد الأشجعيّ » الذي ترك اسمه منقوشاً في عبارة تردّدت في ميناء صيدا وعكا وأَذْرَبِيْجان ومَرْعَش : « .. ما أمر بإصلاحه أمير المؤمنين مروان وجرى على يدي زياد بن أبي الورد ».[5]

* * *

الرباط في صور

وكانت صور من أهمّ ثغور الشام عند المرابطين، حتى أنّ الإمام الأوزاعيّ كان يفضّل الرباط فيها على بيروت، وعبّر عن ذلك بقوله لحسّان بن سليمان الساحلي : « عليك بصور فإنها مباركة مدفوعٌ عنها الفِتَن، يصبح فيها الشرّ

---

(١) تاريخ دمشق (المخطوط) ١٨/٦، التهذيب ٤٣/٣.
(٢) تاريخ دمشق ١٩/٦.
(٣) تاريخ دمشق ١٨/٦، ١٩، التهذيب ٤٧/٣ و٣٩٠/٤.
(٤) المنتخب من تاريخ المنبجي ٩٥.
(٥) الوزراء والكُتّاب للجهشياري ٨٠.

فلا يُمسي، ويُمسي فيها فلا يُصْبح. قبر نبيٍّ في أعلاها.. ولو أنّني استقبلت من أمري ما استدبرت ما عدلت بها بلداً ».[1]

وقد رأى « إبراهيم بن أدهم » مدينة صور في نومه كأنها ياقوتة بيضاء، ولذلك خرج من كورة بلْخ وهو صغير يحلُم بنزول صور والإقامة فيها، وحول ذلك روى مولاه « فرج » بصور سنة ١٨٦ هـ فقال : « كان إبراهيم بن أدهم رأى في المنام كأنّ الجنة فُتحت له، فإذا فيها مدينتان، إحداهما من ياقوتة بيضاء، والأخرى من ياقوتة حمراء، فقيل له : أسكن هاتين المدينتين فإنهما في الدنيا، فقال : ما اسمهما ؟ قيل : اطلبهما فإنك تراهما كما أوريتهما في الجنة، فركب يطلبهما، فرأى رباطات خراسان، فقال : يا فرج ما أراهما! ثم جاء إلى قزوين، ثم ذهب إلى المصّيصة والثغور، حتى أتى الساحل في ناحية صور، فلما صار بالنواقير — وهي نواقير نقرها سليمان بن داود على جبل على البحر — فلما صعد عليها رأى صور، فقال : يا فرج، هذه إحدى المدينتين، فجاء حتى نزلها، فكان يغزو مع أحمد بن معيوف، فإذا رجع نزل يمنة المسجد، فغزا غزوة فمات في الجزيرة، فحُمل إلى صور، فدُفن في موضع يقال له « مدفلة ». فأهل صور يذكرونه في تشبيب أشعارهم، ولا يَرْثون ميتاً إلّا بدأوا بإبراهيم بن أدهم. قال القاسم بن عبد السلام: قد رأيت قبره بصور. والمدينة الأخرى : عسقلان ».[2]

وكان « سفيان الثوريّ » يحدّث بعسقلان، فربما حدّث الرجل الحديثَ فيقول له : هذا خير لك من ولايتك عسقلان وصور.[3]

ومن الأمراء والغُزاة والمرابطين الذين نزلوا بها ووصلتنا أسماؤهم في هذه الحقبة : الأسود بن بلال أمير البحر، وخالد بن الحسفان الفارسي أحد غُزاة

(١) تهذيب تاريخ دمشق ١٤٠/٤، ١٤١.

(٢) حلية الأولياء ٩/٨.

(٣) حلية الأولياء ٣٦٩/٦، ٣٧٠.

البحر، وأبو عليّ حسّان بن سليمان الساحلي الذي رابط فيها وروى عنه أبو حفص عمر بن الوليد الصوري.[1]

ويظهر أنّ الفُرس الذين نقلهم معاوية إليها بعد تولّيه الخلافة قاموا ببناء مسجد خاصٍ بهم ولِذا عُرِف بمسجد الفرس.[2]

وجاء في تاريخ دمشق لابن عساكر أنّ رجلاً من أهل بيروت قرأ على حائط سور مدينة صور مكتوباً :

دعِ الدنيا فإنّي أراها لمن يرضى بها دار بَوَار
ودارك إنّما الذاتُ فيها معلّقة بأيامٍ قِصار[3]

القائد الصّوريّ

وحظيت صور في أيام معاوية بقائد بحريّ ذاعت شُهْرته وشجاعته وجُرْأته وصلابتُه في البلاد، حتى أنّ البيزنطيّين كانوا يخشَونه لكثرة غزواته إليهم وكَيْده بهم، لدرجة أنهم قاموا برسم صورة له في بعض كنائسهم الكبيرة ليتعرّفوا إلى شخصيّته ويحذروه.[4] ويروي لنا « المسعوديّ » قصّة عنه أذكرها هنا لغرضين :

الأول : طرافة القصّة ومتْعة قراءتها.

الثاني : ـ وهوالأهمّ ـ الوقوف على صورة من صُوَر المكائد والحِيَل التي مورست في عصر الصراع العربي ـ البيزنطيّ.

وتقول رواية المسعودي ما نصّه : « فأمّا خبر معاوية وما ذكرناه من خبر

---

(١) تاريخ دمشق (المخطوط) ٣٢٦/٨، تهذيب تاريخ دمشق ١٤٠/٤، ١٤١.
(٢) تاريخ دمشق (المخطوط) ١٣٦/٤ و١١٥/٢٦ وكان إمامه : إبراهيم بن إسحاق بن أحمد المقرئ.
(٣) تاريخ دمشق (المخطوط) ١١٤/٤٨ و١٢٦.
(٤) مروج الذهب ٢١٤/٤.

الرجل الذي أسر البطريق من مدينة القسطنطينية، فهو أنّ المسلمين غَزَوا في أيّام معاوية، فأُسِر جماعة منهم، فأُوقِفوا بين يدي الملك، فتكلّم بعض أسارى المسلمين، فدنا منه بعض البطارقة ممّن كان واقفاً بين يدي الملك فلطم حُرّ وجهه فآلمه ـــ وكان رجلاً من قريش ـــ فصاح : وا إسلاماه، أين أنت عنّا يا معاوية ؟ إذ أهملتنا وضيّعت ثغورنا وحكّمْتَ العدوَّ في ديارنا ودمائنا وأعراضنا، فنُمي الخبر إلى معاوية فآلمه، وامتنع من لذيذ الطعام والشراب، فخلا بنفسه وامتنع من الناس، ولم يظهر ذلك لأحدٍ من المخلوقين، ثم أجمل الأمر في إعمال الحيلة بإقامة الفِداء بين المسلمين والروم، إلى أن فادّى بذلك الرجل، فلما صار الرجل إلى دار الإسلام دعاه معاوية فَبَرَّه وأحسن إليه، ثم قال له: لم نُهمِلْك ولم نُضَيِّعْك، ولا أبَحْنا دمك وعِرْضك. ومعاوية مع ذلك يجيل الرأي ويُعمل الحيلة.

ثم بعث إلى رجل من **ساحل دمشق** من مدينة صور، وكان به عارفاً، كثير الغزوات في البحر، صُمُلّ[١١٩] من الرجال، مِرْطان[١٢٠] بالروميّة، فأحضره وخلا به وأخبره بما قد عزم عليه، وسأله إعمال الحيلة فيه والتأتّي له، فتوافقا على أن يدفع للرجل مالاً عظيماً يبتاع به أنواعاً من الطُّرَف والمُلَح والجهاز والطيب والجوهر وغير ذلك، وابتُني له مركب لا يُلحق في جرْيه سُرعةً، ولا يُدرك في مسيره بنياناً عجيباً، فسار الرجل حتى أتى مدينة (وفي نسخة : جزيرة) قبرس، فاتّصل برئيسها وأخبره أنّ معه جارية للملك، وأنه يريد التجارة إلى القسطنطينية، قاصداً إلى الملك وخواصّه بذلك، فرُوسِل الملك

---

(١) الصُمُلّ : بالضمّ وتشديد اللام، هو الشديد الخلْق. يقال صَمّل أو أصمألّ الشيء يَصْمُلُ صمولاً : إذا اشتدّ وصَلُب. (سفر السعادة وسفير الإفادة ـــ لعلم الدين أبي الحسن علي بن محمد السخاوي (٥٥٨ ـــ ٦٤٣ هـ) ـــ ج ٣٢٥/١ ـــ تحقيق محمد أحمد الدالي ـــ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٣).

(٢) المِرطان : من رَطَن رَطَانةً أو رِطانة : تكلّم بالأعجمية. (وهذا يرجّح أنّ القائد الصوري كان روميّ الأصل، مثل « سُحيم بن المهاجر الرومي » والي طرابلس الذي مرّ ذكره في عهد عبد الملك والوليد).

بذلك، وأُعلم بحال الرجل، فإذِن له في الدخول، فدخل خليج القسطنطينية، وسار فيه حتى انتهى إلى القسطنطينية... فلما وصل إلى القسطنطينية أهدى للملك وجميع بطارقته، وبايَعَهم وشاراهم، ولم يُعط للبطريق الذي لطم وجه القُرَشيّ شيئاً، وقصْدُه إلى ذلك البطريق الذي لطم الرجل القُرَشيّ.

وتأتّى الصُّوريّ في الأمر على حسب ما رسمه له معاوية، وأقبل الرجل من القسطنطينية الى الشام، وقد أمره البطارقة والملك بابتياع حوائج ذكروها، وأنواع من الأمتعة وصفوها، فلما صار إلى الشام سار إلى معاوية سرّاً، وذكر له من الأمر ما جرى، فابتيع له جميع ما طُلب منه وما علم أنّ رغبتهم فيه، وتقدّم إليه فقال : إنّ ذلك البَطريق إذا عُدْت إلى كَرَّتك هذا سيعذلك عن تخلّفك عن برّه واستهانتك به، فاعتذِرْ إليه ولاطفْه بالقصد والهدايا، واجْعله القيّم بأمرك، والمتفقّد لأحوالك، وانظر ماذا يطلب منك حين أَوْبك إلى الشام، فإنّ منزلتك ستعلو وأحوالك تزداد عندهم، فإذا أتقنت جميع ما أمرتك به وعَلِمت غرضَ البطريق منك، وأيَّ شيءٍ يأمرك بابتياعه، لتكون الحيلة بحسب ذلك.

فلمّا رجع الصُّوريّ إلى القسطنطينية ومعه جميع ما طلب منه والزيادة على ما لم يطلب منه، زادت منزلته وارتفعت أحواله عند الملك والبطارقة وسائر الحاشية، فلمّا كان في بعض الأيّام، وهو يريد الدخول إلى الملك قبض عليه ذلك البَطريق في دار المُلْك وقال له : ما ذنبي إليك ؟ وبماذا استحقّ غيري أن تقصده وتقضي حوائجه، وتُعرض عَنّي ؟ فقال له الصوريّ : أَكثر مَن ذكرتَ ابتدأني وأنا رجل غريب أدخل الى هذا الملك والبلد كالمتنكّر من أسارى المسلمين وجواسيسهم، لئلّا يتمّوا بخبري ويُعنوا بأمري إلى المسلمين فيكون في ذلك فَقْدي، وإذْ قد علمتُ مَيْلك إليّ فلست أُحبّ أن يعتني بأمري سواك، ولا يقوم به عند الملك وغيره غيرك، فأْمُرْني بجميع حوائجك وجميع ما يَعرض من أمورك بأرض الإسلام، وأهدى إلى البَطْريق هديّة حسنة من الزجاج المخروط والطيب والجواهر والطرائف والثياب، ولم يزل هذا فِعْلُه

يتردّد من الروم إلى معاوية، ومن معاوية إلى الروم، ويسأله الملك والبَطريق وغيره من البطارقة الحوائج والحيلة لا تتوجّه لمعاوية حتى مضى على ذلك سنين. فلما كان في بعضها قال البطريق للصوريّ ـــ وقد أراد الخروج إلى دار الإسلام ـــ: قد اشتهيت أن تغمرني بقضاء حاجة وتَمُنّ بها عليّ: أن تبتاع لي بساطاً سو سنجرد بمخَادّه ووسائده، يكون فيه من أنواع الألوان من الحُمْرة والزُرْقة وغيرهما، ويكون من صفته كَذا وكذا، ولو بلغ ثمنه كل مَبْلغ، فأنعم له بذلك.

وكان من شأن الصُّوريّ إذا ورد الى القسطنطينية تكون مركبه بالقرب من موضع ذلك البطريق، وللبَطْريق ضيعة سرّية وفيها قصر مشيّد ومُنْتَزَه حَسَن على أميال من القسطنطينية راكبة على الخليج، وكان البطريق أكثر أوقاته في ذلك المُنتَزه، وكانت الضّيْعة مما يلي فم الخليج مما يلي بحر الروم والقسطنطينية، فانصرف الصّوريّ إلى معاوية سرّاً، وأخبره بالحال، فأحضر معاوية بساطاً بوسائد ومَخَادّ ومجلس، فانصرف به الصّوريّ مع جميع ما طلب منه من دار الإسلام، وقد تقدّم إليه معاوية بالحيلة وكيفيّة إيقاعها. وكان الصّوريّ فيما وصفنا من هذه المدّة قد صار كأحدهم في المؤآنسة وفي العشرة، وفي الروم طمَعَ وشَرَه، فلما دخل من البحر إلى خليج القسطنطينية ـــ وقد طابت له الريح، وقد قرُب من ضَيْعة البطْريق ـــ أخذ الصّوريّ خبر البَطريق من أصحاب القوارب والمركب، فأُخبر أنّ البَطريق في ضيعته... فلما علم الصّوريّ أنّ البطريق في ضيعته فرش ذلك البساط ونضّد ذلك الصدر والمجلس بالوسائد والمَخَادّ في صحن المركب ومجلسه، والرجال تحت المجلس بأيديهم المجاذيف مشكلة قائمة غير قاذفين بها، ولا يُعلم بهم أنهم في بطن المركب إلّا مَن ظهر منهم في المركب عمله، والريح في القلع، والمركب كأنه سهم مارّ في الخليج كأنّه سهم قد خرج من كبد قوس لا يستطيع القائم على الشطّ أن يملأ بصره منه، لسرعة سيره، واستقامته في جَريه، فأشرف على قصر البطْريق وهو جالس في مستشرفه مع حرمه وقد أخذت منه الخمر وعَلاَه الطَرَب وذهب به الفرح

والسرور كلّ مذهب. فلما رأى البطريق مركب الصّوريّ غنّى طرباً، وصاح فرحاً وسروراً وابتهاجاً بقدومه، فدنا من أسفل القصر، وحطَّ القلع، وأشرف البطريق على المركب، فنظر إلى ما فيه من حُسْن ذلك البساط ونظْم ذلك الفرش كأنه رياض تُزْهر، فلم يستطع اللبث في موضعه حتى نزل قبل أن يخرج ذلك الصّوريّ من مركبه إليه، فطلع المركب، فلما استقرّت قدمه في المركب ودنا من المجلس ضرب الصُّوريّ بعقبه على مَن تحت البساط من الوقوف ـــ وكانت علامة بينه وبين الرجال الذين في بطن المركب ـــ فما استقرّ دقّه بقدمه حتى اختطف المركب بالمجاذيف فإذا هو في وسط الخليج يطلب البحر لا يلوي على شيء، وارتفع الصوت، ولم يدْر ما الخبر لمعاجلة الأمر، فلم يكن الليل حتى خرج من الخليج وتوسّط البحر، وقد أوثق البَطريق كِتافاً، وطابت له الريح، وأسعده الجدّ، وحملته المجاذيف في ذلك الخليج، فتعلّق في اليوم السابع بساحل الشام، ورأى البرّ، وحُمل الرجل، فكانوا في اليوم الثالث عشر حضوراً بين يدي معاوية بالفرح والسرور لإثلاجه بالأمر وتمام الحيلة، وأيقن معاوية بالظَفَر وعُلُوّ الجدّ، فقال : عليّ بالرجل القُرشيّ، فأُتي به، وقد حضره خواصّ الناس، فأخذوا مجالسهم، وانغصّ المجلس بأهله، فقال معاوية للقُرَشيّ : قم فاقتصّ من هذا البَطريق الذي لطم وجهك على بساط معظَّم الروم، فإنّا لم نُضَيِّعْك ولا أَبَحْنا دمك وعِرْضك، فقام القُرَشيّ ودنا من البَطريق، فقال له معاوية : انظر، لا تتعدّ ما جرى عليك منه، واقتصّ منه على حسب ما صنع بك، ولا تتعدّ، وراعِ ما أوجب الله عليك من المماثلة، فلطمه القُرَشيّ لطماتٍ، ووكزه في حلْقه، ثم انكبّ القُرَشيّ على يدي معاوية وأطرافه يقبّلها، وقال : ما أضاعك من سَوَّدَك، ولا خاب فيك أملُ من أمّلك، أنت ملك لا تُضام، تمنع حِماك، وتصون رعيّتك، وأغرق في دعائه ووصفه، وأحسن معاوية إلى البَطريق، وخلع عليه وبَرّه، وحمل معه البساط، وأضاف إلى ذلك أموراً كثيرة وهدايا إلى الملك، وقال له : إرجع إلى ملكك وقل له : تركت ملك العرب يقيم الحدود على بساطك ويقتصّ لرعيّته في دار مملكتك وسلطانك، وقال للصوريّ : سر معه حتى تأتي

الخليج فتطرحه فيه ومن كان أُسِر معه ممّن بادر فصعِد المركب من غلمان البَطريق وخاصّته، فحُملوا إلى صور مُكرَمين، وحُملوا في المركب، فطابت لهم الريح، فكانوا في اليوم الحادي عشر متعلّقين ببلاد الروم، قرُبوا من فم الخليج، وإذا به قد أُحكم بالسلاسل والمَنَعَة من الموكَلين به، فطرح البَطريق ومن معه، وانصرف الصّوريّ راجعاً، وحُمل البَطريق من ساعته إلى الملك ومعه الهدايا والأمتعة، فتباشرت الروم بقدومه، وتلقّوه مهنّئين له من الأسر، فكافأ الملك معاوية على ما كان من فِعْله بالبَطريق والهدايا، فلم يكن يُستضام أسير من المسلمين في أيّامه، وقال الملك: هذا أمكر الملوك وادهى العرب، ولهذا قدّمته العرب عليها، فساس أمرَها، واللهِ لو هَمَّ بأخذي لتمّت له الحيلة عليّ ». [1]

ونحن إذا سلّمنا بصحّة هذه القصّة التي يرويها « المسعودي » — وهو من هو بين المؤرّخين المسلمين الكبار — فإننا بالمقابل، لا يجوز أن نستبعد ما جاء في كتاب « فتوح الشام » المنسوب للواقدي، عن مكيدة الراهب الحلبي « يوقنا » الذي اعتنق الإسلام ونجح في تسليم مدينتي صور وطرابلس للمسلمين في عهد الخليفة عمر، كما نوّهنا بذلك في حركة الفتح الإسلامي.

جُبَيْل

كانت جُبيل ضمن القطاع الذي كُلِّف « يزيد بن أبي سفيان » في فتحه على ساحل الشام، فقام هو وأخوه معاوية بفتحها دون عناء كبير، وذلك بعد فتح دمشق، وكان فتحها في السنة التي تمّ فيها فتح كلٍّ من صيدا وبيروت وعرقة، وقد جلا الكثير من أهلها إبّان حركة الفتح الإسلامي، ولهذا أقدم المسلمون على نقل الناس من المدن الداخلية إلى الساحل، فنزلوا جُبيل مثل غيرها، وفي مقدّم الناس الفُرس الموالي، حيث يقول « اليعقوبي » : « وجبيل

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٢١٥/٤ — ٢١٩، نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري ١٨٥/٦ — ١٨٧، خطط الشام لمحمد كرد علي ١٣٣/١.

وصيدا وبيروت وأهل هذه الكُوَر كلها قوم من الفرس، نقلهم إليها معاوية بن أبي سفيان ».[1]

وقد تعرّضت جبيل لغزوة بيزنطية في سنة ٥٩ هـ/٦٧٩ م حيث تمكّن البيزنطيون في تلك السنة من الاستيلاء على معظم الساحل وتسلّقوا جبال لبنان ومعهم الجراجمة، حتى عقد معاوية هدنة مع الإمبراطور « اللحياني » واسترجعها المسلمون.

وظلّت المدينة إسلاميّة حتى بعد قدوم الموارنة من نواحي حماة واستيطانهم في بلدة « سمر جُبَيل » في جبل لبنان،[2] على عهد معاوية. إذ على طريقها كانت تنتقل جيوش المسلمين، وليس أدلّ على ذلك من وصول والي بيروت أمير البحر « عبد الرحمن بن سُلَيم الكلبي » من بيروت إلى طرابلس عبر طريق جبيل لمقاتلة البيزنطيّين في عهد « الوليد بن عبد الملك ».

من أعلام جبيل

وإذا كانت المدينة لم تعد تُذكر في المصادر التاريخية البحتة عن تلك الفترة، فإنّ كُتُب الرجال تُعطينا بعض المعلومات التي تؤكّد أن جُبَيل كانت رباطاً للمسلمين مثل غيرها من المدن الساحلية، وقد نزلها : « يزيد بن حسّان » مولى الخليفة « عمر بن عبد العزيز » وكان من المعمَّرين، حدّث عن أبيه « حسّان ». حكى عنه ابن ابن أخيه إسماعيل بن حصن بن حسّان الجُبَيْليّ فقال : قال لي عمّ أبي : لي مائة وخمس سنوات، وغزا مع الناس في هِرَقْلة ومات بعد قُفُوله.[3] ولما كانت موقعة هرقلة في سنة ١٩٠ هـ فإن « يزيد بن حسّان » من أبناء الثمانين للهجرة، ويُحتمل أنه نزل جُبَيل واستوطنها بعد وفاة

(١) البلدان ٣٢٧.
(٢) تاريخ الطائفة المارونية ٦٢/١.
(٣) تاريخ دمشق (المخطوط) ٥٣٦/٤٦.

الخليفة عمر في مطلع القرن الثاني الهجري، وأخوه هو « حصن بن حسّان القُرَشي الجُبيلي » الذي يروي عن « أبي مطيع معاوية بن يحيى الأطرابُلُسيّ »،[1] وابن أخيه هو: « اسماعيل بن حصن بن حسّان القُرَشي الجُبَيلي » المتوفّى سنة ٢٦٤ هـ.[2] وهو أشهر من أخرجته جُبيل من المحدّثين.

وممّن كان بها ونُسب إليها : « أبو سعيد الجُبَيلي الساحلي »، وهو يروي عن أبي زياد، وعبد الملك بن داود. روى عنه عبدالله بن يوسف التنّيسي.[3]

وورد في بعض المصادر : أبو سعيد شيخ بالساحل، مجهول لا يُعرف اسمه، كان بساحل لبنان، حدّث عن رجل من بني قُشَير يُقال له « قُرّة بن هبيرة ». روى عنه عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الذي حدّث ببيروت. و« قُرّة بن هُبيرة » هو جدّ الصِّمّة الشاعر وأحد الوجوه من الوفود الذين لهم صُحْبة.[4]

وقد بقيت جُبيل ثغراً من ثغور الرباط الرئيسة على الساحل حيث رابط بها « إبراهيم بن أدهم » و« بقيّة بن الوليد الحمصي » و« تميم بن خلف الداريّ » وغيرهم في العصر العبّاسي الأول.

* * *

---

(١) الإكمال ٢٥٩/٢، تاريخ دمشق (المخطوط) ٢٣٥/١١.

(٢) المعجم الصغير للطبراني ١٤١/٢، تاريخ دمشق (المخطوط) ٤٩١/٥، معجم البلدان ١٠٩/٢، المشترك وضعاً ٩٧، موسوعة العلماء المسلمين في تاريخ لبنان ٤٦٨/١ — ٤٧٠ رقم ٣٠٧.

(٣) تاريخ دمشق (المخطوط) ١٢٧/٤٧، موسوعة علماء المسلمين ٢٤٨/٥ رقم ١٩٠٠.

(٤) أُسْد الغابة لابن الأثير ٢٠٣/٤، الإصابة لابن حجر ٢٣٤/٣.

وقيل إنه كان مكتوباً على باب مدينة جبيل :

إلى أيّ المدائن صرتَ يوماً   رأيت قُبورَها قبل القصورْ
أتاك الوعظ قبل الحظّ منها   نعم، ونذيرُها قبل البشِيرْ[1]

عِرْقة

تُعتبر عِرْقة من أعمال طرابلس، وهي عند الطريق الشمالية القادمة إليها من منطقة عكار، وبحُكْم موقعها هذا كان لا بدّ من مرور الفاتحين بها وهم قادمين نحو طرابلس عبر إقليم البُقيعة، وهذا ما حدث عندما وصلت طلائع المسلمين بقيادة « عبد الله بن جعفر » إلى مرج السلسلة الواقع بين عرقة وطرابلس، حيث جرت موقعة بين المسلمين والروم في المرج عند حصن يُعرف بأبي القدس.[2] أما فتح عرقة نفسها فكان على يد « معاوية بن أبي سفيان » في ولاية أخيه « يزيد بن أبي سفيان ».[3] وذلك بعد فتح دمشق حول سنة ١٤ هـ.

وكما فعل معاوية بالمدن « اللبنانية » الساحلية من إنزال الجاليات الفارسية بها بعد أن جلا أهلها عنها، كذلك فعل بعِرقة، ولهذا يقول « اليعقوبي » : « ولجُنْد دمشق من الكُوَر على الساحل : كورة عرقة، ولها مدينة قديمة فيها قوم من الفرس ناقلة، وبها قوم من ربيعة من بني حنيفة ».[4]

وتنقطع أخبار عِرْقة بعد ذلك في المصادر، ولكن المدينة ظلّت مقصداً

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبُلغاء ــ للأصفهاني ــ نسخة خطّية من مكتبة الشيخ خليل الثمين الطرابلسي، كُتبت سنة ٦٠٢ هـ ــ المجلّد الثاني ــ ص ١٧٢.

(٢) فتوح الشام للواقدي ٥٦/١.

(٣) فتوح البلدان ١٥٠/١، الخراج ٢٩٥.

(٤) البلدان لليعقوبي ٣٢٧.

للمرابطين والمحدّثين حيث وَصَلَنا جماعة منهم في العصر العباسي الأول وما بعده.

جبل لبنان

من أهمّ ما يلاحظه الباحث وهو يدرس تاريخ « لبنان »، عدم تعرُّض المصادر بشيء عن فتح المسلمين لجبل لبنان، ممّا يعني أنّ الجبل لم يكن معموراً في ذلك الوقت، ولهذا أهملت المصادر التاريخية الحديث عنه، فيما تحدّثت عن المدن الساحلية ومدن الداخل البقاعيّ. وكلّ الذي ورد عن المناطق الجبلية هو ما جاء عند « الفسوي » من إقامة مَسْلَحَة للمسلمين بعين مَيْسَنون وفيها أبو عثمان شراحيل بن مرثد الصنعاني، فأغار عليهم بطريق للروم من عَقَبَة بيروت يُدْعى « سسناق »[1]، ولكن هذه الغارة لم تمنع المسلمين من الانحدار نحو الساحل وفتحه فيما بعد.

سكان الجبل

وفي المقابل، لا يمكن الجزم بأنّ الجبل كان خالياً من السكان بشكل مُطْلَق، ولكن يمكن القول إنّ سكانه لم يكونوا على شيء من الخطورة في ذلك الوقت، ولذلك لم يجد المسلمون من ضرورة تستدعي غزْوَهم له . بل إنّ الأنباط الذين كانوا يسكنونه أبدَوا ترحيبهم بالفاتحين، ليتحرّروا من أسيادهم البيزنطيّين، ولهذا كان الأنباط من أكثر الأقوام إخلاصاً للمسلمين حيث عملوا عيوناً لهم، وفي ذلك يقول « ابن أعثم الكوفي » : « وكان هؤلاء الأنباط قوم نصارى غير أنهم كانوا إلى المسلمين لِبِرّهم أمْيَل بهم، وصِلَتهم إيّاهم، فكانوا فيُوجاً للمسلمين وجواسيس، وكانت الروم لا يتّهمونهم في

(١) المعرفة والتاريخ ٢٩٨/٣، تهذيب تاريخ دمشق ٥٠٨/١، ٥٠٩.

شيء من ذلك ».[1] وكان أبو عُبَيدة بن الجرّاح يأتمن الأنباط على البريد.[2]

وبقي الجبل الملاذ الأوّل للنصارى، فحين وقعت الحروب بين طائفة اليعاقبة والموارنة لجأت الطائفتان للاحتكام إلى معاوية، وسمح الخليفة للموارنة بالانتقال من نواحي حماة إلى شمال لبنان، فأخذوا ينتقلون إلى الجبال اعتباراً من سنة ٣٩ هـ/٦٥٩ م.[3]

وفي سنة ٥٧ هـ/٦٧٧ اتخذ الموارنة من « سمر جبيل » قاعدة لهم حين قدِم « يوحنّا مارون » أسْقُفاً للبترون،[4] ويظهر أنّ الموارنة كانوا يتبعون إداريّاً لإشراف الوُلاة بطرابلس، كما كانت طرابلس حلقة الوصل بين موارنة الجبل وبابا روما، فحين أتى الكردينال « هونوريوس » موفداً من قبل البابا « سركيس الأنطاكي » اجتمع بيوحنّا مارون في طرابلس وعقدا مناظرة في النصرانية بينهما، ثم أبحرا معاً من طرابلس إلى روما حيث حصل « يوحنّا » على درع التثبيت في بطركية أنطاكية.[5]

وهذه الأخبار إن صحّت تُعطينا صورة عن جوّ التسامح والحرية في المعتقَد اللذين كانا مُتاحَين للموارنة في ظلّ الحكم الأموي بطرابلس وما حولها.

وقد شهد جبل لبنان انتشار الروم والجراجمة في سنة ٤٩ هـ/٦٦٩ م[6] وفي سنة ٥٨ هـ/٦٧٩ م[7] وفي سنة ٦٩ هـ/٦٨٩ م[8] وكان ذلك يقتضي في كل مرة عقد هدنة بين الأمويّين والبيزنطيّين،

---

(١) الفتوح لابن أعثم ١٤٤/١.
(٢) الفتوح ١٨٧/١.
(٣) أضواء توضيحية على تاريخ الموارنة ــ د. زكي النقاش ٣٢.
(٤) تاريخ الطائفة المارونية ٦٢/١.
(٥) أصل الموارنة ١٧٦.
(٦) فتوح البلدان ١٤٠/١.
(٧) المنتخب من تاريخ المنبجي ٧٢.
(٨) فتوح البلدان ١٩٠/١.

وكان المسلمون يعيّنون الوُلاة على جبل لبنان، وعرفنا واحداً من الوُلاة في العهد الأمويّ، وهو « عُبَيدة الشرعبيّ الحمصي » وكان من التابعين، ولّاه « النُعمان بن بشير الأنصاري » على جبل لبنان من أعمال دمشق، وكان عُبيدة من النعمان بمكان، فأمّره على لبنان. روى عنه حبّان بن زيد الشرعبي.[1] ولعلّ عُبيدة هو والد محمد بن عبيدة مولى سعيد بن العاص الذي تولّى على بعلبك، وقد ذكرناه.

بَسْكِنْتا

وهي بلدة في جبل لبنان، ترتفع عن سطح البحر نحو ١٣٠٠ متر، وتَبعُد عن بيروت نحو ٤٥ كيلومتراً.[2]

قبّ الياس بلدة ترتفع عن سطح البحر نحو ٩٠٠ متر، وتبعد عن بيروت ٤٣ كيلومتراً،[3] الى الشرق منها. وهاتان البلدتان لا يرد ذِكْرهما في مصادر المؤرّخين المسلمين، بل في مصادر المؤرّخين النصارى اعتباراً من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، في زجليّة « ابن القلاعي »، وفي تواريخ البطريرك الدويهي، وأغناطيوس الشدياق، والمطران يوسف الدبس، وغيرهم من مؤرّخي النصارى المُحْدَثين، وليس في تواريخ المسلمين ما يؤيّد رواياتهم، وليس للبلدتين ذِكْر في معجم البلدان لياقوت. وهذا القول ينطبق أيضاً على كلٍّ من **كفرْحيّ** الواقعة شرقيّ البترون، وسمر **جبيل** الواقعة في الشمال الشرقيّ من مدينة جُبيل، **وأميون** عاصمة إقليم الكورة في الجنوب الشرقيّ من طرابلس. **والناوس** بالقرب من أميون.

---

(١) تاريخ دمشق (المخطوط) ٤٨٧/٢٥، موسوعة العلماء المسلمين ٢٧١/٣، ٢٧٢ رقم ٩٩٠. وقد تحرّفت كلمة « لبنان » إلى « نبال » في (مصنّف ابن أبي شيبة ــ ج٦/.

(٢) إعرف لبنان ــ ج ١ قضاء المتن.

(٣) إعرف لبنان.

أَنَفَة

بلدة جنوبيّ طرابلس على ساحل البحر، لم تذكرها المصادر التاريخية في العهدين الراشدي أو الأموي، ولا شكّ في أنها فُتحت مع مدن الساحل على يد « يزيد بن أبي سفيان »، ولم يذكرها البلاذريّ بين المدن الأخرى، كما لم يذكر البترون أو جونية أو الصرفندة، ولكن هذا لا يعني عدم وجودها ولا عدم فتح المسلمين لها، ولكن يظهر أنّ أهميّتها كانت أقلّ خطراً من المدن التي أتى على ذِكرها.

وقد جاء ذِكر أنفة في حديث شريف، عن جرير بن عُتبة بن عبد الرحمن قال : سمعت أبي يحدّث الأوزاعيّ وأنا جالس، قال : حدّثني القاسم أبو عبد الرحمن، عن أبي أُمامة الباهليّ قال : كنّا جلوساً عند رسول الله ﷺ فذكروا الشام ومن فيها من الروم، فقال رسول الله ﷺ : « إنكم ستغلبون على الشام وتُصيبوا على بحرها حصناً يقال له أنفة، يُبعث منه يوم القيامة اثني عشر ألف شهيد ». (١)

جبل عاملة

أما جبل عاملة القائم شرقيّ صور، فهو نسبة إلى « عاملة بن سبأ »، حيّ من اليمن، وقد خرج بنو عاملة من اليمن عند سيْل العرِم إلى الشام، واستوطنوا الجبل بين دمشق وصور.

وكان المؤرّخون يُطلقون على جبل عاملة اسم جبل الجليل، ولهذا كان سكان الجبل في الغالب من العرب حين جاء المسلمون الفاتحون، وانتشر الإسلام هناك دون حاجة لقتال، فلقد مرّ معنا أنّ المسلمين حين قاموا بحصار

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ـــ تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ـــ طبعة وزارة الأوقاف العراقية، بغداد ١٩٨٠ ـــ ج ٢٢٩/٨.

الروم في « فِحْل » من أرض الأردنّ، أنضمّت إليهم القبائل العربية النازلة في تلك النواحي من : لَخْم، وجذام، وغسّان، وعاملة، والقَيْن، وقُضاعة[1].

وبمرور الزمن أصبحت الجبال المعروفة الآن بجنوب « لبنان » تسمّى جبال عاملة، نسبة إلى القبيلة اليمنية، ثم جُمعت كلّها باسم جبل واحد هو « جبل عاملة »، وجرى بعد ذلك تخفيف الاسم فأصبح « جبل عامل » بحذف الهاء من آخره.

ولم ترد هذه التسمية كمدلول جغرافي عن المنطقة، لا في عهد الخلفاء الراشدين، ولا في العهد الأموي، بل كانت المنطقة كلها تندرج تحت اسم « جبال الجليل »، ومن هنا تأتي صعوبة تقرير بعض الوقائع والأحداث ووضعها في إطارها الجغرافيّ المحدّد، إذ لا شيء يقطع بأنها جرت في بلاد عاملة (أي في الجنوب « اللبناني ») أم في جبل الجليل بشماليّ فلسطين.

وأمام هذا التداخل الطبيعي والجغرافي لبلاد العامليّين، فإننا مضطرّون لطرح الوقائع والأحداث التي شهدتها المنطقة في هذه الفترة التي نؤرّخ لها، ونكتفي بالتعريف بأشهر الأعلام العامليّين المنسوبين إلى بني عاملة.

الأعلام العامليّون

ظهر من العامليّين في الفترة القصيرة التي وضعنا هذا البحث ضمن إطارها عدّة رجالاتٍ أسهموا في وضع اللبنات الأولى لظهور حركة حديثية وأدبية في جبل عاملة، تمثّلت في رجال الحديث والشعر، وبرز منهم في هذا المجال :

---

(١) فتوح الشام للأزدي ١٤٠

* بكار بن بلال العاملي

كان مولى لتقيف، وينتسب إلى عامر. ولي صناعة المراكب، ويُقال إنه وليها بمصر شركة الليث بن سعد. وكان كاتباً وراوية للأخبار، وخاصّة أخبار وقعة صِفّين التي كانت سنة ٣٧ هـ. وهو من مواليد سنة ١٠٠ هـ. أي في خلافة عمر بن عبد العزيز، وقد نشأ مهتمّاً بجمع الأخبار وحفظ الوقائع وروايتها.

وقد أخذ رواياته عن زيد بن واقد. وروى عنه ابناه: محمد وجامع. وسجّل المؤرّخ ابن عساكر بعض رواياته في تاريخ دمشق، وقال إنه توفي سنة ١٨٣ هـ.[١] وابنه « محمد » تولّى قضاء دمشق.

* الحكم بن عبدالله بن خطّاف العاملي

شيخ محدّث له رواية، كان معاصراً للإمام الأوزاعيّ. روى عنه : أبو الزرقاء عبد الملك بن محمد البرسمي الصنعاني ـــ والصنعاني نسبة إلى صنعا قرب دمشق ـــ ذكره ابن عساكر في تاريخه ولكنه لم يؤرّخ لولادته أو وفاته[٢].

* سَلَمَة بن عمرو العاملي

شيخ محدّث له رواية أيضاً، معاصر للحَكَم وللأوزاعي.وقد روى عنه أيضاً أبو الزرقاء الصنعاني كما يقول ابن عساكر[٣]. مما يعني أن حركة الحديث والرواية في جبل عاملة كانت مزدهرة منذ النصف الأول من القرن الثاني الهجري.

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ /٢٨٠، موسوعة علماء المسلمين ٢ /٢٣ رقم ٣٤٥

(٢) تاريخ دمشق ٢٤ /٤٥٩، موسوعة علماء المسلمين ٢ /١٨٠ رقم ٥٢٤

(٣) تاريخ دمشق ٢٤ /٢٥٩، موسوعة علماء المسلمين ٢ /٢٩٩ رقم ٦٤٣

* **عدِيّ بن الرِقاع العاملي**

هو الشاعر المشهور عديّ بن زيد بن مالك بن عديّ بن الرِّقاع العاملي، نَسَبَه الناس إلى الرقاع، وهو جَدّ جدّه، لشُهْرته. وكان شاعراً مقدَّماً عند بني أُميّة مدّاحاً لهم خاصّاً بالوليد بن عبد الملك. وله بنت شاعرة يقال لها سلمى. جعله « محمد بن سلّام » في الطبقة الثالثة من شعراء الإسلام، وكان منزله بدمشق. وهو من حاضرة الشعراء لامن باديتهم، وقد تعرّض لجرير وناقضه في مجلس الوليد بن عبد الملك، ثم لم تتمّ بينهما مهُاجاة إلّا أنّ جريراً هجاه تعريضاً في قصيدة له، ولم يصرّح باسمه لأن الوليد حلف إنْ هو هجاه أسْرَجَه وألجمه وحمل ابن الرقاع على ظهره، فلم يصرّح بهجائه[1].

وكان مما ينفرد به ابن الرقاع ويُقَدَّم فيه : وصف المَطِيّة، فإنه كان من أوصف الشعراء لها[2]. وأتاه ناس من الشعراء ليُعارضوه في الشعر، وكان غائباً، فسمعت بهم بنته وهي صغيرة لم تبلُغ، فخرجت إليهم وأنشأت تقول:

تجمَّعْتُم من كل أَوْبٍ وبلـــدةٍ　　　على واحدٍ لا زِلتُم قِرْنَ واحدِ

فأفحمتهم[3].

وكان المغنُّون يتغنَّوْن بشِعر عدِيّ، والشعراء يستحسنون جدّاً البيت الذي يقوله من قصيدة :

وَسْنانُ أَقْصَدَهُ النُّعاسُ فَرَنَّـــقَتْ　　　في عينه سِنَـــةٌ ولـــيس بنائـــم

وسأل نوح أباه جرير الشاعر المشهور، فقال : يا ابَتِ، من أَنْسَبُ الشعراء ؟ قال له : أَتَعْني ما قُلتُه أنا ؟ قال : إني لست أريد من شِعرك، إنما أريد من شعر غيرك، قال : ابن الرقاع في قوله :

---

(١) الأغاني ٨ /٣٠٧

(٢) الأغاني ٨ /٣١٠

(٣) الأغاني ٨ /٣١٠

لولا الحياءُ وأنّ رأسيَ عَسَا فيه المَشِيبُ لَزُرْتُ أُمّ القاسِم
وكأنّها وسْطَ النساء أعارَها عينيه أَحْوَرُ من جَآذِرِ جاسِم
وسْنانُ أقْصَدَهُ النُّعاسُ فرنَّقَتْ في عينه سنةٌ وليس بنائِم

ثم قال جرير لابنه : ما كان يُبالي إن لم يقُلْ بعدها شيئاً[1].

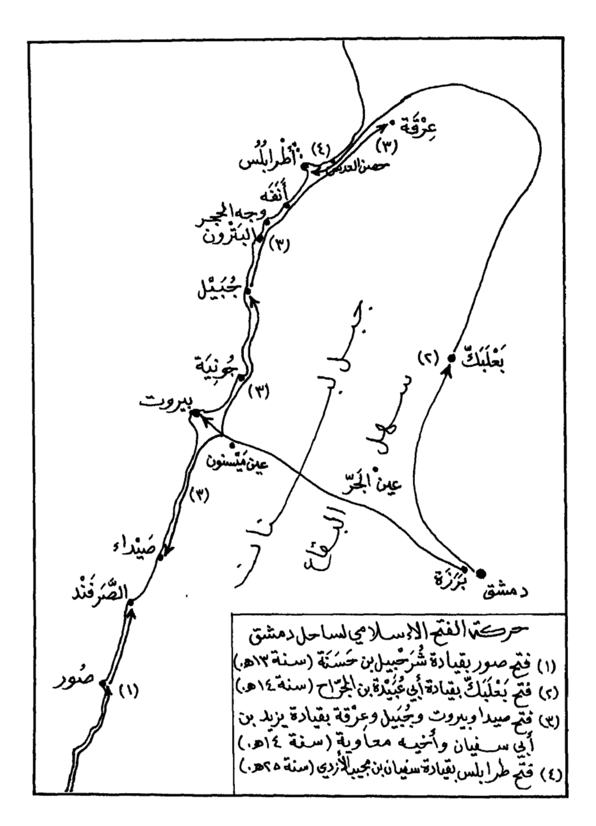
ولابن الرقاع قصيدة رائعة في مدح الوليد بن عبد الملك، مطْلَعُها :

عَرَفَ الديارَ تَوَهُّماً فاعْتادَها من بعد ما شَمِلَ البِلَى أَبْلادَها[2]

وقيل : كان أبرص، آيةً في الشعر. له أخبار كثيرة، وأبيات وقصائد متفرّقة في بطون المصادر[3]. وقد تُوُفي سنة ٩٥ هـ.

---

(١) الأغاني ٨ /٣١٣
(٢) أنظر القصيدة كاملة في : نهاية الأرب ٤ /٢٥٤ ــ ٢٥٧
(٣) أنظر عن ابن عديّ العاملي وشعره في الأخبار الموفقيّات للزبير بن بكار ٥٣٢ وفيه أخو عديٍّ : يزيد بن الرقاع، وطبقات الشعراء لابن سلّام ٥٥٨، والمؤتلف والمختلف للآمدي ١١٦، وسمط اللآلي ٣٠٩، ومعجم الشعراء للمرزباني ٢٥٣، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٢ /٥١٥ ــ ٥١٨ رقم ١١٤، والطرائف الأدبية ٨١ ــ ٩٧، والأغاني ٨ /٣٠٧ ــ ٣١٧، وفتوح البلدان للبلاذري ٣٥٠، وثمار القلوب للثعالبي ٢٩٩ و٢٠٨ و٤٠٩، وخاص الخاص للثعالبي أيضاً ١٠٦، والأمالي لأبي علي القالي ١ /١٠٠ و٢٢٨ و٢ /٦١، والفرج بعد الشدّة للتنوخي ٣ /١٣٣، ١٣٤ و٣٠٤، وأمالي المرتضى ١ /١٠٣ و٢٧٧ و٥١١ و٥٦٧ و٢ /١١ و١٢ و٣٢ و١٢٤ و٣٠٣، وتاريخ الطبري ٦ /١٥١، وجمهرة أنساب العرب ٣٠٠، والبرصان والعرجان للجاحظ ٢٦٣، والزاهر للأنباري ٢ /٢٥٥، والعقد الفريد ٢ /١٧٨ و٢١٩ و٤ /٣٥ و٥ /٣١٤، ومروج الذهب (طبعة الجامعة اللبنانية) ٢٠١٣، والمنازل والديار ١ /٣٧ و٣٨ و٨١ و١٣٢ و١٣٧ و٢١٤ و٢ /٨٦، ووفيات الأعيان ٢ /٤٢٦ و٦ /٣١٢، واللباب ٢ /٣٠٧، وبدائع البدائه ١٨، ١٩، ونهاية الأرب ٤ /٢٥٣ ــ ٢٥٨، وسيَر أعلام النبلاء ٥ /١١٠ رقم ٤٥، وشعراء الجاهلية ٤٣٩، والتذكرة السعدية ٢٣٧، ٢٣٨، رقم ١٣٤، وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث ٨١ ــ ١٠٠ هـ.) بتحقيقنا، والتذكرة الفخرية ٨٠ و٨٣ وخزانة الأدب ١ /١٨٣ ــ ١٨٦، وخطط جبل عامل ٥٥ ــ ٥٩، ومعجم الشعراء في لسان العرب ٢٧٩، ٢٨٠ رقم ٦٩٢، والأعلام ٥ /١٠، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١ /٢٤١، وقد جمع شعره الأستاذ خليل مردم بك ونشره في : مجلّة المجمع العلمي العربي بدمشق ــ ج ١٥ /٣٤ ــ ٣٥٠.

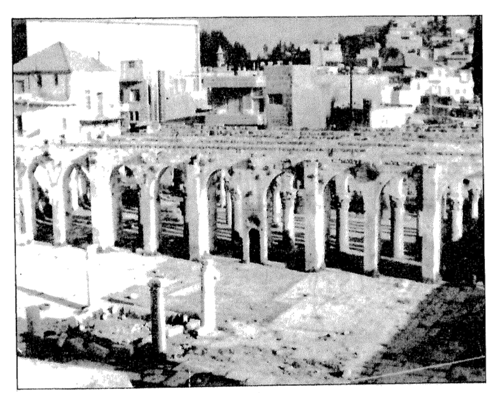

عِرْقَة
(٣)
(٤)
أَطْرابُلُس
حصن العدس
أنفه
وجه الحجر
البَتْرون
(٣)
جُبَيْل
جبل لبنان
بَعْلَبَكّ
(٢)
سهل البقاع
جُونِيَة
(٣)
بيروت
عين مُيَسْنون
عين الجَرّ
(٣)
صَيْداء
الصَّرَفَنْد
بَرْزَة
دمشق
صُور
(١)
حركة الفتح الإسلامي لساحل دمشق
(١) فتح صور بقيادة شُرَحْبيل بن حَسَنَة (سنة ١٣هـ.)
(٢) فتح بَعْلَبَكّ بقيادة أبي عُبَيْدَة بن الجرّاح (سنة ١٤هـ.)
(٣) فتح صيدا وبيروت وجُبَيل وعرْقة بقيادة يزيد بن أبي سفيان وأخيه معاوية (سنة ١٤هـ.)
(٤) فتح طرابلس بقيادة سفيان بن مجيب الأزدي (سنة ٢٥هـ.)

مواقع المدن والقرى «اللبنانية» الوارد ذكرها في الكتاب

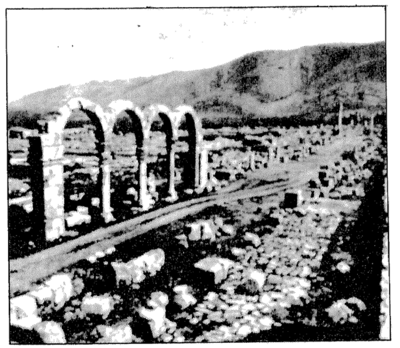
البُقَيْعَة
عِرْقَة
جزر طرابلس
أطرابُلُس
أَنْفَة
وجه الحجر
البترون
أمْيُون
القاع
سمرجبيل
جُبَيْل
جونية
بشكنتا
بَعْلَبَكّ
بَيْروت
كرك نوح
قُبّ الياس
عين الجرّ
جبل لبنان
سهل البقاع
صَيْداء
الصَّرَفَنْد
البحر
صُور
دمشق
جبل الشيخ
جبل عاملة

توزّع القوميّات والديانات
في «لبنان»
من الفتح حتى نهاية العصر الأمويّ

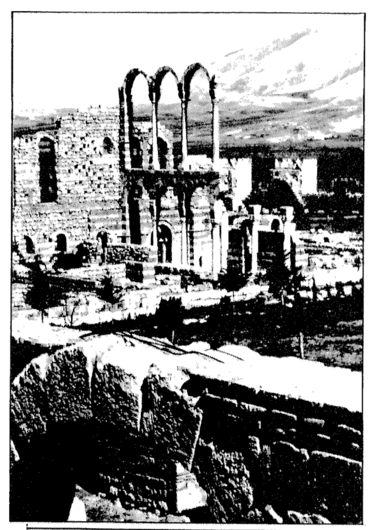
عِرْقة (فُرس وعرب)
أطْرابُلُس
(فرس وعرب وروم ويهود)
أَنَفَه
وجه الحجر
البترون
أميون (روم)
كفرحَيّ (موارنة)
القاع (نبط)
جُبَيْل (فرس وعرب)
سمرجُبَيل (موارنة)
بَعْلَبَكّ (فرس وروم وعرب ونبط)
جُونيه (فرس وعرب)
بَشكنتا (موارنة)
بيروت (فرس وعرب وأقباط ويهود)
كرك نوح (عرب)
قُبّ الياس (موارنة)
عين الجرّ (عرب)
صيداء (عرب وفرس)
الصَّرَفَنْد (عرب)
دمشق
صُور (فرس عرب روم)
جبل عاملة (عرب)

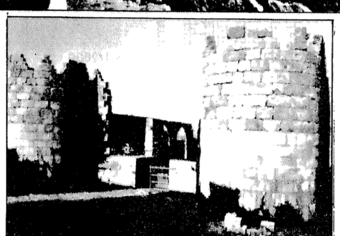


الجامع الأموي ببعلبك

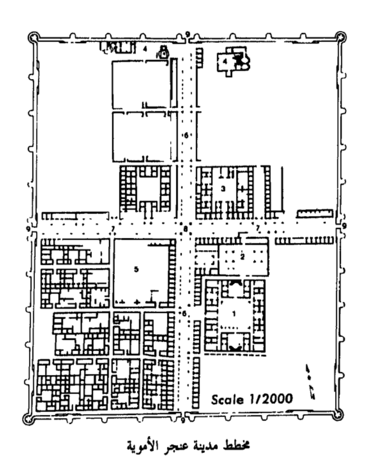


آثار عين الجرّ (عنجر) الأموية





عنجر الأموية



مخطط مدينة عنجر الأموية

فهرس الأعلام

ـ آ ـ

ـ أ ـ

— ب —

— ت —

ـ ث ـ

ـ ج ـ

ـ ح ـ

— خ —

— د ، ذ —

— ر —

— ز —

— س —

— ش —

— ص —

— ض —

— ط —

— ع —

— غ —

— ف —

— ق —

— ك —

— ل —

— م —

— ن —

— هـ —

— و —

ـ لا ـ

ـ ي ـ

فهرس الأماكن والبلدان

ـ آ ـ

ـ أ ـ

— ب —

ـ ت ـ

ـ ث ـ

ـ ج ـ

— ح —

— خ —

ـ د ـ

ـ ر ـ

ـ ز ـ

— س —

— ش —

ـ ص ـ

ـ ط ـ

— ع —

— غ —

— ف —

— ق —

— ك —

— ل —

— م —

— ن —

— هـ —

— و —

— ي —

فهرس المصادر والمراجع

ـ آ ـ

ـ آراء وأبحاث ـ للدكتور أسد رستم ـ منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٦٦.

ـ آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان ـ لإسحاق بن حسين بن المنجّم (من رجال القرن الخامس الهجري) ـ طبعة المثنّى ببغداد.

ـ أ ـ

ـ أبو جعفر المنصور وعروبة لبنان ـ عجّاج نُويهض ـ بيروت ١٩٦٢.

ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ـ لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد البشاري المقدسي (توفي ٣٧٥هـ.) ـ نشره دي غويه ـ ليدن ١٩٠٦.

ـ أخبار الأعيان في جبل لبنان ـ طنّوس الشدياق ـ منشورات الجامعة اللبنانية ـ بيروت ١٩٧٠.

ـ أخبار الزمان ـ لأبي الحسن علي المسعودي (توفي ٣٤٦هـ.) ـ طبعة بيروت.

ـ الأخبار الطوال ـ لأحمد بن داود الدينَوري ـ تحقيق عبد المنعم عامر ـ القاهرة ١٩٦٠.

ـ أخبار القُضاة ـ لوكيع محمد بن خلف بن حيّان (توفي ٣٠٦هـ.) ـ طبعة عالم الكتب، بيروت.

ـ الأخبار الموفّقيّات ـ للزُبير بن بكار (توفي ٢٥٦هـ.) ـ تحقيق الدكتور سامي مكي العاني ـ نشره ديوان الأوقاف، ببغداد ١٩٧٢.

ـ الأربعون حديثاً ـ لأبي بكر محمد بن الحسين الآجُرّي (توفي ٣٦٠هـ.) ـ تحقيق بدر بن عبد الله البدر ـ مكتبة المُعَلاّ بالكويت ١٤٠٨هـ. /١٩٨٧م.

ـ الأسامي والكنى ـ للحاكم أبي أحمد محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق الحافظ ـ برواية أبي بكر بن علي بن محمد الكردي ـ نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية، خزانة محمد عبده ـ المجلّد الأول ـ رقم ١٣ب تاريخ، وفي مكتبتنا نسخة مصوّرة عنها في ٣١٨ ورقة.

ـ الاستيعاب في أسماء الأصحاب ـ لأبي عمر يوسف بن عبد الله المعروف بابن عبد البّر النّمري (توفي ٤٦٣هـ.) ـ طبعة مصر ١٣٢٨هـ.

ـ أُسْد الغابة ـ لعزّ الدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد المعروف بابن الأثير (توفي ٦٣٠هـ.) ـ المطبعة الوهبية بمصر ١٢٨٠هـ.

ـ أسماء التابعين ومن بعدهم ممّن صحّت روايتهم من الثقات عند البخاري ومسلم ـ تخريج الدارقُطني ـ تحقيق عدنان عبد الرحمن الدوري ـ نشرته مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلّد ٣٢ ج١ و٢، بغداد ١٤٠١هـ. /١٩٨١م.

ـ الإشارات إلى معرفة الزيارات ـ لأبي الحسن علي بن أبي بكر الهروي (توفي ٦١١هـ.) ـ تحقيق جانين سورديل ـ طومين ـ طبعة المعهد الفرنسي بدمشق ١٩٥٣.

ـ الإشتقاق، لابن دُرَيْد ـ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ـ القاهرة ١٩٥٨.

ـــ الإصابة في تمييز الصحابة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد المعروف بابن حجر (توفي ٨٥٢هـ.) طبعة مصر ١٣٢٨هـ.
ـــ أصل الموارنة ـــ للمطران إسطفان الدويهي ـــ نشره أنطوان ضوّ ـــ إهدن ١٩٧٣.
ـــ أضواء توضيحية على تاريخ الموارنة ـــ د. زكي النقاش، بيروت ١٩٧٠ج
ـــ إعرف لبنان ـــ عفيف بطرس مرهج ـــ بيروت ١٩٦٦
ـــ الأعلاق الخطيرة في ذِكر أمراء الشام والجزيرة ـــ لعزّ الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن شدّاد (توفي ٦٨٤هـ.) ـــ نشره الدكتور سامي الدهّان، دمشق ١٩٦٢.
ـــ الأعلام ـــ للزركلي ـــ طبعة القاهرة ١٩٥٤ ـــ ١٩٥٩.
ـــ الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ـــ للسخاوي المتوفى ٩٠٢هـ. نشره فرانز روزنتال في كتاب (علم التاريخ عند المسلمين) ـــ ترجمة الدكتور أحمد صالح العلي ـــ طبعة المثنّى ببغداد ١٩٦٣.
ـــ الأغاني ـــ لأبي الفرج الأصفهاني ـــ طبعة مؤسّسة جمّال ببيروت، المصوّرة عن طبعة دار الكتب المصرية.
ـــ الأقاليم ـــ لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري (توفي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري) ـــ نسخة مصوّرة بالأوفست نشرتها مكتبة المثنّى ببغداد.
ـــ الإكمال في رفع الارتياب ـــ للأمير علي بن هبة الله بن علي بن ماكولا (توفي ٤٨٦هـ.) صحّحه عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ـــ طبعة حيدر أباد ١٩٦٢.
ـــ الأم ـــ للإمام الشافعي ـــ طبعة دار المعرفة، بيروت ؟
ـــ الأمالي ـــ لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (٢٨٨ ـــ ٣٥٦هـ.) ـــ قدّم له محمد عبد الجواد الأصمعي ـــ طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ؟

ــ أمالي المرتضى (يُعرف بغُرر الفوائد ودُرر القلائد) ــ للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (توفي ٤٣٦هـ.) ــ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ــ طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧.

ــ الأموال ــ لأبي عبيد القاسم بن سلّام (توفي ٢٢٤هـ.) تحقيق محمد خليل هرّاس ــ مصر ١٩٦٨.

ــ الأمويّون والبيزنطيّون ــ للدكتور إبراهيم أحمد العدوي ــ القاهرة ١٩٥٣.

ــ إنباه الرُواة على أنباه النُحاة ــ للوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي (توفي ٦٤٦هـ.) ــ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ــ طبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٠.

ــ الأنساب، لأبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن السمعاني (توفي ٥٦٢ هـ.) تحقيق محمد عوّامة ــ نشره محمد أمين دمج، بيروت.

ــ أنساب الأشراف ــ لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذُري (توفي ٢٧٩هـ.) ــ الجزء الأول ــ تحقيق الدكتور محمد حميد الله ــ طبعة دار المعارف بمصر. والقسم ٢ من الجزء الرابع ــ نشره شلو سنجر، القدس ١٩٣٨. والقسم الرابع من الجزء الأول ــ بتحقيق الدكتور إحسان عباس ــ نشره المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت ١٩٧٩.

ــ الأوائل ــ لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ــ طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧هـ. /١٩٨٧م.

ــ ب ــ

ــ البحرية الإسلامية في مصر والشام ــ للدكتور أحمد مختار العبّادي والدكتور سيّد عبد العزيز سالم ــ طبعة جامعة بيروت العربية ١٩٧٢.

ــ بدائع البدائه ــ لعلّي بن ظافر الأزدي (توفي ٦١٣هـ.) ــ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ــ طبعة مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة ١٩٧٠.

ــ البدء والتاريخ ــ لمطهّر بن طاهر المقدسي ــ نشره كلمان هوار ــ طبعة باريس ١٩١٩.
ــ البداية والنهاية في التاريخ ــ لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (توفي ٧٧٤هـ. /١٣٧٢م.) ــ طبعة بيروت ١٩٦٦.
ــ البُرصان والعُرجان والعُميان والحولان، للجاحظ (١٥٠ ــ ٢٥٥ هـ.) ــ تحقيق د. محمد مرسي الخولي ــ طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠١ هـ. / ١٩٨١ م.
ــ البعث والنشور ــ للبيهقي ــ تحقيق عامر أحمد حيدر ــ طبعة مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت ١٤٠٦ هـ. / ١٩٨٦ م.
ــ بعلبك في التاريخ ــ للشيخ قاسم الشمّاعي الرفاعي ــ طبعة المكتب الإسلامي، بيروت.
ــ بُغْية الطلب في تاريخ حلب ــ لابن العديم الحلبي عمر بن أحمد (توفي ٦٠١ هـ.) ــ مصوّرة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، رقم ٩٢٩ تاريخ.
ــ البُلْدان ــ لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح اليعقوبي (توفي ٢٨٤هـ.) نشره دي غويه ــ ليدن ١٨٩١.
ــ بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس ــ لابن عبد البرّ النمري (٣٦٨ ــ ٤٦٣ هـ.) ــ تحقيق محمد مرسي الخولي والدكتور عبد القادر القطّ ــ سلسلة تراثنا ــ طبعة دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، بمصر.
ــ بيان خطأ البخاري (ملحق بالتاريخ الكبير للبخاري) ــ لابن أبي حاتم الرازي (توفي ٣٢٧هـ. /٩٣٩م.) ــ الجزء ٩ ــ طبعة حيدر أباد ١٣٨٠ هـ.

ـ ت ـ

ـ تاج العروس من جواهر القاموس ـ للسيد محمد مرتضى الحسيني الزَّبيدي ـ الجزء ٦ ـتحقيق الدكتور حسين نصّار ـ سلسلة التراث العربي، إصدار وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، مطبعة حكومة الكويت ١٣٦٩هـ. /١٩٦٩م.

ـ التاج المكلَّل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول ـ لأبي الطيّب صِدِّيق بن حسن القنوجي ـ طبعة بُمْباي ١٩٦٣.

ـ التاريخ ـ لابن مَعِين يحيى بن مَعِين بن عون (توفي ٢٣٣هـ.) ـ تحقيق الدكتور أحمد محمد نور سيف ـ نشره مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بمكة المكرَّمة ١٣٩٩هـ.

ـ التاريخ ـ لأبي زُرْعة الدمشقي عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النَّصَيْري (توفي ٢٨١هـ.) تحقيق شكر الله بن نعمة الله القوجاني ـ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٠.

ـ تاريخ آداب اللغة العربية ـ لجرجي زيدان.

ـ تاريخ الأدب العربي ـ لكارل بروكلمان ـ ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ـ القاهرة ١٩٦٢.

ـ تاريخ الإسلام ووَفَيَات المشاهير والأعلام ـ لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (توفي ٧٤٨هـ.) ـ تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري ـ طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٨ و١٤٠٩هـ. /١٩٨٨ و١٩٨٩م. مجلّد (حوادث ووَفَيَات ٨١ ـ ١٠٠هـ.) ومجلّد (حوادث ووَفَيَات ١٠١ ـ ١٢٠هـ.) ومجلّد (حوادث ووَفَيَات ١٢١ ـ ١٤٠هـ.) ومجلّد (حوادث ووَفَيَات ١٤١ ـ ١٦٠هـ.).

ـ تاريخ الأمّة العربية (عصر الاتّساق) ـ للدكتور محمد أسعد طلس ـ طبعة صيدا ١٩٥٨.

ـــ تاريخ بعلبك ـــ للدكتور حسن عباس نصرالله ـــ طبعة مؤسّسة الوفاء، بيروت ١٩٨٤.
ـــ تاريخ بعلبك ـــ لميخائيل ألُوف البعلبكّي ـــ المطبعة الأدبية، بيروت ١٨٨٩.
ـــ تاريخ بغداد ـــ لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (توفي ٤٦٣هـ.) ـــ طبعة دار الكتاب العربي، بيروت المصوّرة عن طبعة المنيرية بمصر.
ـــ تاريخ بيروت (أخبار السلف عن ذُرّيّة بُحْتُر بن علي أمير الغرب ببيروت) ـــ لصالح بن يحيى ـــ تحقيق فرنسيس هورس اليسوعي وكمال سليمان الصليبي ـــ طبعة دار المشرق، بيروت ١٩٦٧.
ـــ تاريخ الثقات ـــ للعجلي أحمد بن عبد الله بن صالح بن الحسن (١٨٢ ـــ ٢٦١هـ.) بترتيب الهيثمي المتوفى ٨٠٧هـ. ـــ تعليق الدكتور عبد المعطي قلعجي ـــ طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ. /١٩٨٤.
ـــ تاريخ الجنس العربي ـــ لمحمد عزة دروزة ـــ صيدا ١٩٦٢
ـــ تاريخ حلب ـــ لمحمد بن علي العَظِيمي الحلبي ـــ تحقيق إبراهيم زعرور ـــ دمشق ١٩٨٤.
ـــ تاريخ الخلفاء ـــ لجلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي (توفي ٩١١هـ.) ـــ نشره محمد محيي الدين عبد الحميد ـــ القاهرة ١٩٦٤.
ـــ تاريخ خليفة ـــ لخليفة بن خيّاط المعروف بشباب العُصْفري (توفي ٢٤٠هـ.) تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري ـــ طبعة مؤسّسة الرسالة ودار القلم، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ. /١٩٧٧م.
ـــ تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ـــ للديار بكري حسين بن محمد بن الحسن (توفي ٩٦٦هـ.) ـــ طبعة مصر ١٣٠٢هـ.
ـــ تاريخ داريّا ـــ للقاضي عبد الجبّار الخولاني ـــ تحقيق سعيد الأفغاني ـــ طبعة الترقّي بدمشق ١٩٥٠.
ـــ تاريخ دمشق ـــ لأبي الحسن علي بن حسن المعروف بابن عساكر

الدمشقي (توفي ٥٧١هـ. /١١٧٥م.) ـ النسخة المخطوطة بدار الكتب المصرية، بالخزانة التيمورية، (رقم ١٠٤١ تاريخ تيمور) ـ الأجزاء التي ورد ذكرها في هذا الكتاب هي : ١ و٤ و٥ و٦ و٧ و٨ و٩ و١٠ و١١ و١٢ و١٥ و١٦ و١٩ و٢٠ و٢٢ و٢٣ و٢٤ و٢٥ و٢٨ و٢٩ و٣١ و٣٤ و٣٥ و٣٦ و٣٨ و٣٩ و٤٠ و٤١ و٤٣ و٤٤ و٤٨.

والمجلّد الأول ـ نشره الدكتور صلاح الدين المنجّد ـ طبعة المجمع العلمي بدمشق. والمجلّد العاشر ـ نشره محمد أحمد دهمان ـ طبعة المجمع العلمي بدمشق.

والمجلّد الخاصّ بتراجم (عبد الله بن جابر ـ عبد الله بن زيد) ـ تحقيق الدكتور شكري فيصل ـ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨١ والمجلّد الخاصّ (بتراجم النساء) تحقيق سكينة الشهابي ـ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٣ هـ. / ١٩٨٢ م.

ـ تاريخ الدول والملوك ـ لابن الفُرات ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (توفي ٨٠٦هـ.) ـ ج ٧ ـ نشره الدكتور قسطنطين زريق ـ بيروت ١٩٤٢.

ـ تاريخ الرُسُل والملوك ـ لمحمد بن جرير الطبري (توفي ٣١٠هـ.) ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٣.

ـ تاريخ سورية ـ للمطران يوسف الدبْس ـ بيروت ١٨٩٩.

ـ تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ـ للدكتور فيليب حتّي ـ ترجمة الدكتور جورج حدّاد ـ بيروت ١٩٥٨.

ـ التاريخ الصغير ـ للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (توفي ٢٥٦هـ. /٨٧٠م.) ـ طبعة المكتبة الأثرية بالباكستان ؟

ـ تاريخ الطائفة المارونية ـ للبطريرك إسطفان الدويهي ـ بيروت ١٨٩٠.

ـ تاريخ طرابلس ـ للشيخ محمد كامل البابا (الطرابلسي) ـ مخطوط مجموع في دفاتر، قمت بتحقيقه عن النسخة الوحيدة بحوزة الأستاذ فضل مقدّم.

ـــ تاريخ طرابلس السياسي والحضاري ـــ للدكتور عمر عبد السلام تدمري ـــ الجزء الأول (عصر الصراع العربي ـــ البيزنطي والحروب الصليبية) ـــ طبعة مؤسّسة الرسالة، بيروت، ودار الإيمان، طرابلس (الثانية) ١٤٠٤هـ. /١ٹ٨٤م.
والجزء الثاني (عصر دولة المماليك) ـــ طبعة المؤسّسة العربية للدراسات والنشر؛ بيروت ١٩٨١.
ـــ التاريخ الكبير ـــ للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (توفي ٢٥٦هـ. /٨٧٠م.) طبعة حيدر أباد ١٣٦١هـ.
ـــ تاريخ كنيسة أنطاكية ـــ لخريسو ستُمُس بابا دوبولُس ـــ تعريب الأُسقف استفانُس حدّاد ـــ منشورات النور، بيروت ١٩٨٤.
ـــ التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ـــ لسعيد بن بطريق ـــ نشره الأب لويس شيخو ـــ بيروت ١٩٠٩.
ـــ تاريخ الموارنة ـــ للأب بطرس ضوّ ـــ بيروت ١٩٧٠.
ـــ تاريخ اليعقوبي ـــ لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي (توفي ٢٨٤هـ.) ـــ طبعة دار صادر، بيروت ١٣٧٧هـ. /١٩٦٠م.
ـــ التبيّين في أنساب القُرَشيّين ـــ لموفّق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قُدامة المقدسي (توفي ٦٢٠هـ.) ـــ تحقيق محمد نايف الديلمي ـــ طبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٤٠٢هـ. /١٩٨٢م.
ـــ تتمّة المختصر في أخبار البشر (المعروف بتاريخ ابن الوردي) ـــ للشيخ عمر بن الوردي (توفي ٧٤٩هـ. /١٣٤٩م.) ـــ طبعة مصر ١٢٨٥هـ.
ـــ تجريد أسماء الصحابة ـــ لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (توفي ٧٤٨هـ.) طبعة بومباي بالهند ١٩٦٩.
ـــ التحصينات العسكرية والجهادية في بيروت في العصور الإسلامية الأولى حتى العهد العثماني ـــ رسالة ماجستير لحنان قرقوطي بإشراف الدكتور حسّان حلّاق ـــ نوقشت بكلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية، بيروت ١٤٠٩ هـ. /١٩٨٨ م.

ـــ التخويف من النار ـــ لابن رجب الحنبلي ـــ طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.
ـــ تذكرة الحُفّاظ ـــ لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (توفي ٧٤٨هـ.) ـــ طبعة حيدر أباد ١٣٣٣هـ.
ـــ التذكرة الحمدونية ـــ لابن حمدون محمد بن الحسن بن محمد بن علي (٤٩٥ ـــ ٥٦٢هـ.) ـــ تحقيق الدكتور إحسان عباس ـــ نشره معهد الإنماء العربي، بيروت ١٩٨٣.
ـــ التذكرة السعديّة في الأشعار العربية ـــ لمحمد بن عبد الرحمن بن عبد المجيد العبيدي (من رجال القرن الثامن الهجري) ـــ تحقيق الدكتور عبد الله الجُبُوري ـــ طبعة الدار العربية للكتاب (ليبيا ـــ تونس) ١٩٦١.
ـــ التذكرة الفخرية ـــ للصاحب بهاء الدين المنشئ الإربلّي (توفي ٦٩٢هـ.) ـــ تحقيق الدكتور نوري حمّودي القيسي والدكتور حاتم صالح الضامن ـــ طبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٤٠٤هـ. /١٩٨٤م.
ـــ تسريح الأبصار فيما يحتويه لبنان من آثار ـــ لهنري لامّنس ـــ بيروت ١٩١٣.
ـــ تفسير البغوي ـــ أنظر : معالم التنزيل.
ـــ تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل ـــ لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (توفي ٣٢٧هـ.) ـــ طبعة حيدر أباد ١٢٧١هـ. /١٩٥٢م.
ـــ تقريب التهذيب ـــ لابن حجر ـــ نشره عبد الوهاب عبد اللطيف ـــ بيروت ١٩٧٥.
ـــ تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما أشكل منه عن بوادر التصحيف والوهم ـــ لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي (توفي ٤٦٣ هـ.) ـــ تحقيق سكينة الشهابي ـــ طبعة دار طلاس، دمشق ١٩٨٥.

ـــ تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التواريخ والسِيَر ـــ لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (توفي ٥٩٧هـ.) ـــ طبعة دهلي بالهند.
ـــ التنبيه والإشراف ـــ لأبي الحسن علي المسعودي (توفي ٣٤٦هـ.) ـــ بيروت ١٩٦٨.
ـــ تهذيب الآثار وتفصيل معاني الثابت عن رسول الله من الأخبار ـــ لمحمد بن جرير الطبري (توفي ٣١٠هـ.) ـــ نشره الدكتور ناصر بن سعد الرشيد وعبد القيّوم عبد ربّ النبيّ ـــ طبعة مكة ١٤٠٢هـ. /١٩٨٢م.
ـــ تهذيب الأسماء واللُّغات ـــ لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي (توفي ٦٧٦هـ.) ـــ طبعة المنيرية بمصر.
ـــ تهذيب تاريخ دمشق ـــ لابن عساكر ـــ تهذيب عبد القادر بدران ـــ طبعة دمشق ١٣٣١هـ.
ـــ تهذيب التهذيب ـــ لابن حجر ـــ طبعة حيدر أباد ١٣٢٥هـ.
ـــ تهذيب الكمال في أسماء الرجال ـــ لأبي الحجّاج يوسف بن عبد الرحمن المِزّي. (توفي ٧٤٢هـ) ـــ تحقيق الدكتور بشار عوّاد معروف ـــ طبعة مؤسسة الرسالة ـــ بيروت.
ـــ تهذيب اللغة ـــ لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (توفي ٣٧٠هـ.) ـــ تحقيق أحمد عبد العليم البردوني ـــ طبعة مصر.

ـــ ث ـــ

ـــ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ـــ لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (توفي ٤٢٩هـ.) ـــ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـــ طبعة دار نهضة مصر ١٩٦٥.

ـــ ج ـــ

ـــ جامع التحصيل في أحكام المراسيل ـــ لصلاح الدين أبي سعيد خليل بن

كيكلدي العلائي (توفي ٧٦١هـ.) ــ تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ــ بغداد ١٣٩٨هـ. /١٩٧٨م.
ــ الجامع المؤصّل في تاريخ الموارنة المفصّل ــ للمطران يوسف الدبس ــ بيروت ١٩٠٥.
ــ الجرح والتعديل ــ لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (توفي ٣٢٧هـ.) ــ طبعة حيدر أباد ١٢٧١هـ. /١٩٥٢م.
ــ جغرافية الشام عند جغرافيّي القرن الرابع الهجري ــ للدكتور نقولا زيادة ــ بحث في مؤتمر تاريخ بلاد الشام ــ نشرته الجامعة الأردنية ــ طبعة الدار المتحدة للنشر ١٩٧٤.
ــ الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ــ لأبي الفرج معافى بن زكريا النهرواني الجريري (٣٠٣ ــ ٣٩٠هـ.) ــ تحقيق الدكتور محمد مرسي الخولي ــ طبعة عالم الكتب، بيروت ١٩٨١.
ــ الجمع بين رجال الصحيحين ــ لأبي الفضل محمد بن طاهر المعروف بابن القيسراني (توفي ٥٠٧هـ.) ــ طبعة حيدر أباد ١٣٢٣هـ.
ــ جمهرة أنساب العرب ــ لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري (توفي ٤٥٦هـ.) ــ نشره ليفي بروفنسال ــ طبعة دار المعارف بمصر ١٩٧٧.
ــ جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى ــ لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم (توفي ٤٥٦هـ.) ــ تحقيق الدكتور إحسان عباس والدكتور ناصر الدين الأسد ــ راجعه أحمد محمد شاكر ــ طبعة دار المعارف بمصر.

ــ ح ــ

ــ حاضر العالم الإسلامي ــ تأليف لوثروب ستودارد ــ تعريب عجّاج نويهض ــ تعليق شكيب أرسلان ــ طبعة دار الفكر، بيروت ١٩٧٣.
ــ الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري ــ للدكتور فتحي عثمان ــ القاهرة ١٩٦٦.

ـــ الحلّة السّيراء في تراجم الأمراء والشعراء ـــ لمحمد بن عبد الله بن الأبّار القُضاعي (توفي ٦٥٨هـ. /١٢٦٠م.) ـــ تحقيق الدكتور حسين مؤنس ـــ القاهرة ١٩٦٣.
ـــ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ـــ لأبي نُعَيم الأصبهاني (توفي ٤٣٠هـ.) ـــ طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧.
ـــ الحياة الثقافية في طرابلس الشام خلال العصور الوسطى ـــ لعمر عبد السلام تدمري ـــ طبعة دار فلسطين للتأليف والترجمة، بيروت ١٩٧٣.

ـ خ ـ

ـــ خاص الخاص. لأبي منصور عبد الملك بن محمد التعالبي (توفي ٤٣٠ هـ.) ـــ طبعة دار مكتبة الحياة، بيروت.
ـــ الخراج وصناعة الكتابة ـــ لقُدامة بن جعفر (توفي ٣٢٩هـ.) ـــ شرح وتعليق الدكتور محمد حسين الزبيدي ـــ نشرته وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد ١٩٨١.
ـــ خزانة الأدب ولبّ لسان العرب ـــ لعبد القادر بن عمر البغدادي (توفي ١٠٩٣هـ.) ـــ طبعة بولاق ١٢٩٩هـ.
ـــ خطط جبل عامل ـــ للشيخ محسن الأمين ـــ أخرجه حسن الأمين ـــ طبعة الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤٠٣هـ. /١٩٨٣م.
ـــ خطط الشام ـــ لمحمد كُرْد علي ـــ دمشق ١٣٤٣هـ.
ـــ خلاصة تذهيب التهذيب ـــ لصفيّ الدين الخزرجي الأنصاري أحمد بن عبدالله (صنّفه ٩٢٣هـ.) ـــ طبعة مصر ١٣٢٣هـ.

ـ د ـ

ـــ دائرة المعارف الإسلامية ـــ ترجمة عدد من الأساتذة ـــ الأجزاء ١ و٣ و٥ و١١ و١٥ ـــ طبعة كتاب الشعب بمصر.
ـــ دائرة معارف البستاني ـــ لبطرس البستاني ـــ بيروت ١٩٠٠.

ــ دار العلم بطرابلس في القرن الخامس الهجري ــ للدكتور عمر عبد السلام تدمري ــ طبعة دار الإنشاء، طرابلس ١٩٨٢.
ــ دراسات عن المؤرّخين العرب ــ تأليف د.س. مارجليوث ــ ترجمة الدكتور حسين نصّار ــ طبعة بيروت.
ــ الدُّرَر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ــ لابن حجر (توفي ٨٥٢هـ.) ــ تحقيق محمد سيّد جاد الحقّ ــ طبعة مصر ١٩٦٦.
ــ الدُّرَّة الزكيّة في أخبار الدولة التركية ــ لابن أيبك الدواداري صاحب صرخد ــ تحقيق أولرخ هارمان ــ القاهرة ١٩٧١.
ــ الدعاء ــ للطبراني (توفي ٣٦٠ هـ.) ــ تحقيق د. محمد سعيد بن حسن البخاري ــ طبعة دار البشائر الإسلامية، بيروت ١٤٠٧هـ. /١٠٨٧م.
ــ دواني القُطوف في تاريخ بني المعلوف ــ لعيسى اسكندر المعلوف ــ طبعة بعبدا ١٩٠٧ و١٩٠٨.
ــ دور العروبة في تراثنا اللبناني ــ للدكتور زكي النقاش ــ بيروت ١٩٧٤.
ــ الدولة البيزنطية ــ للدكتور السيّد الباز العريني ــ القاهرة ١٩٦٠.
ــ ديوان المتنبّي ــ لأحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي (توفي ٣٥٤هـ.) ــ تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزّام ــ القاهرة ١٩٤٤.

ــ ذ ــ

ــ ذيل تاريخ بغداد ــ لمحبّ الدين أبي عبد الله محمد بن محمود بن الحسن المعروف بابن النجّار البغدادي (توفي ٦٤٣هـ. /١٢٤٥م.) ــ تصحيح الدكتور قيصر فرح ــ نشر دار الكتاب العربي، بيروت.
ــ ذيل العِبَر في خبر من غبر ــ لمحمد بن علي بن الحسن الحسيني (توفي ٧٦٥هـ.) ــ تحقيق محمد رشاد عبد المطّلب ــ طبعة الكويت ١٩٧٠.
ــ الذيل على طبقات الحنابلة ــ لعبد الرحمن بن أحمد البغدادي الحنبلي

المعروف بابن رجب (توفي ٧٩٥هـ.) ــ نشره محمد حامد الفقي ــ مطبعة السُّنّة المحمّدية بالقاهرة ١٣٧٢هـ.

ــ ر ــ

ــ الرباط في ثغور الشام ــ للدكتور عمر عبد السلام تدمري ــ نُشر في مجلّة الفكر الإسلامي ــ العدد ٩ ــ بيروت ١٤٠٨هـ. /١٩٨٧م.
ــ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ــ للإمام محمود بن عمر الزمخشري ــ تحقيق الدكتور سليم النُعَيمي ــ طبعة وزارة الأوقاف العراقية، بغداد ١٤٠٠هـ. /١٩٨٠م.
ــ الرحلة في طلب الحديث لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي (توفي ٤٦٣هـ.) ــ تحقيق نور الدين عتر ــ طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٥هـ. /١٩٧٥م.
ــ رسالة بولس الأنطاكي إلى أهل صيدا ــ مخطوطة لأسقف صيدا بولس الأنطاكي، محفوظة في دائرة الآثار ببغداد الملحقة بمكتبة المتحف العراقي، (رقم ٨٧٣٧ /٢) ــ وفي مكتبتي نسخة مصوّرة عنها.
ــ الروض الأُنُف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ــ لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السُهَيلي (توفي ٥٨١هـ.) ــ تحقيق عبد الرحمن الوكيل ــ طبعة مصر.
ــ الروم وصِلاتُهم بالعرب ــ للدكتور أسد رستم ــ بيروت ١٩٥٥.

ــ ز ــ

ــ الزاهر ــ لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (توفي ٣٢٨هـ.) ــ تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن ــ طبعة وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد ١٣٩٩هـ. /١٩٧٩م.
ــ زجليّات جبرائيل بن القلاعي (١٤٤٧ ــ ١٥١٦م.) ــ دراسة وتحقيق بطرس الجميّل ــ منشورات دار لحد خاطر، بيروت ١٩٨٢.

ـ س ـ

ـ سجلّ المحكمة الشرعية بطرابلس، رقم ٢ (سنة ١٠٩٠هـ.) النسخة المصوَّرة في مكتبة رابطة إحياء التراث الفكري في طرابلس والشمال.

ـ سفر السعادة وسفير الإفادة ـ لعلم الدين أبي الحسن علي بن محمد السخاوي (٥٥٨ ـ ٦٤٣هـ.) تحقيق محمد أحمد الدالي ـ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٣.

ـ سفرنامه ـ لأبي معين ناصر خسرو علوي (توفي ٤٨١هـ.) ـ ترجمة الدكتور يحيى الخشّاب ـ منشورات دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧٠.

ـ سمْط اللآلي في شرح أمالي القالي ـ للوزير أبي عبيد البكري ـ نشره عبد العزيز الميمني ـ القاهرة ١٩٣٦.

ـ سُنَن ابن ماجه ـ أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (توفي ٢٧٥هـ.) ـ نشره محمد فؤاد عبد الباقي ـ طبعة دار إحياء التراث العربي، بمصر ١٩٧٥.

ـ سُنَن الدارقُطْني ـ الإمام علي بن عمر الدارقطني (توفي ٣٨٥هـ.) ـ نشره عبدالله هاشم اليماني المدني ـ طبعة دار المحاسن للطباعة بالقاهرة.

ـ سُنَن الدارمي ـ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (توفي ٢٥٥هـ.) ـ طبعة الاعتدال بمصر ١٣٤٩هـ.

ـ سُنَن سعيد بن منصور بن شُعبة الخراساني المكّي (توفي ٢٢٧هـ.) ـ تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ـ طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ. /١٩٨٥م.

ـ السُنَن الكبرى ـ لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (توفي ٤٥٨هـ.) ـ طبعة حيدر أباد ٤٤ ـ ١٣٥٥هـ.

ـ سُنَن النّسائي ـ أحمد بن شعيب الخراساني النسائي (توفي ٣٠٣هـ.) ـ طبعة المصرية بالأزهر ١٩٣٠.

ـــ السُّنَّة ـــ لأبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضَّحّاك بن مُخَلَّد الشيباني (توفي ٢٨٧هـ) نشره محمد ناصر الدين الألباني ـــ طبعة المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٠هـ.
ـــ السِّيَر ـــ لأبي إسحاق الفَزاري (توفي ١٨٦هـ) برواية محمد بن وضّاح القُرطبي، عن عبد الملك بن حبيب المَصِّيصي ـــ تحقيق الدكتور فاروق حمادة ـــ طبعة مؤسّسة الرسالة، بيروت ١٤٠٨هـ /١٩٨٧م.
ـــ سِيَر أعلام النبلاء ـــ لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (توفي ٧٤٨هـ) ـــ الجزء الثاني ـــ تحقيق شعيب الأرنؤوط، والجزء الثالث ـــ تحقيق محمد نعيم العرقسوسي ومأمون صاغرجي، والجزء الرابع ـــ تحقيق شعيب الأرنؤوط ومأمون صاغرجي، والجزء الخامس ـــ تحقيق شعيب الأرنؤوط، والجزء العاشر ـــ تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي ـــ طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥ /١٩٨٤م.
ـــ سيرة عمر بن عبد العزيز ـــ لابن عبد الحكم ـــ تحقيق أحمد عبيد ـــ الطبعة السادسة ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م. طبعة عالم الكتب، بيروت.
ـــ سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ـــ لابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (توفي ٥٩٧هـ) ـــ نشره محبّ الدين الخطيب ـــ طبعة مطبعة المؤيّد بمصر ١٣٣١هـ.

ـــ ش ـــ

ـــ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـــ لابن العماد الحنبلي أبي الفلاح عبد الحيّ (توفي ١٠٨٩هـ) ـــ طبعة مصر ١٣٥١هـ.
ـــ شرح السِّيَر الكبير ـــ لمحمد بن الحسن الشيباني ـــ إملاء محمد بن أحمد السَرخسي ـــ تحقيق عبد العزيز أحمد ـــ طبعة معهد المخطوطات بالجامعة العربية، القاهرة ١٩٧٢.
ـــ الشريعة ـــ لأبي بكر محمد بن الحسين الآجُرّي ـــ تحقيق محمد حامد

الفقي ـــ طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ. /١٩٨٣م.
ـــ شعار أصحاب الحديث ـــ لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي (توفي ٤٦٣هـ.) ـــ نشره محمد سعيد خطيب أوغلي ـــ طبعة دار إحياء السُّنَّة بجامعة أنقرة ١٩٧٢.
ـــ شعر عديّ بن الرقاع العاملي ـــ جمعه ونشره خليل مردم بك في مجلّة المجمع العلمي العربي بدمشق ـــ الجزء ١٥.
ـــ الشعر والشعراء ـــ لابن قُتيبة أبي عبد الله بن مسلم (توفي ٢٦٧هـ.) ـــ طبعة دار الثقافة، بيروت ١٩٦٤.

ـ ص ـ

ـــ الصحيح ـــ للإمام مسلم أبي الحسين بن الحَجَّاج القُشَيري النيسابوري (توفي ٢٩١هـ.) ـــ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـــ طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.
ـــ صفة الصَّفْوَة ـــ لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (توفي ٥٩٧هـ.) تحقيق محمود فاخوري ـــ خرّج أحاديثه محمد روّاس قلعه جي ـــ طبعة حلب ١٣٩٣هـ.
ـــ صورة الأرض ـــ لابن حوقل كتبه حوالي ٣٦٧هـ. /٩٧٧م.) ـــ طبعة ليدن.
ـــ صيدا عبر حِقب التاريخ ـــ لمنير خوري ـــ طبعة المكتب التجاري، بيروت ١٩٦٦.

ـ ض ـ

ـــ الضعفاء الصغير ـــ للإمام البخاري ـــ طبعة المكتبة الأثرية بالباكستان.
ـــ الضعفاء الكبير ـــ لأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حمّاد العُقَيلي المكي ـــ تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي ـــ طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.
ـــ الضعفاء والمتروكين ـــ لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن

محمد بن الجوزي (توفي ٥٩٧هـ.) ـ تحقيق أبي الفداء عبدالله القاضي ـ مصوّرة دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦.

ـ الضعفاء والمتروكين ـ للدارقطني علي بن عمر (توفي ٣٨٥هـ.) ـ تحقيق صبحي البدري السامرّائي ـ طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م.

ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ـ لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي (توفي ٩٠٢هـ.) ـ نشرته مكتبة حسام الدين القدسي بالقاهرة ١٣٥٣هـ.

ـ ط ـ

ـ الطبقات ـ لمحمد بن أحمد بن محمد الأزدي (عن أبي عمرو خليفة بن خياط) (توفي ٢٤٠هـ.) ـ تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري ـ طبعة دار طيبة بالرياض (الثانية) ١٤٠٢هـ. /١٩٨٢م.

ـ طبقات الشافعية الكبرى ـ لتاج الدين أبي النصر عبد الوهاب السُبْكي (توفي ٧٧١هـ.) ـ طبعة مصر ١٣٢٤هـ.

ـ الطبقات الكبرى ـ لمحمد بن سعد كاتب الواقدي (توفي ٢٣٠هـ.) ـ طبعة دار صادر، بيروت ١٩٦٨.

ـ الطرائف الأدبية ـ تحرير الأستاذ عبد العزيز الميمني ـ القاهرة ١٩٣٧.

ـ طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي ـ للدكتور سيّد عبد العزيز سالم ـ طبعة الإسكندرية ١٩٦٧.

ـ الطريق إلى دمشق ـ لأحمد عادل كمال ـ طبعة دار النفائس، بيروت ١٩٨٠.

ـ ع ـ

ـ العِبَر في خبر مَن غَبَر، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (توفي ٧٤٨هـ.) ـ تحقيق فؤاد سيّد ـ طبعة الكويت ١٩٦١.

ـــ العِبَر في ديوان المبتدأ والخبر (المعروف بتاريخ ابن خلدون) ـــ لوليّ الدين أبي زيد عبد الرحمن بن خلدون (توفي ٨٠٨هـ.) ـــ بيروت ١٩٥٨.
ـــ العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام ـــ للدكتور عبد العزيز الدوري ـــ (من المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام) ـــ الأردن ١٩٨٢.
ـــ العرب والعروبة من القرن الثالث حتى القرن الرابع عشر الهجري (في حقبة التغلّب التركي ـــ لمحمد عزّة دروزة ـــ دمشق ١٩٦٠.
ـــ عروبة لبنان ـــ لمحمد جميل بَيْهُم ـــ بيروت ١٩٦٩.
ـــ عِقَد الجُمان في تاريخ أهل الزمان ـــ لبدر الدين العَيْني (توفي ٨٥٥هـ.) ـــ مصوّر بدار الكتب المصرية، رقم ١٥٨٤ تاريخ.
ـــ العِقْد الفريد ـــ لأبي عمر بن محمد المعروف بابن عبد ربّه الأندلسي ـــ تحقيق الأساتذة أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري ـــ طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـــ مصر ١٩٥٢.
ـــ عِلَل الحديث ـــ لابن أبي حاتم الرازي (توفي ٣٢٧هـ.) ـــ طبعة دار المعرفة، بيروت ١٤٠٥هـ. /١٩٨٥م.
ـــ علم التاريخ عند المسلمين ـــ فرانز روزنتال ـــ ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي ـــ طبعة المثنّى، بغداد ١٩٦٣.
ـــ العنوان المكلَّل بفضائل الحكمة ـــ للأسقُف أغابيوس (محبوب) ابن قسطنطين المنبجي ـــ (من أهل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) ـــ نشره الأب لويس شيخو ـــ بيروت ١٩٠٧.
ـــ عيون الأخبار (كتاب الحرب) ـــ لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينَوَري (توفي ٢٦٧هـ.) ـــ مصوّرة دار الكتب المصرية ـــ نشرتها دار الكتاب العربي، بيروت.
ـــ عيون التواريخ ـــ لابن شاكر الكُتُبي ـــ تحقيق الدكتور فيصل السامر والأستاذة نبيلة عبد المنعم داود ـــ الجزء ١٢ ـــ طبعة وزارة الثقافة، بغداد ١٩٧٧.

ـــ العيون والحدائق في أخبار الحقائق ـــ لمؤلّف مجهول ـــ تحقيق عمر السعيد ـــ طبعة المعهد الفرنسي بدمشق ١٩٧٣.
ونسخة أخرى ـــ تحقيق الأستاذة نبيلة عبد المنعم داود ـــ طبعة النجف ١٩٧٢.

ـــ غ ـــ

ـــ غُزاة بحر الشام وأمراؤه في العصر الأموي ـــ للدكتور عمر عبد السلام تدمري ـــ بحث نُشر في مجلّة تاريخ العرب والعالم ـــ العددان ٣٨ و٣٩ ـــ بيروت ١٩٨١ و١٩٨٢.

ـــ ف ـــ

ـــ الفُتُوح ـــ المنسوب لابن أعثم أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي (توفي ٣١٤هـ.) ـــ طبعة حيدر أباد، مصوّرة ببيروت.
ـــ فُتُوح البُلْدان ـــ لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذُريّ (توفي ٢٧٩هـ.) ـــ تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجّد ـــ القاهرة ١٩٥٦.
ـــ فتوح الشام ـــ لمحمد بن عبد الله الأزْدي البصْري (توفي ٢٣١هـ.) ـــ تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر ـــ القاهرة ١٩٧٠.
ـــ فتوح الشام ومصر والعراق ـــ المنسوب لمحمد بن عمر الواقدي (توفي ٢٠٧هـ.) ـــ القاهرة ١٣٦٨هـ.
ـــ فتوح مصر وأخبارها ـــ لعبد الرحمن بن عبد الله بن الحَكَم (توفي ٢٥٧هـ.) ـــ طبعة نيويورك ١٩٣٢.
ـــ الفخري في الآداب السلطانية ـــ لمحمد بن علي المعروف بابن الطقطقا طبعة أوربة.
ـــ الفرج بعد الشدّة ـــ لأبي بكر عبدالله بن أبي الدنيا القُرَشي ـــ برواية أبي حُذَيفة عُبيد الله بن عالية ـــ طبعة دار الشرق العربي بالقاهرة ١٤٠٧هـ. /١٩٨٧م.

ـ الفرج بعد الشدّة ـ للقاضي أبي علي المحسّن بن علي التنوخي (توفي ٣٨٤هـ.) ـ تحقيق عبّود الشالجي ـ طبعة دار صادر، بيروت ١٩٧٨.
ـ الفنّ الإسلامي ـ لدافيد تالبوت رايس ـ ترجمة الدكتور منير صلاحي الأصبحي، مطبعة جامعة دمشق ١٣٩٧هـ. /١٩٧٧م.
ـ الفهرسْت ـ لابن النديم ـ نشره جوستاف جلوجن ـ طبعة لايبزغ ١٨٧٢.
ـ فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنَّفة في ضروب العلم وأنواع المعارف ـ لأبي بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي الإشبيلي (توفي ٥٧٥هـ.) ـ نشره فرنشسكه قداره زيدين وخليان رباره طرغوه ـ طبعة سَرَقُسْطَه ١٨٩٣.

ـ ق ـ

ـ قادة الفتح الإسلامي (قادة فتح الشام ومصر) ـ للواء الركن محمود شيت خطّاب ـ طبعة بيروت.
ـ القاموس الإسلامي ـ لأحمد عطيّة الله ـ طبعة النهضة المصرية ٦٣ ـ ١٩٨٠.
ـ القاموس المحيط ـ لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (توفي ٨٧هـ.) ـ طبعة دار الفكر ببيروت المصوّرة عن الطبعة المصرية.

ـ ك ـ

ـ الكاشف في أسماء الرجال ـ لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (توفي ٧٤٨هـ.) ـ طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣.
ـ الكامل في التاريخ لعزّ الدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد المعروف بابن الأثير (توفي ٦٣٠هـ.) ـ طبعة دار صادر، بيروت ٦٥ ـ ١٩٦٧.

ـــ الكامل في ضعفاء الرجال ـــ لأبي أحمد عبد الله بن عديّ الجُرْجاني (توفي ٣٦٥هـ.) ـــ طبعة دار الفكر، بيروت ١٤٠٤هـ. /١٩٨٤م.
ـــ الكشكول ـــ لمحمد بهاء الدين العاملي ـــ طبعة ١٣١٦هـ.
ـــ الكنى والأسماء ـــ لأبي بشر محمد بن أحمد بن حمّاد الدولابي (٢٢٤ ـــ ٣١٠هـ.) ـــ طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد بالهند ١٣٢٢هـ.
ـــ الكنى والأسماء ـــ لأبي الحسين مسلم بن الحَجّاج النيسابوري (توفي ٢٦١هـ.) ـــ مخطوطة مصوَّرة بالمكتبة المركزية، بغداد.

ـــ ل ـــ

ـــ اللُّباب في تهذيب الأنساب ـــ لعزّ الدين أبي الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير (توفي ٦٣٠هـ.) ـــ طبعة دار صادر، بيروت.
ـــ لُبنان ـــ نشره المجلس الوطني للعلاقات الاقتصادية الخارجية بلبنان ـــ طبعة مانيبغو بإيطاليا ١٩٨٣.
ـــ لبنان في التاريخ ـــ للدكتور فيليب حتّي ـــ ترجمة الدكتور أنيس فريحة والدكتور نقولا زيادة ـــ بيروت ١٩٥٩.
ـــ لبنان في محيطه العربي ـــ لفؤاد قازان ـــ الجزء الأول ـــ بيروت ١٩٧٢.
ـــ لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني ـــ لمحمد علي مكي ـــ طبعة دار النهار، بيروت ١٩٧٧.
ـــ لسان العرب ـــ لأبي الفضل محمد بن مكرّم بن منظور (توفي ٧١١هـ.) ـــ مصوّرة بولاق.
ـــ لسان الميزان ـــ لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد المعروف بابن حجر (توفي ٨٥٢هـ.) ـــ طبعة حيدر أباد ١٣٢٩هـ.
ـــ لطف التدبير ـــ لمحمد بن عبدالله الخطيب الإسكافي (توفي ٤٢١هـ.) تحقيق أحمد عبد الباقي ـــ طبعة دار الكتب العلمية، ببيروت ١٩٧٩.

ـ المجروحين من المحدّثين والضعفاء والمتروكين ـ لابن حبّان محمد بن حبّان بن أحمد أبي حاتم البُسْتي (توفي ٣٥٤هـ.) ـ تحقيق محمود إبراهيم زايد ـ طبعة دار الوعي، حلب ١٣٩٦هـ.
ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (توفي ٨٠٧هـ.) ـ طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٩١٧.
ـ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ـ للدكتور محمد حميد الله ـ بيروت ١٩٦٩.
ـ محاسن المساعي في مناقب أبي عمرو الأوزاعي ـ لزين الدين بن تقيّ الدين بن عبد الرحمن الخطيب ـ نشره شكيب أرسلان ـ طبعة عيسى البابي الحلبي بمصر.
ـ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبُلغاء ـ للراغب الأصبهاني ـ نسخة مخطوطة في مكتبة الشيخ خليل الثمين الطرابلسي ـ الجزء الثاني ـ كُتبت سنة ٦٠٢هـ.
ـ محاضرات في النصرانية ـ لمحمد أبو زهرة ـ القاهرة ١٩٦١.
ـ مختصر تاريخ الدول ـ لغريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري (توفي ٦٨٥هـ.) ـ المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٥٨.
ـ مختصر كتاب البلدان ـ لأبي بكر أحمد بن الفقيه الهمذاني ـ نشره دي غويه ـ طبعة ليدن ١٨٨٥.
ـ مختصر تاريخ الدول ـ لغريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري (توفي ٦٨٥هـ.) ـ المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٥٨.
ـ مدرسة الشام التاريخية من قبل ابن عساكر ومن بعده ـ للدكتور شاكر مصطفى ـ بحث في مؤتمر وزارة التعليم العالي احتفالاً بذكرى ابن عساكر، دمشق ١٩٧٩.
ـ مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية ـ تأليف أ.هـ.م. جونز ـ ترجمة الدكتور إحسان عباس ـ طبعة دار الشرق ـ عمّان ١٩٨٧.

ـ مدينة بعلبك وحضورها التاريخي في المصادر العربية خلال العصر الأموي ـ للدكتور عمر عبد السلام تدمري ـ بحث نُشر في مجلّة الفكر العربي ـ العدد ٢٩ ـ تصدر عن معهد الإنماء العربي، بيروت ١٩٨٢.
ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في حوادث الزمان ـ لأبي محمد عبد الله اليافعي (توفي ٧٦٨هـ.) ـ طبعة حيدر أباد ١٣٣٨هـ.
ـ المراسيل ـ لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (توفي ٣٢٧هـ.) ـ تحقيق شكرالله بن نعمة الله القوجاني ـ طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٢هـ. /١٩٨٢م.
ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ لأبي الحسن علي المسعودي (توفي ٣٤٦هـ.) ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ القاهرة ١٩٦٤.
ونسخة أخرى بتحقيق أسعد داغر ـ منشورات الجامعة اللبنانية ـ بيروت ١٩٦٥.
ـ مسالك الممالك ـ لأبي القاسم عبيد الله بن خُرْداذَبَه ـ نشره دي غويه ـ طبعة ليدن ١٨٨٩.
ـ المسالك والممالك ـ لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصْطَخْري (توفي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري) ـ تحقيق محمد جابر الحيني ـ القاهرة ١٩٦١.
ـ المستدرك على الصحيحن ـ لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن حَمْدَوَيْه الحاكم النيسابوري (توفي ٤٠٥هـ.) ـ طبعة دار الكتاب العربي المصوّرة عن طبعة حيدر أباد.
ـ مسند أبي داود الطيالسي سليمان بن داود بن الجارود الفارسي البصري (توفي ٢٠٤هـ.) ـ طبعة حيدر أباد بالهند ١٣٢١هـ.
ـ مُسْنَد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ لأبي يوسف يعقوب بن شيبة بن الصّلت (توفي ٢٦٢هـ.) ـ تحقيق كمال يوسف الحوت ـ طبعة مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٥هـ. /١٩٨٥م.
ـ مُسْنَد الشيهاب ـ للقاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القُضاعي ـ

تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ـــ طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥هـ. /١٩٨٥م.
ـــ مسند عمر بن عبد العزيز ـــ تخريج أبي بكر الباغَنْدي ـــ تحقيق محمد عوّامة ـــ نشر دار الدعوة بحلب ١٣٩٧هـ.
ـــ مشاهير علماء الأمصار ـــ لمحمد بن حبّان البُسْتي (توفي ٣٥٤هـ.) ـــ نشره م. فلايشهمر ـــ القاهرة ١٩٥١.
ـــ مشتبه النسبة في الخط واختلافها في المعنى واللفظ ـــ لأبي محمد عبد الغني بن سعيد الأزدي (توفي ٤٠٩هـ.) ـــ مخطوطة المتحف البريطاني رقم ٣٠٥٧ المجموعة الشرقية (وفي مكتبتنا نسخة مصوّرة عنها).
ـــ المشترِك وضْعاً والمفترق صقْعاً ـــ لأبي عبد الله شهاب الدين بن عبد الله ياقوت الحموي (توفي ٦٢٦هـ.) ـــ نشره فرديناند وستنفيلد ـــ طبعة غوتنجن ١٨٤٦.
ـــ المصنَّف ـــ لأبي بكر عبد الرزاق بن همّام الصنعاني (توفي ٢١١هـ.) ـــ تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ـــ طبعة المجلس العلمي بحيدر أباد ١٤٠٣هـ. /١٩٨٣ نسخة المكتب الإسلامي، بيروت، المصوّرة.
ـــ المعارف ـــ لعبد الله بن مسلم بن قتيبة (توفي ٢٦٧هـ.) ـــ تحقيق الدكتور ثروت عُكاشة ـــ طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٠.
ـــ معالم التنزيل (المعروف بتفسير البغوي) ـــ للحسين بن مسعود البغوي (٤٣٦ ـــ ٥١٦هـ.) ـــ تحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار ـــ طبعة دار المعرفة ١٤٠٦هـ.
ـــ مُعجم الأدباء ـــ لأبي عبد الله شهاب الدين بن عبد الله ياقوت الحموي (توفي ٦٢٦هـ.) ـــ نشره الدكتور مرجليوث ـــ القاهرة.
ـــ المعجم الأوسط ـــ لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (توفي ٣٦٠هـ.) ـــ تحقيق الدكتور محمود الطحّان ـــ طبعة مكتبة المعارف بالرياض ١٤٠٥هـ. /١٩٨٥م.
ـــ معجم البلدان ـــ لأبي عبد الله شهاب الدين بن عبد الله ياقوت الحموي

(توفي ٦٢٦هـ.) طبعة دار صادر، بيروت.
ـــ معجم بني أميّة ـــ للدكتور صلاح الدين المنجّد ـــ طبعة دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧٠.
ـــ معجم الخريطة التاريخية ـــ لأمين واصف ـــ مصر ١٩١٦.
ـــ معجم الشعر ـــ لأبي طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي (توفي ٥٧٦هـ.) ـــ مصوّر بدار الكتب المصرية (رقم ٣٩٣ تاريخ).
ـــ معجم الشعراء ـــ لمحمد بن عمران المزرباني ـــ تحقيق عبد الستار فراج ـــ طبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٠.
ـــ معجم الشعراء في لسان العرب ـــ للدكتور ياسين الأيوبي ـــ طبعة دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٠.
ـــ معجم الشيوخ ـــ لأبي الحسين محمد بن أحمد بن جُمَيع الصيداوي (٣٠٥ ـــ٤٠٢هـ.) ـــ تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري ـــ طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار الإيمان، طرابلس ـــ الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ. /١٩٨٧م.
ـــ المعجم الصغير ـــ لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (توفي ٣٦٠هـ.) ـــ تحقيق عبد الرحمن عثمان ـــ القاهرة ١٩٦٨.
ـــ المعجم الكبير ـــ لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (توفي ٣٦٠هـ.) ـــ تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ـــ طبعة وزارة الأوقاف العراقية، بغداد ١٩٨٠.
ـــ معرفة التذكرة في الأحاديث الموضوعة ـــ لابن طاهر المقدسي المعروف بابن القيسراني (توفي ٥٠٧هـ.) ـــ تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر ـــ طبعة مؤسّسة الكتب الحديثة، بيروت ١٤٠٦هـ. /١٩٨٥م.
ـــ معرفة القرّاء الكبار ـــ لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (توفي ٧٤٨هـ.) ـــ تحقيق الدكتور بشّار عوّاد معروف ـــ طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٤هـ. /١٩٧٤م.
ـــ المعرفة والتاريخ ـــ لأبي يوسف يعقوب بن سفيان البَسَوي (توفي

٢٧٧هـ.) ــ تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري ــ طبعة وزارة الأوقاف العراقية، بغداد ٧٤ ــ ١٩٧٦.

ــ المغني في الضعفاء ــ لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (توفي ٧٤٨هـ.) ــ تحقيق نور الدين عتر (مجهول مكان وتاريخ الطباعة).

ــ مقدّمة مُسْنَد بقيّ بن مَخْلَد (توفي ٢٧٦هـ.) ــ تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري ــ طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٤هـ. /١٩٨٤م.

ــ المكتبة العربية الصقلّيّة (نصوص حول جزيرة صقلّية) ــ جمعها ميخائيل أماري ــ طبعة لايبزغ ١٨٥٧.

ــ المنازل والديار ــ للأمير مجد الدولة أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ (٤٨٨ ــ ٥٨٤هـ.) ــ طبعة المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٨٥هـ. /١٩٦٥م.

ــ من تاريخ التحصينات العربية (من أبحاث المؤتمر الرابع للآثار العربية) ــ للدكتور محمد عبد الهادي شُعيرة ــ طبعة جامعة الدول العربية بالقاهرة ١٩٦٣.

ــ المُنْتَخَب من تاريخ المنبجي لأغابيوس بن قسطنطين المنبجي (من رجال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) ــ انتخبه الدكتور عمر عبد السلام تدمري ــ طبعة دار المنصور، طرابلس ١٤٠٦هـ. /١٩٨٦م.

ــ المُنْتَخَب من ذيل المُذَيَّل ــ لمحمد بن جرير الطبري (توفي ٣١٠هـ.) ــ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ــ نشرته دار المعارف بمصر في (ذيول تاريخ الطبري) ١٩٧٤.

ــ من حديث خيثمة بن سليمان ــ لأبي الحسن خيثمة بن سليمان القُرَشي الأطرابلسي (٢٥٠ ــ ٣٤٣هـ.) ــ تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري ــ طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٠هـ. /١٩٨٠م.

ــ من ذيول العِبَر في خبر من غَبَر ــ لأبي المحاسن الحسيني محمد بن

علي بن الحسن (٧١٥ ــ ٧٦٥هـ.) ــ تحقيق محمد رشاد عبد المطّلب ــ الكويت ١٩٧٠.
ــ المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ــ لأبي المحاسن يوسف بن تغري بردي (توفي ٨٧٤هـ. /١٤٦٩م.) ــ مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ١١٣ تاريخ.
ــ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ــ لتقيّ الدين أحمد بن علي المقريزي (توفي ٨٤٥هـ.) ــ طبعة مصر ١٣٢٥هـ.
ــ المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهُم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم ــ لابن بِشْر الآمدي ــ نشره الدكتور ف. كرنكو ــ طبعة مكتبة حسام الدين القدسي بالقاهرة.
ــ موسوعة تاريخ العالم ــ تأليف وليم لانجر ــ تُرجم بإشراف الدكتور محمد مصطفى زيادة ــ القاهرة ١٩٥٩.
ــ الموسوعة العربية المُيَسّرة ــ تُرجمت بإشراف الدكتور محمد شفيق غربال ــ طبعة دار القلم بالقاهرة.
ــ موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي، للدكتور عمر عبد السلام تدمري ــ طبعة المركز الإسلامي والإنماء، بيروت ١٤٠٤هـ. /١٩٨٤م.
ــ موضّح أوهام الجمع والتفريق ــ لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي (توفي ٤٦٣هـ.) ــ نشره عبد الرحمن يحيى المعلمي ــ طبعة حيدر أباد بالهند ١٩٦٠.
ــ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (توفي ٧٤٨هـ.) ــ تحقيق علي محمد البجاوي ــ القاهرة ١٨٦٣.

ــ ن ــ

ــ نُبَذ من كتاب الخراج وصناعة الكتابة، لقُدامة بن جعفر (مُلحق بكتاب

مسالك الممالك لابن خُرداذبه) ــ نشره دي غويه ــ طبعة ليدن ١٨٨٩.
ــ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ــ لأبي المحاسن يوسف بن تغري بردي (توفي ٨٧٤هـ. /١٤٦٩م.) ــ طبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٣.
ــ نسب قريش ــ لأبي عبد الله المُصْعَب بن عبد الله بن المُصْعَب الزُبَيري (١٥٦ ــ ٢٣٦هـ.) ــ نشره ليفي بروفنسال ــ طبعة دار المعارف بمصر ١٩٧٦.
ــ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ــ (وصف بلاد الشام وفلسطين) ــ للشريف الإدريسي ــ نشره جوان جيلد مايستر ــ طبعة بون ١٨٨٥.
ــ نظم العقيان في أعيان الأعيان ــ لجلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي (توفي ٩١١هـ.) ــ حرّره فيليب حتّي ــ المطبعة السورية الأمريكية بنيويورك ١٩٢٧.
ــ النقود القديمة الإسلامية ــ لتقيّ الدين أحمد بن علي المقريزي (توفي ٨٤٥هـ.) ــ نشره أنستاس الكرملي، في كتاب (النقود العربية وعلم النميّات) ــ طبعة القاهرة ١٩٣٩.
ــ نهاية الأرب في فنون الأدب ــ لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (توفي ٧٣٣هـ. /١٣٣٣م.) ــ طبعة دار الكتب المصرية.
ــ نور القبس المختصر من المقتبس ــ لمحمد بن عمران المرزباني ــ اختصره أبو المحاسن اليغموري ــ تحقيق رودلف زلهايم ــ طبعة فيسبادن ١٩٦٤.

ــ هـ ــ

ــ هديّة العارفين بأسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين ــ لإسماعيل باشا البغدادي ــ طبعة استانبول ١٩٥١.

— و —

ـــ الوافي بالوفيات ـــ لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (توفي ٧٦٤هـ.) ـــ الجزء ١٥ ـــ نشره بيرند راتكه ـــ بيروت ١٩٧٩
الجزء ١٦ ـــ نشرته الدكتورة وداد القاضي ـــ بيروت ١٩٨٢
الجزء ٢٢ ـــ نشره رمزي بعلبكي ـــ بيروت ١٩٨٢.

ـــ الورع ـــ للإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ ـــ ٢٤١هـ.) ـــ تحقيق الدكتورة زينب إبراهيم القاروط ـــ طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ. /١٩٨٣م.

ـــ وَفَيَات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـــ لأبي العباس شمس الدين أحمد بن خلّكان (توفي ٦٨١هـ.) ـــ تحقيق الدكتور إحسان عباس ـــ طبعة دار الثقافة، بيروت ١٩٧٢.

ـــ وُلاة مصر ـــ لمحمد بن يوسف الكِنْدي (توفي حول ٣٥٠هـ.) ـــ تحقيق الدكتور حسين نصّار ـــ بيروت ١٩٥٩.

ـــ الولاة والقُضاة ـــ لمحمد بن يوسف الكِنْدي (توفي حول ٣٥٠هـ.) ـــ نشره رفن جست ـــ بيروت ١٩٠٨.



المراجع الأجنبية

- The Byzantine Empire – vasiliev – A – Madison 1952
- Dictionnaire Détaillé des Noms des vêtements chez les Arabes - R. Dozy – Librairie du Liban, Beirut.
- L'Eglise maronite – Pierre Dib – Paris 1930
- Encyclopaedia Britannica – V.22.
- Encyclopaedia Judaica – Eliyaho Ashtor – V.15 – Jerusalem 1971.
- La grand Enceklopidia – R. Dussu – V.31 – Paris.
- History of the Byzantine State – Ostrogorowski – Trans Joan Hussey – Oxford 1956.
- A history of the Later Roman Empire – Bury – V.11 – London 1889-1931.
- A History of Greece – Ed. Tozer. – G. Finlay – Oxford 1877.
- The History of the Jewish Khazars – Dunlop.
- Voyage en Syrie – Max Van Berchem – V.1 – Caire 1914.
- Répertoire chronologique D'Epigraphie Arabe – ER. Combe, K.A.C.J. Sauvaget, et G. wiet – Le Caire imprimerie de L'institut Français D'Archéologie Orientale – 1931.

فهرس الكتاب

الصفحة

(القسم الأول)
ـ التاريخ السياسي ـ

ـ العصر الأموي ـ

(القسم الثاني)
ــ التاريخ الحضاري ــ

المظاهر العمرانية والاجتماعية والثقافية في المدن « اللبنانية »

صدر للمؤلف

١ ــ الحياة الثقافية في طرابلس الشام خلال العصور الوسطى ــ طبعة دار فلسطين للتأليف والترجمة، بيروت ١٩٧٣ (٣٧٢ صفحة).

٢ ــ تاريخ وآثار مساجد ومدارس طرابلس في عصر المماليك ــ طبعة دار البلاد للطباعة والإعلام ــ طرابلس ١٩٧٤ (٤٤٠ صفحة).

٣ ــ تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور ــ الجزء الأول (عصر الصراع العربي ــ البيزنطي، والحروب الصليبية) ــ طبعة دار البلاد للطباعة والإعلام ــ طرابلس ١٩٧٨ (٥٠٠ صفحة).

٤ ــ من حديث خيثمة بن سليمان القُرشي الأُطرابلسي (٢٥٠ ــ ٣٤٣ هـ.) ــ دراسة وتحقيق ٤ مخطوطات هي :

ــ الفوائد من المنتخب من حديث خيثمة ــ الجزء الأول ــ نسخة الظاهرية بدمشق.

ــ فضائل أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه ــ الجزء الثالث ــ نسخة الظاهرية بدمشق.

ــ فضائل الصحابة رضوان الله عليهم ــ الجزء السادس ــ نسخة الظاهرية بدمشق.

ــ الرقائق والحكايات ــ الجزء العاشر ــ نسخة الظاهرية بدمشق، وتستستر بيتي بدبلن (إيرلنده الجنوبية).

صدر عن دار الكتاب العربي، بيـروت ١٤٠٠ هـ. / ١٩٨٠ م. (٣٦٧ صفحة).

٥ ــ تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور ــ الجزء الثاني (عصر دولة المماليك) ــ طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٤٠١ هـ. / ١٩٨١ م. (٦٧٦ صفحة).

٦ ــ النور اللائح والدرّ الصادح في اصطفاء الملك الصالح (إسماعيل بن محمد بن قلاوون) (٧٤٣ ــ ٧٤٦ هـ.) ــ تأليف: إبراهيم بن عبد الرحمن بن القيسراني القُرشي الخالدي (توفي سنة ٧٥٣ هـ.) ــ دراسة وتحقيق ــ نسخة المكتبة الوطنية بباريس ــ طبعة دار الإنشاء للصحافة والطباعة والنشر ــ طرابلس ١٤٠٢ هـ. / ١٩٨٢ م. (٨٥ صفحة).

٧ ــ دار العلم بطرابلس في القرن الخامس الهجري ــ طبعة دار الإنشاء للصحافة والطباعة والنشر ــ طرابلس ١٤٠٢ هـ. / ١٩٨٢ م. (٩٦ صفحة).

٨ ــ وثائق المحكمة الشرعية بطرابلس (من تاريخ لبنان الاجتماعي والاقتصادي والسياسي) نشر السجلّ الأول بمقدّمة ــ (١٠٧٧ ــ ١٠٧٨ هـ / ١٦٦٦ ــ ١٦٦٧ م.) (بالاشتراك مع د. خالد زيادة و د. فردريك معتوق) منشورات معهد العلوم الاجتماعية في الجامعة اللبنانية ــ فرع طرابلس ١٩٨٢.

٩ ــ البدر الزاهر في نُصرة الملك الناصر (محمد بن قايتباي) (٩٠١ ــ ٩٠٤ هـ. / ١٤٩٥ ــ ١٤٩٩ م.) يُنسب إلى ابن الشحنة ــ دراسة وتحقيق ــ نسخة المكتبة الوطنية بباريس ــ طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٣ هـ. / ١٩٨٣ م. (٨٢ صفحة).

١٠ ــ القول المستظرف في سفر مولانا الملك الأشرف (رحلة قايتباي إلى بلاد الشام) (٨٨٢ هـ. / ١٤٧٧ م.) ــ تأليف القاضي بدر الدين أبي البقاء محمد بن يحيى بن شاكر بن عبد الغني المعروف بابن

الجيعان (٨٤٧ ـــ ٩٠٢ هـ.) ـــ دراسة وتحقيق: نسخة الأسكوريال بمدريد، ونسخة دار الكتب المصرية، ونسخة تورينو بإيطالية ـــ طبعة جرّوس برسّ، طرابلس ١٩٨٤ (١٩٤ صفحة).

١١ ـــ موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي (عبر ١٤ قرناً هجرياً) ـــ القسم الأول في ٥ مجلّدات ـــ تراجم العلماء من الفتح الإسلامي حتى سنة ٤٩٩ هـ. ـــ

ـــ المجلّد الأول (٥٠٩ صفحات) ـــ تراجم حرف الألف.

ـــ المجلّد الثاني (٤٠٧ صفحات) ـــ تراجم من حرف الباء حتى حرف الطاء.

ـــ المجلّد الثالث (٤٢٩ صفحة) تراجم حرف العين.

ـــ المجلّد الرابع (٣٧٥ صفحة) تراجم من حرف الغين حتى الميم (محمد بن محمد).

ـــ المجلّد الخامس (٣٤١ صفحة) حرف الميم إلى الياء، والكنى والألقاب والنساء. طبعة المركز الإسلامي للإعلام والإنماء، بيروت ١٤٠٤ هـ. / ١٩٨٤ م.

١٢ ـــ معجم الشيوخ ـــ تأليف أبي الحسين محمد بن أحمد بن جُمَيع الغسّاني الصيداوي (٣٠٥ ـــ ٤٠٢ هـ.) ـــ دراسة وتحقيق نسخة جامعة ليدن بهولنده.

وبذيله :

ـــ المنتقى من المعجم، بانتقاء : محمد بن سند (٧٤٩ هـ.) ـــ نسخة الظاهرية بدمشق.

ـــ حديث السكن بن جُمَيع المتوفّى سنة ٤٣٧ هـ. ـــ نسخة الظاهرية بدمشق. طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت. ودار الإيمان، طرابلس ١٤٠٥ هـ. / ١٩٨٥ م. (٥٥٠ صفحة).

الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ. / ١٩٨٧ م.

١٣ ـــ تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور (عصر الصراع

العربي ـــ البيزنطي والحروب الصليبية) ـــ طبعة مزيدة ـــ صدرت عن مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار الإيمان طرابلس ١٤٠٥ هـ. / ١٩٨٥ م. (٧٢٥ صفحة).

١٤ ـــ شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ـــ تأليف : قاضي مكة تقيّ الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي المالكي (٧٧٥ ـــ٨٣٢ هـ.) ـــ تحقيق وفهرسة ـــ طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٥ هـ. / ١٩٨٥ م. (في مجلّدين).

ـــ المجلّد الأول (٦١٦ صفحة).

ـــ المجلّد الثاني (٦١٨ صفحة).

١٥ ـــ الفوائد العوالي المؤرَّخة من الصِّحاح والغرائب ـــ للقاضي أبي القاسم علي بن المحسّن التنوخي (توفي سنة ٤٤٧ هـ.) بتخريج الحافظ أبي عبد الله محمد بن علي الصوري (توفي سنة ٤٤١ هـ.) ـــ دراسة وتحقيق الجزء الخامس من نسخة الظاهرية بدمشق ـــ طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار الإيمان، طرابلس ١٤٠٦ هـ. / ١٩٨٥ م. (٢٢٥ صفحة).

الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ. / ١٩٨٨ م.

١٦ ـــ ديوان ابن منير الطرابلسي، المهذّب الدين أبي الحسين أحمد بن منير بن أحمد بن مفلح الطرابلسي المعروف بالرّفّاء (٤٧٣ ـــ ٥٤٨ هـ.) تقديم ودراسة وجمع وترتيب ـــ طبعة دار الجيل، بيروت، ومكتبة السائح، طرابلس ١٩٨٦ م. (٣٤٨ صفحة).

١٧ ـــ المنتخب من تاريخ المنبجي ـــ لأغابيوس بن قسطنطين المنبجي أسقف منبج (من أهل القرن ٤ هـ.) ـــ دراسة وتحقيق القسم الخاص بتاريخ المسلمين من الكتاب المعروف بـ « العنوان » ـــ طبعة دار المنصور، طرابلس ١٤٠٧ هـ. / ١٩٨٦ م. (١٧٣ صفحة).

١٨ ـــ تاريخ الإسلام ووَفَيَات المشاهير والأعلام ـــ تأليف الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (توفي سنة

٧٤٨ هـ.) ـــ تحقيق وفهرسة : نسخة آياصوفيا باسطنبول، وحيدر أباد بالهند، ودار الكتب المصرية، ومكتبة الأمير عبد الله الفيصل بالسعودية، والنسخة البريطانية، ومختصر تاريخ الإسلام، لابن الملّا، نسخة المكتبة الأحمدية بحلب :

ـــ « المغازي » مجلّد في (٨٢١ صفحة).
ـــ « السيرة النبوية » مجلّد في (٧٠٥ صفحات).
ـــ « عهد الخلفاء الراشدين » مجلّد في (٨٠٠ صفحة).
ـــ « حوادث ووفيات ٤١ ـــ ٦٠ هـ.) مجلّد في (٤٣٩ صفحة).
ـــ « حوادث ووفيات ١٢١ ـــ ١٤٠ هـ. » مجلّد في (٦٣٩ صفحة).
ـــ « حوادث ووفيات ١٤١ ـــ ١٦٠ هـ. » مجلّد في (٧٧٠ صفحة).
ـــ « حوادث ووفيات ٣٥١ ـــ ٣٨٠ » مجلّد في (٨٦٦ صفحة).
ـــ « حوادث ووفيات ٣٨١ ـــ ٤٠٠ هـ. » مجلّد في (٥٣٤ صفحة).

طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧ ـــ ١٤٠٩ هـ./٨٧ـــ ١٩٨٩ م.

١٩ ـــ الفوائد المنتقاة والغرائب الحسان عن الشيوخ الكوفيّين ـــ انتخبها الحافظ أبو عبد الله محمد بن علي الصوري (٣٧٦ ـــ ٤٤١ هـ.) على : أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن عبد الرحمن العلوي (٣٦٧ ـــ ٤٤٥ هـ.) ـــ دراسة وتحقيق نسخة الظاهرية بدمشق.

وبذيله :

« فوائد في نقد الأسانيد » للحافظ الصوري، نسخة المتحف البريطاني.

طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٨ هـ. / ١٩٨٧ م. (١٧٣ صفحة).

٢٠ ــ السيرة النبويّة ــ تأليف أبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافري المتوفّى سنة ٢١٣ أو ٢١٨ هـ. ــ تحقيق وتخريج وفهرسة :

ــ المجلّد الأول (٤٤٠ صفحة).

ــ المجلّد الثاني (٤٤٨ صفحة).

ــ المجلّد الثالث (٣٦٠ صفحة).

ــ المجلّد الرابع (٣٧٤ صفحة).

طبعة الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٨ هـ. / ١٩٨٧ م.

٢١ ــ تاريخ الأنطاكي (المعروف بصلة تاريخ أوتيخا) ــ تأليف يحيى بن سعيد بن يحيى الأنطاكي (توفي ٤٥٨ هـ. / ١٠٦٦ م.) ــ تقديم وتحقيق ــ مع ملحق به، وفهارس شاملة ــ صدر عن مؤسسة جرّوس برس، طرابلس ١٤٠٩ هـ. / ١٩٨٩ م.

٢٢ ــ دراسات في تاريخ الساحل الشامي (لبنان من الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية) (١٣ ــ ١٣٢ هـ. /٦٣٤ ــ ٧٥٠ م.) ــ صدر عن مؤسسة جرّوس برس، طرابلس ١٤٠٩ هـ. / ١٩٨٩ م.

يصدر للمحقّق

١ ــ تاريخ الإسلام ووَفَيات المشاهير والأعلام ــ للحافظ الذهبي :

ــ « حوادث ووَفَيَات ٦١ ــ ٨٠ هـ. ».

ــ « حوادث ووَفَيَات ٨١ ــ ١٠٠ هـ. ».

ــ « حوادث ووفيات ١٠١ ــ ١٢٠ هـ. ».

تصدر عن : دار الكتاب العربي، بيروت.

٢ ــ الكامل في التاريخ ــ لابن الأثير :

ــ المجلّد الأول : تاريخ الرسل والأنبياء قبل الإسلام.

ــ المجلّد الثاني : من ظهور الإسلام حتى عهد الخلفاء الراشدين.

يصدر عن دار الكتاب العربي، بيروت.

٣ ــ موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ــ (عبر ١٤ قرناً هجرياً).

ــ القسم الثاني في ٦ مجلّدات ــ تراجم العلماء من سنة ٥٠٠ حتى سنة ٩٩٩ هـ.

ــ القسم الثالث في ٥ مجلّدات ــ تراجم العلماء من سنة ١٠٠٠ حتى سنة ١٤٠٠ هـ.

تصدر عن المركز الإسلامي للإعلام والإنماء، بيروت.

٥ ــ سلسلة رجال الحديث في تاريخ لبنان الإسلامي (معاوية بن يحيى الأطرابلسي وما رواه من الحديث والفوائد والتواريخ).

يصدر بالكويت.

